حركات السيدات في الانتخابات

الحداد

Kara a Term used in Sanskrit Hindu Religion

892.78
Ha2818hA
C.2

حركات السيدات في الانتخابات

أو

ايّ هوَ ابني؟

بقلم

نقولا الحدّاد

حوادثها في القاهرة
في الزمان الحاضر أو الآتي القريب

مصادفات ومباغتات غريبة
أسرار محيرة

جميع حقوقها محفوظة للمؤلف

48160

القاهرة مصر سنة ١٩٢٧

المطبعة العربية بمصر
شارع المنزه بالموسكي

Gift Author. Cat. Feb. 1935

مقدمة

بعض الملائكة الساقطين قديما، والملائكة الذين يخدمون جلال الله، متقمصون فى شخصيات بشرية . وهم يحتكون بعضهم ببعض كل يوم

وفي هذه الرواية ترى مرأة ، هى ملاك كريم ، وقد قاست من رجل ، هو شيطان رجيم ، مالم يقاسه القديسيون الابرار من الابالسة الاشرار

فاذا قرأت قلت : يالله ! هل في البشر ملائكة كهذه وابالسة كذلك ؟

نعم فيهم كهذه وكذلك . فاقرأ : —

الفصل الاول

شرك الحب

في تلك الليلة تأرقت زينب هانم خلافاً لعادتها ، وهجر الكرى مضاجعه في اسرة أجفانها وهي لا تدري سبباً لهذا الارق . فجنحت الى الايوان ظانة أن النسيم العليل في حر الصيف يصطحب النعاس . فاضجعت على المقعد وما هي إلا بضع دقائق معدودة حتى سطا على أعصابها هاجم النوم . وما لبثت ان رأت فى حلمها خيالا متضرعاً يهمس همساً لطيفاً خشوعياً تستلذه كل حسناء وما كذب حلمها اذ استيقظت بالفعل على صوت هامس يقول : جوليت . جوليت . يا معبودة قلبي واله لبى . لقد جئت لكي أقدم لك قرابين حبى على مذبح جمالك . جوليت . جوليت .

ثم خفت الصوت وصمت وداخل فؤاد زينب بعض الروع اذ تأكدت انها استيقظت وان ما تسمعه ليس حلما . وفتحت عينيها وأجالت نظرها من غير ان تحرك رأسها ، فلم ترالا نجوم السماء تتلألأ في دجنة الليل ورؤوس أغصان الاشجار تمايل في الحديقة تحت ذلك الايوان . فحركت رأسها بكل هدوء وتؤدة وادارته الى هنا وهناك فلم تر شيئاً . ولكنها ما لبثت أن سمعت الهمس ثانية كأنه على قيد باع من أذنها : جوليت . جوليت . هل أنت نائمة ؟

فوجهت نظرها الى جهة الصوت فرأت تحت ضوء السماء الضعيف غصناً يتحرك . فحملقت حتى تبينت شبحاً في الشجرة بين أوراق الاغصان . فخفق فؤادها بعض الخفوق ولكنها عادت الى رزانتها فاستأنست اذ سمعت الشبح يقول : هل صحوت يا معبودتي وهل تنبهت لي يا الهتي ؟ لقد جئت لكي أزود صدري من أنفاس همساتك المحيية . جئت لكي أطرب مراكز دماغي برنات أوتار حلقك . جئت لكي أغذي نفسي بغذاء ألفاظك العذبة . أما أنت منتظرة قدومي ياسلطانة قلبي . ما بالك . لا . . . هل أنت خائفة . . . أما أنت وحدك . . . هل أحد مستيقظ . . .

فاستغربت زينب أمر ذلك الشخص وفؤادها يخفق . ولكنها لم تكن جزعة ولا وجلة ، وانما كانت حيرانة . فرفعت رأسها والقته على كفها ومرفقها على جانب المقعد وقالت هامسة ... من ؟ ... من أنت

فأجاب هامساً — من يجسر ان يتسلق على شجر حديقتك في هذا الليل غير روميوك ياجولياتي . من يعرض نفسه للخطر فى

سبيل التعبد لجمال جوليت غير عبدها روميو

فازدادت زينب حيرة وصارت تتوق أن تعلم ماذا يكون مصير هذا الدور الذي يمثل في غلس الليل على هذا النحو . ولكنها خافت عقبى التمثيل . فبقيت صامتة برهة وذلك الشبح ساكت كأنه يتوقع رداً . ولكنه ما لبث ان عاد يهمس متجرئاً وقال : — أما أنت تنتظرينني هنا ؟ .. هل أنت شاعرة بوجود رقيب ؟ هل تريدين أن أعود . هل تأمرين أن أختفي من الوجود ؟

فهمست زينب على الفور : — لا . لا

— اذاً ؟

— الا تقدر أن تأتي الى هنا ؟

— لماذا لا تقربين أنت وتمدين الي يدك عسى أن أستطيع تقبيلها

فقالت زينب همساً ماكرة : — أخاف أن يستيقظ أحد

— ألا يمكنك أن تنزلي ؟

فرأت زينب ان المساجلة في الموضوع قد تكشف لها أسراراً وتفتح لها سفر حوادث مضت اللهم اذا أحسنت المساجلة . فترددت في الحديث ثم همست وهي لا تزال مضجعة في مكانها : أظن هذا مستحيل علي

— اني أعذرك . اني أقنع بان تقربي وان تنتهدي حتى أتنشق انفاسك . ألا يمكنك أن تنسلي وتمدي يديك من بين روافد الايوان عسى أن أتمكن من تقبيلهما ؟ بالله تفعلين

— لا أقدر

— لماذا لم تنتظري في غرفتك ؟ أما كان التمتع بانفاسك من هناك أسهل

فترددت زينب هنيهة وهي لا تدري أي غرفة يعني ، فهناك غرفة بنتها ، وهناك غرفة خادمتها الرومية وغرفة خادمتها الوطنية الخ فحارت ماذا تجيب . ثم تجرأت وقالت : تعال الى هنا أنت . هل تقدر ؟

— لا أعجز عن تلبية أي أمر من أوامرك حتى ولو كان الالقاء بنفسي من سطح المنزل الى أسفل الارض . ولكن هل تكونين في مأمن من الخطر اذا صدعت بامرك هذا ؟

— لا خطر . فهل تأتي ؟

— آتي . ولكن كيف ؟ . هل من سبيل اليك ؟

— ألا تقدر أن تتسلق ؟

— اني مستعد أن أفعل كل شيء ولكن لا أضمن أن أنجح . فهل من سبيل غير التسلق ؟

ففكرت زينب هنيهة ثم قالت : هل تعرف الباب الصغير الذي في الجهة القبلية ؟

— اعرفه جيداً . ان خريطة المنزل مطبوعة في لوحة فؤادي . الباب يؤدي الى ملحقات المنزل

فاستغربت زينب ان الشخص الهامس يعرف المنزل على الغالب فمن هو ؟ وان كان غريباً على الاطلاق فكيف يعرف دخائل المنزل . فاوجست قليلا وخافت ان هذا الشخص الذي لم تعرف عنه شيئاً ولم تسمع بعد الا همسه يكون لصاً محتالا يمهد سبيله

الى المنزل بحيلة شيطانية. وقد عظم عندها هذا الظن حتى كاد يتحول الى يقين . ولذلك عاد فؤادها يخفق. بيد أنها، وهي لا تزال ترى نفسها في مأمن ما فتئت تتوق الى تتمة الدور لتعلم نهايته. فقالت : اذاً انزل وانتظر عند الباب ريثما أفتحه لك . لا تيأس اذا تأخرت

ـ سمعاً وطاعة . أركع عند ذلك الباب الى الصباح الى الأبد حتى يرد منك اذن بالدخول أو أمر بالرجوع

وفي الحال سمعت زينب حفيف ورق الشجر اذ كان ذلك الهامس الليلي ينزل من بين الغصون . وحينئذ انسلت على بطنها كالافعى وراقبت الشخص وهو ينزل عن جذع الشجرة حتى رأت شبحه وهو يمشي. فتراءى لها شخصاً ربع القامة دون المتوسط في حجم البدن ولكنها لم تستطع ان تتبين سنه ولو بالتقريب . وانما رأت انه في ثوب اوروبي وطربوش كان في يده، وهو في أعلى جذع الشجرة، ثم وضعه على رأسه قبل أن ينزل

فلما رأته ينسل الى الجهة الجنوبية أسرعت الى حجرة مطلة على تلك الجهة فوق الباب المذكور وأطلت إطلالا قليلا. فرأت الشبح قد أقبل الى الباب منسلا الى جنب الجدار ثم وقف عنده ملاصقاً للجدار. وجعلت تنظر الى هنا وهنالك لعلها ترى رفيقاً له فلم تر

وبعد ان فكرت برهة نزلت الى الجهة السفلى التي فيها البواب والخادم والبستاني وأيقظت البواب. فاستيقظ هذا مذعوراً . فقالت: لا تخف ولا تتذعر . هلم معي

فصعد معها الى الحجرة وأرته منها الشبح. فانتفض البواب وسأل. لص ؟ لصوص؟

ـ لا أدري قد لا يكون لصاً

ـ بالله ماذا يكون اذاً ؟

ـ سنعلم . عليك أن تراقب هنا فان رأيت شخصاً آخر فاسرع حالا الى تحت، الى الحجرة التي تحت هذه . وان رأيته يدخل وحده فلا تخرج الا اذا سمعت ضوضاء

ـ سمعاً . ولكن . . .

ـ لا تسأل شيئاً الآن بل أطع

ـ سمعاً وطاعة

ثم نزلت زينب وأيقظت البستاني فاستيقظ أيضاً مذعوراً . فقال : حاذر أن يسمع لك صوت . واسمع ما آمرك به :

«أمام باب تلك الحجرة المحاذية للمطبخ شخص ينتظر مني ان افتح له الباب لكي يدخل، فتربص له في الرواق جنب باب الحجرة الواسع ، فاذا صرخت انا صرخة فاسرع وانقض عليه واصرعه في الحال . والا فلا تدعه يشعر بوجودك . وانما يجب ان تراقب من بعيد ريثما اسير به الى حجرة الخياطة، وتكمن على مقربة مستعداً للانقضاض عند سماع اي صوت مني اذا اقتضى الامر ذلك»

ثم تقدمت زينب مقدمة رجلا ومؤخرة

أخرى وقلبها ينتفض . ولكن في نفسها شهوة لاستطلاع الاسرار شددت قلبها . ولما صارت وراء الباب أنصتت هنيهة فسمعت تنهداً . ففعلت حركة خفيفة على الباب فما لبثت ان سمعت الشخص يقول همساً : جوليت . جوليت . جوليت

فأجابت همساً — نعم . نعم

— هل أنت واثقة أن لا خطر عليك

— بل اني خائفة .

— هل أحد مستيقظ ؟

— لا أدري

— اذا كنت موجسة من أحد فلا تخاطري . يكفيني أن أسمع صوتك ، أن أستنشق أنفاسك من خصاص الباب . بالله انفخي في ثقب قفل الباب . آه اني أود أن أسجد عند موطيء قدميك . اني فاعل . قفي أمام وسط الباب حتى يكون السجود في مكانه تماماً

فازدادت زينب حيرة وازداد قلبها خفوقا وهي تقول بنفسها : هل يمكن ان يكون الرجل متقناً دوره الى هذا الحد ؟ الى الآن لم يهرع البواب . اذاً الرجل لا يزال وحده .

ثم قالت له : مهلا . سأفتح الباب قليلا . وثم مد يدك لكي تصافحها يدي

— سمعاً وطاعة

ثم عادت زينب الى البستاني . وقالت : هل أنت على أستعداد

— بلا شك . في لحظة أكون الى جنبك

وهذه الهراوة في يدي

— ولكن لا تستعملها الا اذا . .

— نعم ، لا تخافي . أنقض وأقبض عليه بيدي فقط أسحقه بين ذراعي

وعادت الى الباب وهمست : روميو

فاجاب — هاك يدي . افتحي

ففتحت وقلبها ينتفض فاحست بكف تمتد ، فلمستها موجسة . ؟ ثم ما لبثت ان صافحتها متشجعة ، ولكن كان ثقلها كله ضاغطاً على الباب حتى شعرت بان ذراع الرجل تكاد تنسحق وهو لا يشكو الالم مكابراً

ثم ردت نفسها عن الباب قليلا وهمست قائلة : هات كفك الاخرى . فامتدت الكف الاخرى . وقبضت عليها بكفها الثانية . فاحست ان الملمس ناعم وان الحركة ليست شرسة . فتشجعت وانما بقيت موجسة من الخداع . ثم قلّ ضغطها على الباب واشتد ضغط الرجل حتى تسنى له ان دخل وأقفل الباب وهو يقول أخاف أن يشعر بنا أحد وهي تقول : لا . لا تخف . ومازالت قابضة على كتفيه ولم تجسر أن تفلتهما مخافة ان يغدر بها . وانما كان هو مطاوعاً مستسلما كأن لا ارادة له البتة . فقادته كأنها تجره بخيط عنكبوت الى ان دخلت به الى حجرة الخياطة المظلمة وقد شعرت ان يديه ترتجفان كانه خائف ، وأدركت انه فتى في طالع عهد الشباب . فاطمانت قليلا . ثم أجلسته على مقعد وجلست الى جنبه ، ولا تزال تقبض على كتفيه ، وهو مستسلم ولكنه حاول أن يضمها

اليه فامتنعت فعف . وكان سكوت هنيهة الى أن قالت زينب : كيف خاطرت هكذا؟

— لست أخاف من المخاطرة الا عليك أما أنا فلا أحسب حسابا للعواقب

— أحقق انك تحبني ؟

— عجبا أن تسالني هذا السؤال بعد كل ماقاسيت فى سبيل الوصول الى خيالك، إلى نسمات ثغرك ، الى نظرات من جفنك ولو ضمن الازار . ما كنت أعلم قط أن أصل الى جنبك، مع اني أطمع أن أكون ملكك الى الابد . آه يامصدر حياتي ونهايتها . هل تحققين هذا الامل أو تريدين أن نبقى حبيبين عن بعد ؟

فترددت زينب هنيهة ثم قالت : —

لا أدري كيف عرفتني وكيف أحببتني

— عجبا . عجبا تكلمينني كانك لا تعرفينني

— عرفتك كما عرفتني

— يالله . اذاً لا تعرفين الآن من أنا . فكيف تحبينني اذاً؟ وكيف تجرأت على ان تفتحي لي بابك في غلس الليل؟

فارتبكت زينب وهي لا تدري كيف تسوي الحديث ثم قالت . ولكنني أخاف ان اكون مخطئة الظن

— بالله . هل نسيت أيام الحداثة منذ عشر سنين . كم لعبنا معاً ؟

— أين ؟

— في هذه الدار . أخاف ان أكون..

— ماذا ؟

— فظهر على الفتى الارتباك الشديد وقال: بالله من أنت ؟

فاستقوت زينب كل الاستقواء وقالت: ماذا تريد مني أن أكون ؟

— بربك . من أنت . أما أنت ؟ . .

— من ؟ . من تقصد فى هذا المنزل . هل تعرف كل من فيه ؟

— لا .

— إذاً من عنيت بجوليت؟

— بربك تعذر ينني اني غلطان لست هذا المنزل أقصد

— عجباً تدخل الى حديقته وتتسلق على شجرها . ثم تقصد الى الباب الصغير وتدخل وأخيراً تقول انك غلطان ؟

— آه . ويلاه . أظنني وقعت في شرك

— فقهقهت زينب مطمئنة وقالت : تعني شرك الحب . انك واقع فيه من زمان

— بربك . سامحيني ودعيني أخرج بسلام

— تخرج بسلام بلا شك . ولماذا تخاف روميو وهو الى جنب جوليت . اطمئن نفساً ياحبيبي .

وعند ذلك نهضت زينب وفتحت النور الكهربائي بسرعة الكهرباء . فامتلأت الحجرة نوراً ووقعت عينها على الفتى فاذا هو مكفهر اكفهرار الميت، فابتسمت له وقالت :بالله . اما انت ابن احمد افندى الزعروري الذي كان خولياً عند المرحوم الباشا زوجي؟ اعذرني . لقد نسيت اسمك. اظن ان اسمك حسن .

— بل عبدك حليم

ـ نعم نعم، جليم. الآن تذكرت، بالله كيف يتغير الانسان في عهد قريب

ـ منذ عشر سنين كنت اتردد الى داركم ابن عبدكم . والغلام فى عشر سنين يتغير كثيراً ياسيدتي . سعادتك تغيرت ايضاً

ـ واين كنتم في كل هذه المدة .

ـ ابى استقل في أملاكه

فابتسمت زينب وقالت : املاكه !

ـ نعم انما هي من فضلكم يامولاتي

ـ اذاً لا تنكر انت ان أباك اقتنى املاكاً من . . .

ـ نعم ياسيدتي أن فضل المرحوم الباشا عظيم علينا

ـ واظن لو بقي أبوك خادماً لبيت الباشا الآن لصار أغنى منا

ـ معاذ الله يامولاتي . اننا نبقى عبيدكم

ـ وأنت ماذا فعلت في هذه المدة

ـ درست الزراعة وحصلت على دبلومها

ـ بارك الله بك . ومن هو غريمك فى هذا المنزل

فا كفهر الفتى وقال : مولاتي : الست ممن يرفقون بالقلوب ؟

ـ طبعاً أرفق. أليس لي قلب؟

ـ هل تعذرين العاشق في حبه ؟

ـ الحب سنة الله

ـ نعم الحب الطاهر القدسي ياسيدتي

ـ نعم لقد شعرت بقداسة حبك . فمن هي حبيبتك هنا ؟

ـ ليس فى هذا المنزل زهرتان يامولاتي

ـ بالطبع لايحب الواحد الا واحدة فقط والتي يحبها تكون فى نظره زهرة المنزل، فمن هي زهرتك فيه ؟

ـ هل في المنزل زهرة لم تزل في كمها غير حكمت هانم ؟

فانتفضت زينب وقالت محملقة به : كنت أظن انك تحب خديجة بنت خادمتنا القديمة حسيبه، أو انك تحب خادمتنا ماريا الرومية . وما خطر لي قط ان تنطق باسم حكمت بنتي . ويحك يامغرور ! منذمتى تغازل الفتاة وهي في سذاجة الصبا، وحولها كل حجاب من حجب التحصن ؟

ـ فجزع الفتى وقال : مولاتي ان حكمت لا تزال فى تحصنها . وما جرؤت على النمادي في المغازلة الا لانك كنت تمثلين دورها . فهي لا تزال قديسة كما تعهدينها . وانا هو الفتى الاثيم أعترف بإثمي و باستحقاقي العقاب . فها أنا بين يديك فعاقبيني بما تشائين

فاشتدت عبوسة زينب و بعد سكوت هنيهة قالت : اخرج الآن بسلام . واذا بدا منك شيء من هذا القبيل بعد الان فأكد اني أنتقم منك أشد نقمة . فحاذر ايها الفتى حاذر . قم اخرج الان بسلام .

وخرج الفتى حليم الزعروري يجر أذيال الخيبة و بقيت زينب تفكر مكتئبة

الفصل الثانى

فعل الدستور فى العقود

في صباح اليوم التالي وزينب لا تزال في بحرانها وتفكيرها من حادث امس دخلت عليها الخادمة خديجة تقول: مولاتي هنا الخولي احمد الزعروري يرجو مقابلتك

فتجهمت زينب وقالت: ماذا يريد هذا العلج الان مني ؟

— يقول ياسيدتي انه يريد مقابلتك لمسألة . ولم يشا ان يقول ما هي المسالة

— قدمي له السيكارة والقهوة، وساقابله بعد قليل

ولاح في بال زينب الف خاطر بشان غرض احمد الزعروري من المقابلة . وقد كان احمد هذا خوليا في بعض املاك زوجها بكر باشا العيوقي مدة طويلة حتى صارت له كلمة نافذة عند مزارعي أطيان الباشا! وله تاثير عليها اكثر من الباشا كانت زينب مستاءة من استفحاله ولا سيما لانه كان يختلس باساليب مختلفة حتى جمع ثروة . فلما مات الباشا عزلته لكي لا تبقى سلطة غير سلطتها وسلطة الناظر الذى كان مطاوعاً لها

بعد بضع دقائق دخلت زينب مقطبة، فوقف لها الشيخ احمد بشوشا محتفلا بها فاستغربت ما بدا فيه من التانق القليل والسمنة الكثيرة، اذ عرضت عمامته واتسع قفطانه وجبته، وفي رجله حذاء افرنجي بدل «البلغة» الى غير ذلك مما يدل على اليسر والبحبوحة .

فلما استوت في كرسيها وهو استوى في مقعده قال : لقد استأت جداً من عمل ابني خادمك حليم افندي أمس

فابتسمت زينب بالرغم من عبوستها لقوله «حليم افندي» وقالت بنفسها : يظهر ان الاب أشد غروراً من الابن . ولكنه لا يخلو من عقل يوحي اليه ان عليه ان يعتذر عن وزر ابنه . من أخبرك بفعلته ؟

— هو أخبرني . فلا يخفى عليك ان خادمك حليم افندي متعلم مترب متهذب يعرف الاصول والواجبات . فقد تعلم الانكليزية جيداً ودرس النحو والشعر والعلوم كلها على الشيخ عمر الطاهري الازهري . وهو يحلل التراب والحجار، ويعرف كيف يخصب الزرع وتعلم علوم النبات وشرح القطن وفهم كيف تولد الدودة وكيف تخلق وكيف تاكل القطن . ويعرف كم قنطار يغل الفدان من اطيان سعادتك مثلا . وهو الان يخترع نوعا من القطن سيضرب القطن السكلاريدي على عينه وسيسميه القطن الزعروري وسيباع بزيادة خمس وعشرين بنطا . ويجتهد الان أن يخترع نوعاً من الزنابير يأكل الدودة

القرنفلية

فتبسمت زينب وقالت : استغفر الله . الله خالق كل شيء

— نعم ياها نم ان الله خالق كل شيء حتى القطن السكلاريدي الذي اخترعه سكلاريدى اليوناني . العبد يخترع بقوة الله وارادته . وعبدك حليم يعجبك . وهو يخترع الان نوعاً من القمح كل سنبلة منه تشتمل على ست سنابل متلاصقة . وهو باذل جهده في اختراع نوع من الذرة كل حبة بقدر البندقة

فتململت زينب وقالت : ربنا يخليه . وماذا يشتغل ؟

— ماذا يشتغل ؟ . ماذا يشتغل ذكي كحليم غير ما قلت لك

— أعني أليس له وظيفة ؟

— أطال الله عمرك ! ومن يشتغل في زراعتنا و يحسنها اذا كان حليم يشتغل في وظيفة ؟ لا لا . حليم لا يقبل وظيفة وعندنا من الاشغال ما يشغل عشرة وهو قائم بها وحده . وقد طلبوه لدائرة ذهني باشا فاعتذر . ان حليما يعجبك جدا ياسيدتي بنشاطه وحسن ادارته وذكائه الفائق . ونسيت اذا خبرك انه سيخترع ساقية هوائية يمكنها ان « تشفط » كل ماء النيل الى اطياننا اذا شئنا . وبالطبع نحن لا نحرم الناس من ماء النيل ولا نحن في حاجة الى كل ماء النيل . وقال حليم انه فى امكانه ان يخلق المطر فوق اطياننا متى شاء انزله . .

فقالت زينب : استغفر الله . استغفر الله لا حول ولا قوة الا بالله

— نعم ياسيدتي . ولهذا منعته وقلت له ان المطر في بلادنا غضب من الله فلا أسمح لك ان تهيج غضب الله تعالى . فعدل حليم عن هذه الفكرة وعدل عن مشروع آخر وهو ان يجمع حرارة الشمس في أنابيب زجاجية و يغلي بها المياه و يستعمل بخارها لتسيير القطرات و بابورات الماء فمنعته لئلا يستولي البرد على القطر المصري في ايام حاجة القطن الى حر الشمس . وكذلك كان في نيته ان يجمع نور الشمس فى مرايات مجوفة كالحمل الكبيرة لكي . .

وهنا توقف احمد الزعروري عن الكلام اذ أغلق عليه . فقالت له زينب : لكي . . ماذا ؟ .

— والله ياسيدتي الهانم لا أدري فهو كان يشرح لي وأنا لا أفهم كل ما يشرحه لانه كما لا يخفى عليك فيلسوف يعرف ما لا يعرفه سائر الناس . ولو جمع نور الشمس كما قلت لك لكان قد غير شكل الدنيا كما قال لي ولكن أنا منعته حتى لا تسود الظلمة على أهل الوطن . ونحن الان فى حاجة الى النور لنرى كيف نسير بعد أن صرنا أحراراً نسير كما نريد ولم نعد مسيرين كالعبيد . وقد اخترع حليم أيضاً . . .

— صه . مهلا . لقد اكتفيت من اختراعات حليم « ربنا يخليه » . وصرت أود ان أعلم النتائج رأساً ولا تهمني المقدمات

فتململ أحمد الزعروري الشيخ حالا

والخولي سابقاً وقال بعد تردد : غرضي ان اقول لك ان حلمنا متعلم مترب عاقل . .

فقالت زينب نازقة قليلا : ولكن ما علاقة هذا القول بفعلته أمس

فتلمظ احمد الزعروري لعابه وقال : قصدي ان اقول لك انه عاقل لا يفعل شيئاً الا يخبرني عنه وقد أخبرني عما جرى أمس و . .

— وماذا اخبرك عن قحته وقلة ادبه وعدم تربيته

فابتسم احمد الزعروري ابتسامة فاشل تلاشت بين شارب بين ولحية شائبة كتلاشي الشفق في دجى مالبث ان هاجمه فجر وقال : لا تقولي هكذا ياهانم . ماذا فعل مما يدل على قلة الادب وعدم التربية ؟

فقطبت زينب هانم وسخطت به قائلة يلوح لي انه لم يخبرك انه سطا على منزلنا

ـ نعم أخبرني . هل سطا للسرقة ؟

ـ ليته سطا لهذا الغرض فكان وزره عندي بسيطاً

ـ لماذا سطا اذاً ياسيدتي ؟

ـ لكي يغازل حكمت، فهل من وزر أعظم من هذا ؟

ـ الحق أنه لا يليق أن يفعل كذلك، كان الواجب أن يتقدم الى الفتاة بالاسلوب الاليق، ولكن لا يخفى عليك ياسيدتي طيش الشبان وحمقهم، فاعذريه . فهو كان يخاف ان يخيب أملا فاستسلم لهواه . فاعذريه انه يحب حكمت حباً شديداً والحب جنون والجنون لا عقاب عليه .

فتبرمت زينب متغيظة جداً وقالت : لقد نصحت له ان يرعوي وافهمته أن جنونه هذا يعرضه للخطر الهائل فلينتصح وأنت تنصحه أيضاً

— ولكنه ياسيدتي يحب الفتاة حباً لا يقاوم

— اقنعه ان هذا الحب عقيم وانصح له ان يرعوي لئلا يضر نفسه

فحملق احمد الزعروري فيها وقال : مولاتي . قلت لك انه يموت حباً بالفتاة

فحملقت هي فيه أيضاً وقالت : وأنا قلت لك أن تنصح له أن يثوب الى رشده

— عجباً . ألا تفهمين ماذا أقول لك؟ ان الفتى كاد يرمي بنفسه فى الترعة في هذا الصباح، ولو لم أتداركه لخسرته وليس عندي غيره . فهل تريدين أن أخسر ابني

فاشتد غضب زينب وكادت تحرقه بشرر عينيها وصاحت به : ويحك ماذا تعني ؟

— أعني ان ابني مريض بحب بنتك مرضاً مميتاً ولا يقيه من الموت الا الزواج بها . فهل يلوح في بالك اني أدعه يموت والدواء موجود . باي شرع هذا ؟

فصاحت به صيحة أخرى كادت تسمع خارج البهو وقالت : صمتاً وخرساً أيها الغبي الذي لا يفهم ما يقول . كنت أظنك آتياً لكي تلتمس مني الصفح على ابنك فاذا بك أشد غروراً وجهلا منه . فلا أدري

باي لسان تتواقح هذه الوقاحة وتقول هذا القول .

فغضب أيضاً احمد الزعروري وقال : عجباً عجباً . ألا تفهمين ان حليما يحب حكمت وانه اذا لم يتزوجها يقتل نفسه . اذا عدت الآن ونصحت له ان يعدل عن حكمت انتحر بلا شك ولا ريب . فهل تظنين اني أدعه يقتل نفسه لاجل خاطرك . كيف تريدين يا زينب هانم ؟ افهمي واحكمي

فكادت زينب تتفتت غيظاً . وقالت : خسئت ياحقير . من أنت حتى تنتظر أن أرضى بتزويج حكمت لابنك . ومن أنتم يا أغبياء حتى يلوح في بالكم ان تؤملوا بان تتزوجوا بنات الذوات . بالله لقد بلغت القحة من عبيدنا ان يؤملوا بمصاهرتنا . فبئس هذا الزمان الذي نحن فيه

فحاول احمد الزعروري ان يملك روعه ويسكن غضب زينب ويقنعها بالبرهان ، فقال لماذا ياسيدتي الهانم لا يتزوج فتى متعلم مترب عاقل ذكي فتاة كحكمت ؟ ماذا ينقصه ؟ المال . عندنا من خيركم كل ما تطلبون مهراً

— نعم من خيرنا . ولو تركتك تسود وتميد في أطياننا لالتهمتها . فكم كان عندك من الاطيان قبل ان سببت بيع العزبتين ؟

— مولاتي . اذا كان المرحوم الباشا كريماً جواداً يفرق هنا وهناك فما ذنبي أنا ..

— وكنت تغنم فرصة كرمه وجوده لكي تثري من ورائهما

— ما أثريت من وراء جود الباشا لان معظم جوده وكرمه ذهب في الحلي والحلل لك

— وقد التزمت أن أبيع تلك الحلي والحلل لكي أسترد عزبة أخرى كنت أنت واسطة رهنها

— لم افعل شيئاً بغير أمر الباشا المرحوم وأنت تعلمين

فاشتد سخط زينب وقالت : كفى . كفى ما أنا في وقت تحقيق الآن .

— لا بأس دعينا من هذا الموضوع . ولنعد الى موضوعنا . انني أدفع مهر حكمت ما ترومين

فحملقت فيه وصرخت : يالله . أما فهمت أن كلامك في هذا الموضوع اهانة ؟ فاقصر عنه

— لا يمكن أن أحتمل رفضك هذا . بل انا اعده اهانة . بماذا تفضلين حكمت على حليم

— ويحك اما فهمت الفرق العظيم بيننا وبينكم بعد . ابن خولي يتزوج بنت باشا هل سمعتها في حياتك ؟ . بل هل سمعت ان بنت باشا تتزوج ابن خادم خادم أبويها

— عفوك ياسيدتي . هذا كلام جدك وجدي . أما نحن الان ففي زمان الحرية والاخاء والمساواة ، والانسان بفعله لا باهله . حكمت متعلمة وحليم متعلم أكثر منها . حكمت غنية وحليم اغنى منها . وحكمت بنت باشا وسأجعل زوجها باشا أيضاً ، المرحوم الباشا كان يبكا قبل ان تولد حكمت

فصار وكذلك حليم سيصير

فتمرمرت زينب وقالت . كفى كفى . هذا امر لا يصير . مستحيل لا تتعب نفسك بالكلام و البراهين

فسخط احمد وقال : وكذلك مستحيل ان ادع ابني يموت لاجل خاطرك . لقد ربيته كل شبر بنزر وانفقت دم قلبي في تعليمه وتربيته وتهذيبه، فهل تنتظرين مني ان اتركه لرحمة حب حكمت وعنادك حتى يموت.

فسخطت زينب : وصاحت يموت «يتفلق» وهل انا مسؤلة عن حب ابنك لك؟ ما اسخف برهانك ايها الغبي

فصاح هو ايضا ابني يموت « ويتفلق » وحكمت تموت وتتفلق ايضا هل تريدين ...

ـ لا تخف فلن يموت

ـ بل ستموت حكمت بحب حليم يا عنيدة. تحبه كما يحبها وهي التي استحبته واستمالته، وهي التي عاهدته انها اذا لم يتسن لها ان تتزوجه رمت نفسها من شباكها وهو لا يريد ان تسبقه الى الانتحار، فرفقا يا عنيدة بقلبين متيمين اما اصابك سهم الحب ولا مرة ؟

فقالت وهي لا تزال هائجة: كل هذا افك وبهتان، مهما يكن الامر فيستحيل ان اسلم بهذا الزواج ، وانا مسألولة عن بنتي اعرف كيف اتدارك هوجها وطيشها

فتنهد احمد الزعروري وقال ـ آه لو كانت بنتك حقيقية ما كنت تسمحين بجرح فؤادها، ولكنك سليطة مستبدة

ـ ويحك هل عندي بنت سواها فأحبها؟ نعم انها بنت زوجي وكان زوجي يعرف جيدا اني احبها اكثر منه ، واني اكرس حياتي لسرورها وسعادتها ، ولهذا اوصى بان اتبناها واكون قيمة عليها مطلقة التصرف بامرها بلا منازع والعالم كله يعرف اني بعد وفاة زوجي عنيت بها واحببتها اكثر مني في حياته . فليس غيرك من يظن أني استبد بها لاجل نفسي أولما رب سوى الحرص على سعادتها ومقامها وشرفها . فلذلك أقول لك انه لن يتزوج حكمت الا نبيل عظيم ابن ذات عظيم كما أوصاني أبوها

ـ وأنا أقول لك انه لا يتزوج حكمت الا حليم لانها تحبه وهو يحبها . و بعد عامين ستخرج من تحت رعايتك وثم امنعيها عن زواجه ان كنت قادرة . ولكني أقول لك الان اني لا أصبر سنتين فلسوف أجعل تخيير الفتاة في الزواج حتى في سن القصور شريعة . كفى أن تكون الفتاة عبدة في بيت أهلها ولا ارادة لها ، ونحن قد نلنا استقلالنا وكفى ان يتفوق علينا الذوات والباشوات وورثة الثروات ، وقد صار لنا دستور يساوي أفراد الشعب بعضهم ببعض

فضحكت زينب في ابان غضبها ضحكة الساخر . وقالت : ما شاء الله ما شاء الله. لسوف يرينا الاستقلال من غرور الجهال ما لم يكن ليخطر على بال . الحق ان الذي يناقش جاهلا غبياً هو أجهل منه وأغبى . العلك تظن يا هذا ان المال يصنع رجالا . لقد ولدت جاهلا وستبقى جاهلا ولو جمعت مال قارون

فهز أحمد الزعروري رأسه وقال: لسوف ترين ماذا يكون من أجهل الجهال يا هانم

— ماذا يكون ياغبي . هل تظن ان الدستور سيجعلك أهلا مساوياً لنا ويجعل ابنك كفؤاً لبنتي ؟

— نعم لسوف ترين انه سيكون لي حكم شرعي قانوني عليك

فتحمست زينب غاضبة وقالت: أنت ؟

— نعم أنا حين أكون عضواً في البرلمان وأقرر ان المرأة لا يحق لها ان تتداخل في أمر زواج بنت زوجها ولا سيما اذا كان زوجها ميتاً . وأقرر ان المرأة لا تصلح أن تكون وصية . وأقرر ان المرأة لا يحق ان ترث شيئاً من زوجها اذا كانت ثانية .

فسخطت به قائلة خسئت . انت ؟ انت ستكون عضواً في البارلمان ؟ على ما ذا ياغبي ؟ . على وجاهتك او علمك او عقلك ؟

فقهقه احمد و قال : اني صائر عضواً في البارلمان ياهانم . ولا ينقصني من الشروط شيء . ان القانون يشترط ان اعرف القراءة والكتابة

— ومتى كنت تقرأ ؟

— لقد تعلمت أن «أفك الخط» وأوقع اسمي وكفى . ومن يمتحن المنتخبين أو المرشحين؟ ثم اني بثروتي أقدر أن أكون ثلاثة نواب . وقد رشحني اهل مركز ب . م . ولا منازع لي فانا ابشرك اني منذ الان عضو في البرلمان . وسأصير بيكا، و بعد ذلك باشا . واذا رغبت يوماً ان تكوني زوجتي فسأرفضك بلا شفقة ولا رحمة حتى ولو انتحرت حباً وغراماً . وأما حليم فلسوف يتزوج حكمت وستكونين حماته الطائعة، شئت او لم تشائي، لانه سيكون وزير الزراعة قبل ان يكون رئيس الوزراء. السلام عليكم

ونهض أحمد في الحال وخرج تاركاً زينب تفكر بهذا الكلام وتزنه. ولكنها كادت تظن انها كانت في حلم

* * *

الى تلك الساعة لم تكن زينب قد رأت حكمت بعد . لان حكمت تأخرت في مخدعها . وقد لاح في بال زينب سبب تأخرها. وفيما كانت زينب تفكر في الاسلوب الذي تستكشف به ما في ضمير حكمت وقلبها وافى احمد الزعروري قبل ان تجتمع بها وجرى بينهما من الجدال ما جرى كما علم القارىء وتركها احمد اشد ارتباكا في امر استنكاه ضمير حكمت من قبل. وصارت حائرة في كيف تبادئها في الموضوع وباي لهجة وأي اسلوب. ولكن الحال لم تدعها في حيرة لانه ما خرج احمد الزعروري حتى دخلت الخادمة خديجة وقالت: مولاتي ان حكمت في حالة اغماء

فهبت زينب مذعورة وقالت : و يلي ماذا جرى لها !

ودخلت فاذا الفتاة في غيبوبة صامتة لا تعي . فاستدعت الطبيب في الحال وعالجها حتى استفاقت . ثم قال لزينب ان الفتاة سليمة من اي مرض، وانما هي في تأثر

شديد لامر اجهله فابحثي عنه برفق و رقة وحاذري ان تهيجي اعصابها لئلا تعتريها نوبة اشد

ففهمت زينب ان الفتاة في غرام حقيقي كما قال احمد الزعروري وعلمت انها كانت تتسمع على الحديث الذي جرى من وراء باب آخر للبهو فاسقط بيدها لا تدري كيف تتلافى قضاء الحب القاهر .

ولما اطمأنت على صحة حكمت بعض الاطمئنان جنحت الى مخدعها لكي تفكر في خطة تترسمها لانقاذ الفتاة من شرك حب تعده معرة لها .

وهناك وقع نظرها على جريدة فتناولتها وجعلت تقلبها وفكرها متوزع، ولكن ابت المقادير الا ان تستهدفها لسهم اثرسهم، فوقع نظرها مصادفة على خبر مفاده ان احمد الزعروري مرشح للانتخاب عن مركز ب . م وليس له منازع . فاستلقت على المقعد واهية من شدة التأثر وقالت في نفسها: تبا له ! يكاد هذا الغبي يكيدني . والله لن ادعه

الفصل الثالث

علوج الرجال حكام مهذبات السيدات

قضت زينب ذلك النهار تغلي غيظاً وتفور حنقا وهي تشفق أن تكلم حكمت كلمة ما دامت في ذلك الاضطراب العصبي المروع .

ولكنها لم تستطع احتمال ذلك الفوران الدائم والتمست منفذاً لتصريف غيظها . فلم تجد الا ان تزور احدى الصواحب . وقرائن الحال اخطرت على بالها السيدة الفاضلة الوطنية هدى هانم رئيسة لجنة اتحاد النساء فما ترددت في ان قصدت اليها زائرة فرحبت تلك بها ترحاب الكريمة بالكريمة واستأنست بها استئناس الصديق الودود بالخل الوفي .وما خفي على السيدة هدى قلق زينب واضطرابها بالرغم من تكلفها الابتسام

فقالت لها مازحة : مابالك منقبة بنقاب من زعفران الوجل وغضونه من تقطيب الغضب؟ هل خسرت في البورصة مبلغاً وافراً؟

فبالغت زينب في الابتسام قائلة : هي مرة ضاربتها وخسرت وتبت، فهل تشهرني صواحبي لزلة واحدة و يؤاخذنني عليها عند كل لقاء ؟

— ولماذا تحسبينها زلة يا عزيزتي زينب؟ أن المضاربة في البورصة أصبحت فخر الرجال اليوم وأنت تشتغلين شغل الرجال فتديرين حركة زراعتك وسوق غلالك خيراً من أي رجل . فلماذا تحسبينها زلة ؟ انني أفخر بك يا زينب وان كنت أجحد المضاربة في

البورصة التي هي ضرب من المقامرة .

— أخاف ياعزيزتي هدى انك تحسبيني مسترجلة . والاسترجال يعدونه منقصة

— معاذ الله أن أحسبك مسترجلة بالمعنى الذي يستعملون له هذه اللفظة . وانما أحسبك في مقام رجل من حيث مقدرتك على ادارة أشغالك كخير الرجال فى حين انك ما زلت فى رقة السيدات ولطفهن وأدبهن وحشمتهن . وتزيدين على السواد الاعظم منهن بالجرأة الحقة التي نحتاج اليها فى الحرص على حقوقنا الاجتماعية

فابتسمت زينب مستبشرة متهللة وقالت: تعنين بحقوقنا الاجتماعية الحقوق التي قررتها اللجنة وعرضتها فى مؤتمر اتحاد النساء العام بواسطتك ؟

— نعم أما هي حقوق اجتماعية للمرأة

— لا ريب انها كذلك ولكنها ليست كل حقوق المرأة

— ليست كل حقوقها، وانما هي أهمها

— كلا ليست أهمها بل هي أقل حقوق المرأة أهمية

— ماذا تذكرين أهم من تلك النقط التي بسطناها ؟

فتمطت زينب ثم تململت ، وقالت وهي تقلون تبعاً لتقلبات تأثرها : يقولون انه صار لنا دستور حكومة ذاتية

— نعم والحمد لله وشكراً لابطال نهضتنا الذين جازفوا بحياتهم ورحمة على شهداء الوطن الذين ضحوا بدمائهم في سبيل الاستقلال

— والف حمد وشكر ورحمة . و يقولون انه بمقتضى هذا الدستور ستتأيد المساواة الفعلية بين أفراد الشعب

— طبعاً طبعاً

— وسيكون لنا مجلس شورى يسميه المتفرنجون بارلماناً ينتخب الشعب أعضاءه

— نعم

— وسيكون هذا المجلس الشوري مهيمنا على الحكومة يسن لها القوانين و يوليها سلطة تنفيذها

— كذا نظامات الحكومات الذاتية اليوم في كل البلاد المتمدنة

— حسناً جداً . وهل تعلمين ياعزيزتي ماذا يجب أن تكون صفات الاشخاص الذين يليقون للنيابة و يحق لهم أن يرشحوا أنفسهم لعضوية « البرلمان »؟

— فهمت ان النائب يجب ان يحسن القراءة والكتابة ليس الا

— هذا فقط ؟

ففكرت السيدة هدى هنيهة ثم قالت: نعم . هذا فقط لا أتذكر شرطاً جوهرياً غير ما تقدم

— أظنك ياعزيزتي نسيت أهم شرط

— ما هو ؟

ستقطنين له . هبي أن فلاحاً من فلاحيكم لم تسقه المقادير في حياته الى السجن مع انه كان يستحقه وبحسن صبره استطاع ان « يفك الخط » كما يقولون وان يعرف كيف يوقع اسمه أفلا يحق له ان يرشح نفسه للنيابة

– لا أرى مانعاً من ترشيحه نفسه

– واذا كان حوله من الاهل والاقارب «والجدعان» من يكفل له الاصوات اللازمة؟

– يكون ذا حق بالعضوية في مجلس النواب

– حسناً . وحينئذ هو وأمثاله يحق لهم أن يسنوا قوانين تسوغ للرجل أن يستعبد زوجته وبنته وأخته ، وان يضربهن اذا تراءى له انهن عاصيات ، وان يطلق زوجته لغير سبب، وان يحرمها حقوقها المدنية لاقل سبب . ولهم ان يسنوا قوانين تسوغ لابن الفلاح ان يغوي بنت الاعيان و يتزوجها متى شاء و يطلقها متى شاء من غير تحمل أي مسأولية . وذلك العضو وأمثاله يسنون قوانين تقضي بحسبان كل مرأة مهما كانت نبيلة ومتعلمة وذكية وشريفة قاصرة يجب أن تكون كل حياتها تحت وصاية أبيها فأخيها ولا ارادة لها . ولهم أن يسنوا قوانين تقضي باقفال مدارس البنات وحبس الاناث في البيوت بدعوى الحرص على عفافهن وان..

– مهلا . ياعزيزتي مهلا . . . ما هذه التصورات الغريبة . لست أعتقد أن عضواً من أعضاء المجلسين يقول بما تقولين

– اذا كان السواد الاعظم من الشعب يرى كل من رشح نفسه ممن يحسبون بمالهم من الاعيان الذين يستحقون ان ينوبوا عن الامة ، فهل يبعد أن يكون جانب كبير من النواب كهذا؟ واذا كان الرجال بغطرستهم ورجالنا على الخصوص ميالين لاستعباد المرأة فهل يبعد أن يسن برلماننا قوانين عديدة لسلب المرأة حقوقها التي تسعين أنت وغيرك من أفاضل سيداتنا للمحافظة عليها ولتحصيل غيرها ؟

وكانت هدى تسمع كلام زينب وهذه تتورد تحمساً وانفعالا وتلك تكفهر تأثراً لما خامرها من اليأس ولكنها لم تستسلم لهذه الفروض الموهومة فقالت : لله منك ياعزيزتي زينب . هل تظنين ان البلاد خالية من الرجال العقلاء الراقين الذين يستحيل عليهم أن يسلموا بتقهقر كهذا ؟

– ان الرجال قليلون ياعزيزتي

– ولكن الرجال الذين استطاعوا أن يستردوا للامة استقلالها يستطيعون قيادتها

– نعم استطاعوا أن يستردوا استقلالها بلا انتخاب للنيابة بل بفعل اجماع الرأي العام الطبيعي . وأما البرلمان فسيكون مجموعة منتخبين على نحو ما شرحت لك، وستكونين أنت أيتها النبيلة الشريفة المحتشمة الراقية وألوف غيرك من النساء تحت رحمة عدد معدود من أمثال هذا العلج الاناني النفساني. سيكون لهذا الهمجي حق النيابة عنك وعن ألوف مثيلاتك لانه استوفى الشروط الرئيسية وهي انه يعرف أن يوقع اسمه ولم يصدر عليه حكم من محكمة وشرط ثالث أيضاً لا تفطنين له

ـ ماهو ؟

ـ كونه رجلا لا مرأة . و بهذا الشرط حق له أن يهيمن على مصالحك الحيوية بل على حياتك ولوكان غبياً عاجزاً . و بهذا الشرط تحرم عليك ان يكون لك اقل رأي في شؤونك ولوكنت فيلسوفة وملاكا ونبيلة. هل رأيت ان هذا الدستور الذي نفرح به الآن انما هو خطر على حقوقنا الاجتماعية المقدسة لان قانون الانتخاب ينقص شرطاً جوهرياً جداً لم نفطن له في جلسات جمعيتنا أو لم نحسب له الاهمية التي يستحقها

وكانت زينب تزداد حماسة وهدى تزداد اكفهراراً تأثراً من روح هذا الكلام. فقالت هدى : كأنك تقولين أنه يجب ان نطالب بحقوق السيدات في الانتخاب

ـ نعم وحقوق النيابة أيضاً. لاني لا أفهم كيف يسوغ لفلاح جلف غبي نفساني أن يكون نائب الامه ولا يسوغ ذلك لسيدة راقية عاقلة حكيمة مثلك . ولا أقدر أن أتصور ان ذلك الجلف العتل يصلح للنيابة وأنت لا تصلحين لها . أليس من شواذ هذا الزمان ان تكون مصالح العائلات الراقية الحيوية تحت سيطرة الاغبياء

على ان هدى مع شدة تأثرها من هذا الكلام الخطابي المنمق لم تستسلم لتأثيره، بل قابلت الحجة بالحجة وقالت اني واثقة تمام الثقة أيتها العزيزة ان مجلسي شورانا لا يحتويان على أحد كما وصفت بل يجمعان نخبة رجالنا ونخبة أفاضلنا. فاطمئني من هذا القبيل ان كنت في خوف من نتيجة سيئة . اكاد أعتقد أن أمراً شخصياً حدا بك الى الحماسة في هذا الموضوع . فلا أدري هل أنا مخطئة الظن ؟

ـ لا . ان ذكية مثلك يندر ان تخطيء ظناً ولكنك قد بالغت بالتفاؤل في مستقبل شورانا وأخطأت الظن في أن يكون مجلسانا خاليين من العلوج ولو علج واحد . فخذي واقرئي

ودفعت زينب لهدى جريدة السياسة وأطلعتها على خبر ترشيح احمد الزعروري في مجلس النواب . ثم قالت لها : هل تعرفين من هو احمد الزعروري هذا ؟

ـ لا

ـ لقد كان خولياً عند المرحوم الباشا زوجي وبالسرقة والمكر والاقتصاد جمع ثروة صغيرة فنمت حتى صار ذا أملاك ثم تمرن على توقيع اسمه والآن يرشح نفسه

ـ لا بد ياعزيزتي أن يكون في الرجل فضائل تجعل جمهوراً من أهل بلده يجمعون على انتخابه

ـ أي نعم أن فضائله هي ما وصفتها لك من الاستبداد بالمرأة وحرمانها كل حقوقها واستعبادها

وهنا أشتد تهيج خلق زينب حتى فهمت هدى ان لها حادثة سيئة مع هذا الرجل . فاستدرجتها في الحديث الى ان روت لها

الحكاية كما عرفها القاريء رواية صديقة تستخلص صديقتها وتستأمنها على سرها

ولما انتهت زينب من الرواية قالت لها هدى لاتخافي ان شخصاً كهذا اذا توصل الى مجلس النواب لا يستطيع ان يفعل شيئاً بين مئتين من الاعضاء الذين سيكونون كلهم عقلاء

– أجل لست خائفة البتة ولكن يعز ياعزيزتي هدى أن يكون جلفا كهذا في مجلس النواب ولا يكون فيه سيدة ذكية مثلك حتى اذا تجاسر أن يرفع صوته ضد حقوق النساء أخرسته وأصمتته

فتبسمت السيدة هدى وقالت : كأنك تحضينني على الدعوة الى المطالبة بحقوق الانتخاب للسيدات

– نعم . نعم . ماذا يمنعنا من ذلك . ليست نساؤنا المتعلمات أقل علماً من رجالنا المتعلمين وليست جاهلاتنا أكثر جهلا من جهالنا

– مع رغبتي في ان يكون لنا هذا الحق فاني لا أرى الدعوة للمطالبة به الآن فى حينها . أن همنا الاول الآن ونحن لم نظفر بعد بالاستقلال الحقيقي كل الظفر ان يكون مجلس نوابنا شاملا للاشخاص الذين يمثلون سواد الامة تمثيلا حقيقياً دون غيرهم والذين يضعون مصلحة الامة وحقوقها فوق كل مصلحة وكل حق. هذا ما يجب أن ندعو له الان وهذا مايجب أن نرفع فيه صوتنا . ومتى استتب لنا بارلماننا ورسخ دستورنا نشرع بالدعوة الى المطالبة بحقوق الانتخاب للنساء

عند ذلك أبلغت الخادمة سيدتها ان بعض السيدات وافين للزيارة . فاستقبلتهن السيدة هدى مرحبة . فاذا بينهن بعض أعضاء لجنة اتحاد النساء

وما استوين في مجالسهن حتى أوقدت زينب جذوة الحديث في الموضوع ودارت بينهن مناقشة حادة فيه وكان معظمهن من حزب المطالبات بحق الانتخاب . وما انتهى حديثهن الا مقررات قراراً خطير الشأن وهو أن يشتغلن في الانتخاب الحالي جهد طاقتهن في انتخاب الاشخاص الذين لا يستنكفون حق المرأة بالانتخاب أي الاشخاص الذين يكونون من حزبهن، حتى اذا قمن بدعوتهن صادفت الدعوة فى مجلس الشورى قبولا ورضاء ومساعدة .

أما زينب فكان جل غرضها من كل هذه الحركة ان تتخذ كل الوسائل لاحباط سعي احمد الزعروري في الانتخاب

الفصل الرابع

رسالة الورود

وكان بين الزائرات سيدة كهلة ذكية رشيقة الحديث والقوام معاً وعذبة الكلام وهي صديقة لزينب وقد أشتدت صداقتهما في تلك الجلسة اذ كانت هذه السيدة شديدة الحماسة في تأييد الدعوة لحق الانتخاب . واسمها ليلى العامرية . فلما ارفض المجلس غمزت زينب صديقتها ليلى هذه ان تخرج معها وترافقها . فخرجتا معاً وركبت مركبة والحت زينب على ليلى ان تقضي ذلك المساء عندها حتى العشاء فقبلت ليلى الدعوة

وفيما المركبة تندفع بهما اذ راعهما سقوط شيء عند قدميهما . ولكن مالبث روعهما ان زال اذ رأتا امامهما باقة زهور أنيقة جداً فتناولتها ليلى وقالت: ـ من رمى هذه الينا؟ فقالت زينب مستغربة مرتبكة : الله اعلم

فقالت ليلى وهي تتامل الباقة: لعلها لك

ـ لماذا تظنين هكذا ياأختي . لماذا لاتكون لك ؟

ـ لاادري ممن هي . اما رأيت من رماها ؟

ـ لم انتبه لاحد

ـ ارى فيها بطاقة

ونظرت ليلى في البطاقة وقرأت :

« انى لفي شوق شديد . اين اراك »

فقالت زينب : لاريب انها من اغرار الفتيان المغرورين الذين ماتعودوا ان يحترموا سيدة ولا ان يحسنوا ظنا بسيده . لاجل هؤلاء يجب ان يكون اكثر من نصف مجلس النواب سيدات حتي يسنن قانوناً لجلد كل رجل يتحرش بامرأة عشرين جلدة وكل رجل يقذف مرأة بكلمة غيرمرضية لها ٥٢ جلدة . وكل رجل يتبع سيدة في طريقها ٣٠ جلدة . وكل رجل يكايدمرأة في سبيلها ٣٥ جلدة وكل رجل يتواقح على مرأة اي وقاحة ٥٠ جلدة

فقالت ليلى ضاحكة : والذي رمى هذه الباقة من الزهر بكم جلدة تحكمين عليه ؟

فضحكت زينب وقالت : أحكمي عليه أنت

ـ أخاف أنه يعنيك بهافاجور عليه

ـ اذا كان يعنيني فأني أحكم عليه بخمسين جلدة

ـ لله منك جائرة . أما أنافلا أحكم عليه باكثر من ٢٥ جلدة أوعشرين أوخمسة عشرة

ـ عجبا لماذا هذا الاشفاق . ألعلك تعرفينه ؟

ـ لا . لا . و إنما أخاف أن يكون قريباً أو نسيباً . لاننا ياسيدتي نحن ندين المتطاولين على

السيدات والمتحككين بهن لا نقدر ان نبرر ذوينا أو ننزههم عن هذه النقيصة : أن هذا الداء الوبيل متفش عندنا كثيراحتى صرنا لا نستطيع ان ندعي طهارة ذوينا منه

– صدقت . صدقت . ياليلي ألا تجدين هذا سبباً كافياً لمطالبة السيدات بحقوق الانتخاب ؟

– بل هو سبب كاف لمطالبتهن بالوزارات أيضاً

– و بالقاضوية أيضاً . آه لو صح هذا الحلم وتسنى لى أن أكون قاضية !

– ماذا عسى أن تفعلي حينئذ ؟

– كنت أحرم الزواج بتاتاً على كل من حكم عليه حكماً باحدى الجلدات التي سبق بيانها

– ويحك . ما كفى الفتيات كساداً حتى تسدى ابواب الاسواق عليهن من كل ناحية

– بالعكس . حينئذ تروج أسواق الزواج اذ يضطر الفتيان أن يتأدبوا مع النساء كل التأدب

– ولكن ليس الفتيان وحدهم يتحككون بالنساء بل الرجال المتزوجون أيضا وهؤلاء أشد قحة من أولئك

– وهؤلاء أحكم عليهم بالطلاق رغم انوفهم و نفيهم الي صحراء سيناء

وقبل أن يقتربا الى منزل زينب رامت ليلي الى أن ترمى باقة الزهور فمنعتها زينب قائلة : ويحك ! ماذا تفعلين ؟

– أرمي الباقة

– تدنسين بها الطرق الى منزلي ؟ لا دعيها في المركبة حتى اذا كان لصاحبها علاقة مع هذا الحوذي وسأله شيئاً يعلم أننا لم نقبلها فتعود له والا ظننا قبلناها اذا لم يرنا الحوذي نرميها

– صدقت . و إذا أكتشفها الحوذي وهو لم يدر بامرها من قبل حسب اننا نحن نسيناها عنده فان ردها فهمنا ان لا علاقة له برامیها والا ترجح ان له علاقة

– اذا صدق ظني فله علاقة بالحوذي ولهذا أود أن تبقى فى المركبة

– اذاً تظنين بشخص رماها لك

– بل أظن أنه رماها لك

فاجفلت ليلى وقالت عابسة : عجبا . كيف تعرفين شخصاً يرميها لى واننا لا أعرف احدا يجسر أن ...

فابتسمت زينب وقالت : لا تتسرعي بالتفسير ياعزيزتي . ان الذي رماها يظنك مرأة أخري

– من ؟

ساقول لك متى دخلنا الى المنزل

***

و بعد أن اطمأنت على صحة حكمة ورأت انها اطيب نفساً واقل كآبة ، و بعد ان لاطفتها وتحببت اليها وقبلتها عادت الى صديقتها ليلى فاذا هذه قلقة و بادرتها بالسؤال :

من حسبتي رامى الورود ؟

فابتسمت زينب متوردة وقالت : ظنك بنتي

– بنتك حكمت ؟ اذاً عرفت من هو ؟

ـ اذا صدق ظني فقد عرفته

ـ فقالت ليلي مترددة : ولكن لماذا يفعل هكذا اذا ... العله لا يعلم من هي؟

ـ بلى يعلم جيداً من هي ولكنه لا يجد وسيلة لتقديم باقة ورود لها غير هذه الوسيلة

ـ عجباً ! تعنين انه ... طفيلي

ـ نعم . ويعلم ان بينه وبينها حجاباً منيعاً

ـ يا للعجب ! يعلم ذلك ولا يزال يتجاسر؟

فتنهدت زينب وقالت : آه ! ياعزيزتي ليلى . لمن أشكو معضلتي

ـ إذاً في الامر معضلة ؟ ماهي . اني صديقتك المخلصة يازينب . أخبريني

ـ المصيبة ان الفتاة تحبه كما يحبها

ـ من هو هذا الحبيب العاشق

ـ آه ! هنا النكبة . لو كان كفؤاً لها ما منعته ولكن ... آه

ـ من هو ؟ هل أعرفه

ـ لا اظنك تعرفينه . هو ابن احمد الزعروري الذي كان خولياً عندنا وقد طردته منذ اخذ يتداخل في شؤوننا الخاصة وصار يثري من وراء خياناته لنا

ففتحت ليلى فمها مبهوتة ثم قالت : عجبا عجبا . ما خطر لي ان حكمت تهوى فتى حقيرا كهذا . اعهد حكمت عاقلة انوفة ابية فكيف حدث انها وقعت في احبولة فتى غر كهذا ؟ لابد ان يكون في الفتى ما يغر

ـ الحق إن الفتى على شيء من الملاحة ياليلى . ولو رأيته لما ظننت انه ابن قروي فلاح بل لحسبته ابن عين من الاعيان . ولعل التعليم الراقي جمل مظهر الفتى كما جمل مضمره . فقد فهمت انه متعلم تعليما عاليا . وكنت ارى الفتى في حداثته يوم كان ابوه خادما عندنا فاشعر انه ذكي نبيه . ومنذ عهد الحداثة كان يرى حكمت واحياناً كان يلاعبها . وماخطر لي أن تلاعب الاطفال والاحداث يوقد جذوة الحب في عهد الشبيبة . كنت أظن ان عشرة الحداثة حلم ينقضي ويتناسى في دور البلوغ . فاذا بي أرى ان الحب يبدأ مع حياة الانسان وينمو معها . فحب حكمت لذلك الفتى نما معهما منذ الصغر حتى صار متمكناً ولا أدري كيف أستأصله . فبالله اسعفيني برأيك ياليلى . ان الفتى مغرم بالفتاة أي غرام ويخاطر لاجل التوصل الى مشاهدتها كل مخاطرة . وأمس جازف بحياته لكي يخالسها بعض كلمات كما جازف روميو في مغازلة جوليت

وهنا روت زينب لليلى حادثة أمس بحروفها كما عرفها القاريء . ثم قالت : والظاهر ان الفتى اعتاد أن يصعد الى الشجرة في الحديقة مقابل غرفة حكمت ويهامسها وأمس لاح شبحي في الايوان فظنه شبح حكمت فجعل يهامسني . ولا أدري كم مرة اتصل لمهامسة حكمت بهذا الاسلوب الذي لا أظن انه اهتدى الى أسلوب أفضل منه بعد .

وكانت ليلى تسمع الحديث مندهشة الى

أن قالت : كأنك تروين لي قصة خيالية ياعزيزتي زينب . وماذا قالت حكمت بعد أن اكتشفت الامر

— لم أفاتحها بهذا الموضوع بعد ولا أدري كيف أفاتحها به من غير أن تتأثر كما تأثرت اليوم حتى خفت على حياتها . ان الفتاة عصبية المزاج جداً ويخشى على صحتها من جراء تأثرها. ولهذا أود منك أن تتولي أنت أمر اقناعها بأن ميلها الى ذلك الفتى معرة وانها اذا تمادت في هذا الميل رمت نفسها في حمأة قذرة

ثم روت زينب لليلى ماكان من مناقشة احمد الزعروري لها ومن تهديده بأنه سيكون عضو البرلمان ويفعل مالا يفعله إنسان الى غير ذلك من هذا الهذيان . ثم قالت : ولهذا أود أن أتقي شر ذلك الزعروري الشرير

فضحكت ليلى وقالت : وهل تظنين انه ينجح في الانتخاب ؟ واذا نجح فهل تظنين انه يستطيع أن يفعل شيئاً في البرلمان بين أكثر من مئتي عضو معظمهم أرقى طبقة منه

— لست أخشى أن يفعل شيئاً في البرلمان وانما متى صار عضواً فيه صار له عزوة وأعوان بها بونه ويراعون جانبه وحينئذ يستطيع أن يكيد لي من غير أن أتنبه لكيده

ففكرت ليلى هنيهة ثم قالت : ولكني أفتكر بأمر يازينب !

— وماهو !

— اذا كان الفتى نبيهاً وذكياً ومتعلماً كما تقولين و بينه و بين حكمت هذا الحب فزوجيه حكمت . قديكون زوجاً لها خيراً من أفضل أبناء الذوات . اننا كثيراً ما نضحي بسعادة بناتنا في سبيل تمسكنا بالوجاهة والحسب ونحوهما إذ لايخفى عليك ان معظم أبناء الاعيان أصبحوا لايصلحون رجالا لهذا الزمان لما فيهم من العيوب والنقائص ..

فتململت زينب وقالت : لا . لا . لاأقدر أن أجعل حكمت كنة لذلك الجلف . لا . لا . ياليلى لا أريد . لا أطيق

— اذا كان في الامكان اقناع حكمت فلا بأس . ولكني أخاف أن يكون اقناعها ضربا من المحال . فماذا تفعلين حينئذ يا عزيزتي .

فتمرمرت زينب جداً وقالت : بربك يا ليلى لا توئسيني . ان في نفسي مشروعا لاح في بالي مراراً من قبل وكنت اتنكص عنه لما أرى دونه من العقبات . ولكني في هذا اليوم بعد الذي جرى وطدت العزيمة على السعي اليه وبذل كل جهد في ازالة العقبات من السبيل

— هل في مشروعك حل لهذه العقدة

— كذا أؤمل

— من غير خطر على حياة حكمت ؟

— من غير خطر على أحد

— خير إن شاء الله . ما هو ؟

— هو أن أجد لحكمت العريس الذي كنت أتمناه لها عريساً . وحينئذ أؤمل أنها ستحبه وتعدل عن حليم الزعروري

— تقصدين شخصاً معيناً ؟

— نعم

— من هو ؟

— ابني

فاقشعرت ليلى وقالت : يا لله لا أفهم ما تقولين . تزوجين بنتك لابنك ؟

فابتسمت زينب وقالت : بل أزوج بنت زوجي لابن زوجته . ان حكمت بنت المرحوم الباشا من زوجة قبلي توفيت عنها طفلة . ثم قيض لي أن أكون لها كأمها فربيتها واحببتها ، وأبوها جعلني قيمة عليها بلا منازع لي . . .

— وابنك ؟ هل كنت زوجة لآخر قبلا ؟

فاكفهرت زينب وقالت : — نعم هنا السر الذي لا يعرفه أحد والآن أريد أن أستودعه عندك لكي تساعديني في السعي والرأي . هو سر خطير هائل ياليلى . ولولا ثقتي الشديدة باخلاصك وأمانتك . . .

— أكدي انه يبقى سراً مصوناً الى الابد .

ولا يخفى غرام السيدات في استطلاع الاسرار .

الفصل الخامس

تاريخ قديم أليم

قالت زينب : لابد أن يكون قد خالج فكرك ان تستعلمي عن أصلي وفصلي قبل أن أصير زوجة العيوقي باشا

— نعم . لا أخفي عليك ياعزيزتي اني وكثيرات من معارفك كنا نتساءل في ذلك والشائع انك ابنة أحد القرويين — لا تؤاخذيني على تعبيري هذا يازينب . لاني أقول لك بصراحة مايقال فيك — نعم ان الشائع انك فتاة قروية وقد عثر عليك الباشا فأعجبه ذكاؤك وجمالك أيضاً فتزوجك . ويقال انه هو الذي أوعز بتعليمك من قبل وتعلمت على نفقته . ومع ذلك لا تزال بعض صواحبك يرتبن في ذلك أيضاً لان مايشاهدنه من نبلك وعلو نفسك لا يصدر من فتاة قروية

وكانت زينب تسمع وتتورد مبتسمة فقالت : أو ما قلن عني غير ذلك يا ليلى ؟ لابد أن يكن قد قلن أموراً أخرى تعتقدين أنها لا تسرني . فلا بأس أن تقوليها بصراحة كما قلت غيرها . ياليلى لست استاء لاني أعلم ان جهل ماضيّ يحمل على التقول والتأويل فأنا اعذر الناس اذا تقولوا . وأود أن أعلم ما يقولون حتى أعلل لك أسباب اقوالهم

فاكفهرت ليلى قليلا وقالت : نعم يقولون أيضاً انك كنت محظية الباشا قبل ان يتزوجك . وان زوجته السابقة ماتت غماً بسبب ذلك

— أو ما قالوا أيضاً أموراً أخرى

— بلى . قالوا أيضا انك كنت محظية

شخص آخر قبل الباشا

فانتفضت زينب وقالت مكفهرة : أما ذكروا من هو ؟

— ما استطاع أحد أن يعين شخصاً لان ماضيك غامض جداً يا زينب . وانما لمعان حاضرك يجعل ذلك الماضي كانه لم يكن. ان جميع الذين يعرفونك يا زينب يعجبون باخلاقك. ولطفك وطيبة قلبك فلا يعلقون أقل أهمية على ماضيك

فاعتدلت زينب في مقعدها وقالت : اني أعذر الناس فيما يقولون ياليلى، وأحمدهم لاعتبارهم حاضري واغضائهم عما يتوهمونه من ماضي. نعم ان ماضي مجهول ياليلى ولكنه ليس قاتماً كثيراً . لم اكن محظية الباشا ولا محظية غيره . وما كنت في حياتي الا زوجة شرعية أمينة مخلصة محبة . وكان الحب غريمي الذي تعذبت بسببه . ان الحب المقدس الطاهر في وسط خبيث نجس يكون ويلاً على صاحبه . نعم ان الحب مصيبة على المحب اذا كان المحبوب لا يقدره حق قدره ولا يعرف قيمته

وهنا تنهدت زينب وسكتت هنيهة كانها تصلي في معبد الحب وليلى صامتة صاغية كانها في هيكل الحب المقدس. وبعد هنيهة استأنفت زينب الحديث فقالت: لست ياعزيزتي ليلى قروية بل أنا بنت رجل كان موظفاً وذا مقام معتبر ... عفواً ... لا ترغبي الي أن أخبرك من هو. لاني أود أن يبقى ذلك الماضي كتاباً مقفلا فاحسبي اني أروي لك رواية خيالية أو أخبرك عن شخص غريب. نعم اني بنت رجل ذي وجاهة ونفوذ ومبادىء سامية . وقد علمني وربائي وحرص على عفافي ولكنه لم يستطع أن يخمد في جذوة الحب التي أوقدها الله في البشر ولا قدر أن يخبىء ذلك النور السماوي تحت مكيال . فأحببت . والى الآن لا أعتقد أن الحب إثم وانما بعض الناس أثمة يدنسون الحب الطاهر

أحببت فتى ظريفا لطيفاً ابن أب غني وجيه . أحببته لانه أحبني وتحبب لي بل استمات في حبي واستمالته هذه جعلتني أن أستسلم لهواه .. ولكن آه ياليلى. ان الغنى والجاه لا يجلبان فضيلة . فلا ذلك الفتى ولا أبوه كانا على شيء من الادب والفضيلة . فالابن كان غلاماً غراً لم يرب فيه أبوه شيئاً من الاخلاق النبيلة ولا المحامد سوى التبرج الخداع . والاب كان حريصاً على المال يبذل جهده في تحصيله بأية الوسائل دنيئة كانت أو شريفة لا فرق عنده . ولا ينفقها الا على شهواته . أما أنا فكنت فتاة في أول عهد البلوغ لم أختبر شيئاً في الدنيا بعد والفتى أنيق لطيف غرار فكان من يطلبني من أبي . فرفضه أبي بتاتاً . فاستغربت رفضه وحسبت

أبي جائراً عنيداً متعنتاً بغير حق، لاني أعلم ان أبا الفتى وجيه غني، والفتى نفسه متعلم، فبماذا يطمع أبي بعد ذلك ؟ هل يبتغي أن يزوجني ابن الامير ؟ لذلك كنت أحسب أبي سيء الرأي ، وما دريت أنه يعرف ما لا أعرفه ! يعرف ان المال والجاه لا يكفلان أخلاقاً راقية .. آه ..واحسرتاه.. ان أبي كان حريصاً على سعادتي وأنا جاهلة غبية . لهذا أريد أن أنقذ حكمت من مثل الشر الذي وقعت انا فيه

فقالت ليلي متلاظة لعابها بعد ذلك السكوت : نعم . يحق لك ان تسهري على سلامتها من اخطار الشبيبة بعد الذي اختبرته. نعم لا يجوز ان تخرج الفتاة من تحت طاعة ابويها الى طاعة قلبها وحبها .

ـ مع ذلك . لا اعتقد ياعزيزتي ليلي ان الحب منقصة ولا الوم حكمت في حبها وغرامها . ولا اعد نفسي مذنبة في جبني لذلك الفتى قط . وانما المذنب هو وابوه لانهما خانا حبي وعهدي ... لما رفض ابي طلب الفتى او بالاحرى طلب ابيه ، لان اباه كان موافقاً على الطلب ، جعل الفتى يغريني على ان اتزوجه سراً من غير ارادة أبي ، حتى متى رأى أبي نفسه أمام امر واقع اضطر أن يرضى وكان ابوه بالسر يؤيد هذا الرأي ويحبذه كثيراً .. فاقتنعت بهذه البرهان ولاسيما لاني كنت اعتقد ان تعنت ابي غير حق وما لبثت ان طاوعت الفتى وكتبنا الكتاب سراً وصرت زوجته الشرعية. ولما بلغ الخبر الى أبي أوفد من يبلغني انه براء مني. فشعرت بالم ولكني قلت في نفسي لسوف يدرك أبي خطاءه . على اني ما لبثت انا أن ادركت خطائي العظيم اذ انحدرت الى الهاوية التي كان ابي يقيني منها . ما لبثت ان وجدت نفسي مطرودة مع زوجي من بيت ابيه. وابوه لا يدفع له جعلا شهرياً الا بضع جنيهات اعتاد ان يدفعها له في عهد عزوبته « كنفقة جيبه » وزوجي لا يحسن عملا قط وقد تربى تربية سيئة جداً بحيث ليس عنده جلد لعمل ولا يستطيع ان يقضي نهاره الا بالشرب واللهو والبطالة . اكتشفت اني لم اتزوج رجلا بل مخنثاً ، فاسداً خليعاً منغمساً بالشهوات كابيه. فحاولت ان استرضي اباه واستعطفه. فكان اعتذاره ان والدي رفض مصاهرته فهو يرفضها أيضاً من جهته ولا يرضى عن هذا الزواج .وقال لي ان اتكل على ابي في معيشتي لا عليه. ولكني تحققت بعدئذ انه هو الذي اوعز لابنه ان يغريني حتى اقع في الفخ نكاية بابي الذي رفض طلبه. فتأملي شر البشر وخبثهم ولؤمهم

وبالرغم من التوسل والاستعطاف ووسائط الاصدقاء بقي ذلك الحمو القاسي مصراً على

طردي مع زوجي . واقتنعت أخيراً أن هذا الرجل خال من كل عاطفة شريفة ولا يدفع جنيها ليس له من وراء دفعه منفعة شخصية له ولو ترجاه جميع الناس . فهو رجل مادي شهواني محض شرير يكتسب المال بطرق دنيئة فهو يصاحب المقامرين حتى اذا خسر الواحد منهم كل ما معه من النقد رهن عنده ساعته أو خاتمه الثمين بربع القيمة واذا عجز عن الايفاء في تلك الليلة كانت الرهينة غنيمة لذاك . بمثل هذا الاسلوب الدنيء ونحوه من أساليب الربا الفاحش جمع ثروة طائلة . وهو يبددها على شهوته ويضن الا بالنزر القليل منها على أولاده الذين لم يرب فيهم شيئا من صنوف الرجولية . .

وكانت ليلى تسمع الحديث وتتميز غيظا الى أن ضاق ذرعها فقالت — تالله من هو هذا الوحش السافل ؟

— عفواً يا عزيزتي ليلى . بربك دعي الماضي سفراً مختوما . تصوري أني أروي لك قصة خيالية عن مرأة غير زينب العيوقي

— عذراً يا عزيزتي زينب ان من يسمع حكاية كهذه ولو كانت خيالية لا يستطيع أن يتدارك تأثره . فكيف اذا كانت حقيقية؟ ثم ماذا جرى بعد ذلك ؟

— صبرت على المخض ولكن الصبر لا يكفل حياة . قد يفضي الصبر الى الموت . عشت بضعة أشهر في منتهى الذل والشح وزوجي لا ينال الا بعض جنيهات من أبيه ولا يعطيني منها الا ما يفضل عن حاجته لشربه وطربه ولهوه وهيهات أن يفضل منها شيء . لم يكن زوجي بأنبل نفساً من أبيه . فعنده لذة نفسه أولا . ولذلك لم أكن أحصل منه على جنيه الا بقتال تارة وبعتاب أليم ورجاء أخرى . وكان اذا اشتدت به الحاجة أسرع الى أمه فتعطف عليه وتنفحه ما تصل اليه يدها من المال خفية عن أبيه . ولكن أمه ما لبثت أن ماتت من جراء جور أبيه وشره وفساده . . حال لم أستطع احتمالها على الدوام . .

فقالت ليلى متغيظة . . وزوجك ؟ كيف استطاع ؟

فتململت زينب وقالت : قلت لك ان زوجي لم يكن أنبل نفساً من أبيه . فكان اذا لم يبق معه قرش ليبتاع به طعاماً ذهب الى منزل ابيه وأكل فيه وعاد

فانتفضت ليلى وقالت : يا للخسة ! وأنت ؟

لا بأس أن أنام أنا بلا عشاء

فصاحت ليلى : ويحك . لا أصدق ما تقولين . لا أعتقد أن في الدنيا رجالا كهذا

— أقسم لك بحكمت التي أحبها أكثر من نفسي أن ما أقوله بعض الحقيقة

— يا لله ! هل في الدنيا وحوش هكذا ؟

— نعم ياعزيزتي ليلي ان وحوش البشر أقسى قلباً من الوحوش الضارية

— لله ، كيف استطعت أن تحتملي ،

— اضطررت أن أحتمل ذلك الضيم نحو ثلاث سنين في خلالها استعطفت أبي مرتين بواسطة محبين له فعلمت انه يحسب موتي عيداً اذ يمحى عاري من اسمه. وكانت أمي قد ماتت غماً لسوء بختي، وكانت أختي الصغرى تنسل أحياناً الي سراً وتعطيني ماتتلقطه من النقود بأساليب مختلفة في البيت

— وأخيراً كيف خلصت من ذلك الجحيم ؟

— كنت أبتغي الموت الذي رغبه أبي الي وانما كان يردني عنه طفل هو ثمرة ذلك الزواج التعس

— يالله : يالله . انها لثمرة مرة

— نعم نعم . مرة وقد ازدادت مرارة حين خطر لذلك الحمو الدنيء الشرير أن يسافر الى أوربا لترويح النفس واضطر ابنه أن يبرح معه لئلا يحتاج الى الفلوس فلا يجد من يدفعها له في غياب أبيه

يارباه . وأنت يا زينب ؟

— بقيت أنا وابني والدهر . ضاق ذرعي : انقلبت عواطفي . أصبحت شريرة القلب: لم أعد أعتقد أن في واحد من الناس رقة أو شفقة . صرت أتصور كل الناس وحوشاً ضارية . فان لم اكن وحشة مثلهم هلكت بينهم . صرت أريد أن أعيش لكي التهم الناس وأنهشهم وأنتقم منهم . عظمت في نفسي فكرة الشر وصرت أعتقد ان الشر في العالم أمر طبيعي وان الطيبة والعطف ونحوهما أمور صناعية يتكلفها الناس تمويهاً بعضهم على بعض

كيف استرزق ؟ يجب ان اشتغل ، ماذا اشتغل وانا لا احسن عملا ؟ لم اجد وسيلة للاسترزاق الا ان اشتغل كمربية لاولاد . فعرضت نفسي لهذا العمل باسم زينب وكتمت حقيقتي القديمة وظهرت للعالم بذاتية جديدة مجهولة الاصل . ولكني ما لبثت ان شعرت ان ابني وهو في اخر الثانية من عمره عقبة في سبيلي . لقد قست هذه الحوادث قلبي حتى صرت اكره ابني

ـ ويحك يازينب

ـ لاتستغربي ياليلى ان معاملة ذلك الفتى وابنه جعلتني العن ابني لانه من سلالتهما. نعم لعنت ابني لانه سيكون سبب تعاستي بعد ابيه وجده الى الابد

ـ انك مخطئة . لم يبق لك تعزية الا في ابنك

ـ نعم الآن وقد زال كربي القديم صرت أشعر اني أخطأت . ولكني في ذلك الحين كرهت العالم كله وكرهت أبي وأخي وأختي

كما كرهت زوجي وابني . وكرهت صواحبي وجميع معارفي لانني صرت أتصورهم يستحون بي ويشمتون بي ويعيرونني . كذلك كرهت ابني لانه ثمرة عاري

في ذلك الحين قيل لي ان ذاتا كبيراً يريد مربية لبنته ولكنه أبى قبولي لانه علم ان لي طفلا . أبى قبولي قبل ان يراني أو يعلم من أنا . لذلك صممت على أن أترك ابني

فصاحت ليلى : ويلاه . كيف يطاوعك قلبك

— والله يا ليلى لقد حاربت قلبي وشويته حتى قسا . . كيف اترك ابني ولمن ؟ خطر لي ان اسلمه لدار لقطاء . ولكني لا ادري لماذا نفرت من هذه الفكرة . رغبت ان يقع الغلام في يد موسر كريم يربيه بعناية ويسخو على تربيته . ولكن كيف ؟ خطر لي ان احفظ حقي بالغلام لعلي اعود فاطلبه واريده فوشمت في اعلى عضده اليسرى حرفي زع

فقالت ليلى على الفور : تعنين . زينب العيوقي

فضحكت زينب وقالت : لا . لم يكن اسمي حينئذ زينب ولا كنت قد عرفت العيوقي باشا . وانما هما حرفا اسمي السابقين المكتومين . وشمته بهذين الحرفين لعلي استطيع ان أدعيه بهما على الاقل . ثم خرجت به وطفت المدينة ...

فقالت ليلى على الفور

— اي مدينة ؟ مصر ؟

— عفواً ياعزتي . لاتسلي . تصوري ان قصتي خيالية

— عذراً يازينب ان حكايتك لاتدع الواحدة تملك عنان نفسها عن السؤال . اتمي حديثك . لقد أقلقتني على الغلام . ماذا فعلت به ؟

— طفت به في المدينة وكلما وجدت مكاناً مزدحماً بالناس هممت ان اتركه وامضي عسى ان يأخذه احدهم ويتدبر أمره كما يشاء ولكن لم أجسر ان افعل وكلما صممت على ذلك لا البث ان اعدل . واخيراً بلغت الى متنزه يكثر فيه الناس من طبقة راقية فتركت الطفل عند مقعد أمين وتمشيت متظاهرة اني سأعود . وتغلغلت حتى اختفيت بين الناس ولكني شعرت ان ناراً تتأجج في صدري . بيد أبي قسيت قلبي وخرجت من ذلك المكان الذي هو كحديقة . واسرعت الى وراء سياجه بحيث يمكنني ان اشرف على الغلام عسى ان اراه وأرى ماذا يكون من أمره فما خاب ظني . رأيت الغلام قاعداً على المقعد وامامه امرأة أجنبية تلاعبه فاطمأننت بعض الاطمئنان ولكني اصبحت راغبة أن أعلم هل تأخذه هذه المرأة ؟ وكنت مضطرة ان أتمشى في ذلك الطريق حتى لا يشتبه بي أحد . وجعلت اوصوص من خلال ذلك

السور والنبت المعرش عليه . وكنت أتوهم ان الدنيا كلها عيون ترقبني . وترى جري تصوري قساوة قلبي

فتنهدت ليلى وقالت : ويلك . هل أخذته المرأة الاجنبية ! وهل عرفت من هي ؟

— تمشيت مراراً وكنت كل هنيهة اتطلع الى المقعد الذي عليه الغلام وأرى المرأة تلاعبه وتضاحكه . ثم رأيت الى جانبه مرأة اخري في ثوب يدل على أنها خادمة ولا أدري ان كانت وطنية أو شامية أو رومية . ورأيت تلك المرأة الاجنبية تكلم الخادمة بشأن الغلام فلا ادري ما ذا كان حديثهما . عند ذلك شعرت ان فؤادي يخفق خفوقاً غريباً . فمشيت كالمجنونة ذهاباً وإياباً كأني انتظر تنفيذ حكم علي . نعم كان حكماً صادراً من عقلي المجنون على قلبي المسحوق . كان حكم القضاء ✓

— ثم ماذا يازينب ؟

— تمشيت مرارا مسرعة كأني اهرب من وجه ذلك القضاء . واخيرا التفت الى حيث كنت أرى المقعد فتراءى لي أني أرى وجه ابني يرقص نحوي باسما ضاحكا من خلال ذلك النبات المتعرش . فاستغربت واسرعت الى ذلك المكان لا تحقق ما ارى فلم أر شيئاً . فادركت ان القلق يوهمني ما اراه . حاولت ان أرى ابني على مقعده تداعبه تلك المرأة فلم أره . رأيت بضعة أناس قاعدين على المقعد . ويلاه : هل هو مقعد آخر وقد ضللت عن المقعد الذي تركت ابني عنده ؟ وجعلت اوصوص من منافذ مختلفة في السور عسى ان اهتدى الى مقعد ابني فلم أعد اراه . يالله : هل ضللت عنه ؟ اوهل اخذته المرأة او الخادمة ؟ . ويلي . ابني . أضيعه ؟ هل انا مجنونة ! ثم عاد لي عقلي المجنون وصرت اقول . لنفسي ، بالله . اما هذه هي امنيتي . عسى ان تكون المرأة قد أخذته ... وعدت أتمشى ذهاباً وإياباً كالمجنونة . وأخيراً لم اعد استطيع صبراً . عادت لي عواطفي الوالدية فاندفعت كالتيار الكهربائي الى مدخل الحديقة ووقفت مترددة وجلة . تمشيت الى المقعد الذي تركت الغلام عنده فلم أجده ولم أجد المرأة ولا الخادمة . يالله هل أخذوا الغلام ؟ من أخذه ؟

— أصغيت عسى أن أسمع من يقول كلمة عن الغلام فلم يذكره أحد بكلمة . عجباً هل يؤخذ الغلام كأنه زهرة مهملة ؟ ألا يسأل أحد عن أهله ؟ ويلي : أحقيقي أني فقدت الولد ؟ . سألت شخصاً . هل رأيت ولداً هنا ؟ فأجاب لا . الآخر قال لا . يالله : أخيراً : قالت فتاة ... « كانت خادمة تقود طفلا صغيراً وتقول له : أين أمك ؟ »

فقلت لها — رباه اين هى . من هي

فقالت — ذهبت به من هنا

فأسرعت اطوف في الحديقة الواسعة عسى ان ارى الطفل مع خادمة. فلم أره . اخيراً صرت اسأل فلم يجبني أحد جواباً يدل على مصير ابنى الضائيع « لم أر » « مارايت » « لا ادري » كذا كانت اجوبه الناس لي . انقضى المساء وجعل الناس يتفرقون وتفرقت معهم وأنا بلا ولد . وجعلت اموه على نفسي واعلل الامر قائلة لا بدأن تكون المرأة الاجنبية اللطيفة الانيقة قدأمرت خادمتها أن تأخذ الطفل الى المنزل وستبلغ البوليس عنه حتى يعلم أهله بمكانه: فهل أسأل فى دائرة البوليس ! اني مجنونة لقد رغبت أن أضيعه وأن أمهد له الوقوع فى أيدي أناس راقين لكي يربوه تربية صالحة وها قد تم لى ما أروم فلهذا أستاء

— : يا الله وهل أهملته يازينب

— لا ياليلى كدت أجن فى تلك الليلة وفي اليوم الثاني بلغت دائرة البوليس كلها انى فقدت طفلا وصفه كذا وكذا وترددت بعد ذلك الى دئرة البوليس اسأل عن خبر الولد فلم أجد خبرا ولا أثرا لقد ضاع ابنى وضلت عنه وجعلت أجتهد فى أن أتناساه .

— ويلك . ويلك . فا اقسى فؤادك يازينب

— ان ما ذقته من مضض العيش جعل فؤادي قاسياً ياليلي . شعرت حينئذ اني حرة اللهم الا قيدي بزوجي . ان كرهي لزوجي اشتد واتسع حتى كاد يشمل ابنه أيضاً

— اما طلقك زوجك؟

— رام أن يطلقني فأبيت الا اذا دفع لي المتأخر: وأبوه آلى على نفسه ألا يدفع درهما واحداً قط . ثم سافرا وتركاني لقضاء الله . لو كنت مكانى يا ليلي لفعلت شر مما فعلت

— عجباً . اذاً لا يزال زوجك الاول زوجك

— نعم لانه لما عادا من أوروبا كنت قد فعلت ما فعلت وصار صعبا أن أظهر ولا سيما لان أباه كان يمنعه عن طلاقي زيادة فى نكايتي

— أو ما سأل زوجك عنك وعن الطفل؟

— كلا البتة . بل كان مسروراً انه لم يجدني لما عاد

— يالله من شر قساة القلوب . وما عرف ان الولد فقد ؟

— لعله عرف اني والولد فقدنا معاً . لاني منذ ذلك الحين تنكرت باسمي الجديد واختفيت عن عالمي القديم فلم يعد أحد من معارفي يعرف ماذا كان مصيري لانى تجنبت ذلك الوسط تجنباً تاماً

— اذاً هو لا يعرف الآن عنك شيئاً

— كلا البتة . ولا يدري ان كنت حية أرزق أو مت . وأظنه يعتقد اني والولد في عالم الاموات

— أو مابحث عنك أو عن الولد قط

— لا أدري لاني منذ ذلك الحين ابتعدت عنه بعدا مطلقا ولم أعد أعرف عنه شيئا . وانما عرفت مصادفة منذ بضع سنين ان أباه مات وانه هو ورث مال ابيه وورذائله ونقائصه . وأما اخوته الاخرون فأخذوا حصصهم وانفصلوا بعضهم عن بعض قبل وفاة أبيهم . وهو الوحيد الذي بقي ملازما لابيه طامعا بامتيازات في ميراثه ينالها بعد موته على ما أظن .

— اذا ما رأيت قط بعد ذلك

— كلا البتة ولا أعرف الان عنه شيئا :

— لابد ان يكون قد تزوج

— لا أدري . ولا أريد أن أدري عنه شيئا لان التذكارات الماضية مؤلمة

— ان قصتك لغريبة يازينب . نعم انها لفي منتهى الغرابة . وكيف صرت حرم العيوقي باشا ؟

الفصل السادس

في عالم جديد

— لما صرت حرة طليقة ويئست من وجدان ابني رغبت أن أعيش عيشة العصفور الطليق ولاسيما لان أبي كان في ذلك الحين قد مات أيضا فما طمعت بخير من أخي وأختي . وقيض الله لي ان أربي ولدين لذات من الذوات السراة واعلمهما ما استطيع فقضيت نحو عام وانا مكرمة محترمة عائشة عيشة هنيئة ليس فيها الا نغصة فقدان مركزي القديم الذي كان لي عند أهلي . ولكني ما لبثت أن شعرت ان ابا الولدين يتودد الي سرا عن زوجته وصار يراودني عن نفسي فاحتقرته وافهمته اني لست من النساء المبتذلات . اني حريصة على شرفي فخجل مني واراد ان يرقع المسألة فاقترح علي ان يتزوجني زوجة ثانية . ولما كنت اعلم دناءة نفسه وما يمكن ان ينجم من الخصام الجهنمي بينه وبين زوجته بسببي رفضت اقتراحه وهجرت منزله ظافرة بحسن سمعتي

— مرحى مرحى زينب

— بعد ذلك استخلفتني سيدة اجنبية جليلة فجعلتني عشيرة لها بغية ان تتعلم مني اللغة العربية . فقضيت معها خمس سنين وكنا كل عام نصطاف في أوروبا : وفي السنة السادسة ماتت هذه المرأة في أوروبا وقد

اوصت لي بشيء من ارثها . وفي اوروبا اتفق أن اجتمعت بالمرحومة حرم العيوقي باشا فطلبت اليَّ أن اكون مربية بنتها. وكانت حينئذ في الرابعة من عمرها فلبيت طلبها لأني رأيتها سيدة نبيلة وزوجها رجلا شريفاً وانقضى عامان وأنا أرى من تلك المرأة الطيبة كل لطف وفضل ووداد واخلاص ومن الباشا كل احترام ووقار . وتعلقت بحكمت بنتها تعلقاً يفوق تعلق ابويها بها حتى تأكدت امها اخلاصي لها. وفي ذات يوم مرضت تلك الزوجة الفاضلة واشتد مرضها وكنت امرضها بعناية فائقة. فانتهزت فرصة اهتمامي بها في يوم من الايام وقالت، وأنا أظنها تمزح : إذا مت يازينب فكوني اماً لحكمت

فقلت : عمرك طويل يا سيدتي . لماذا تتشاءمين ؟

فقالت من يدري ؟ كل شيء ممكن في الدنيا . فبالله لا تتركي حكمت

فقلت ان حكمت شاغلة كل شغاف فؤادي . فلا افارقها على كل حال

وكأن المرأة كانت شاعرة بدنو أجلها. فما انقضى على ذلك الكلام اسبوعان حتى قضت الى رحمة ربها مأسوفاً عليها .

— عجيب يازينب. كأن الله يدبر .. ثم .. ماذا

— بعد موتها أصبحت في مركز حرج لا أدري ماذا افعل . هل اترك الفتاة حكمت وأنا مولعة بها . أو كيف ابقى في المنزل . على أن الباشا لم يدعني في ارتباكي غير اسبوع واحد. فقال لي: سمعاً يازينب. إن وجودنا تحت سقف واحد أصبح موضوع انتقاد عند الناس . فلا بد من أحد أمرين . اما أن تهجرينا وهو أمر لا تحتمله حكمت ، أو أن تنفذ وصية زوجتي المرحومة التي اقدس ارادتها

فانتفضت متأثرة وقلت متوردة: وصية المرحومة ؟ ما هي وصيتها ؟

— إن المرحومة كانت تحبك بقدر ما تحبين حكمت . فلما شعرت أن أجلها يدنو همست في اذني كلمتين

فازداد اضطرابي ولا سيما إذ توقف الباشا عن الكلام . وتعلثم لساني فبقيت ساكتة. فقال: هل تعلمين ماذا همست ؟

فقلت بصوت خافت : لا أدري

فقال : بلى تدرين لقد همستهما لك قبلا . هي قالت لي أنها فعلت

فازددت توردا. فقال: أجل ياعزيزتي. لست من الناس الذين يستسهلون الشذوذ أو الخروج عن دائرة الشرع والحلال والحق. فان كنت تشعرين بارتياحك التام الى أن تكوني أماً حقيقية شرعية لحكمت فتكونين قد حققت أمنيتي وأمنية المرحومة. وإلا فيكون قد قضي على بنتي أن تقاسي آلام فراقك

وشعرت أن الباشا يغرورق بدمعه

كما أني شعرت بلوعة عند تصوري مفارقة ذلك البيت الذي صار لي فيه شخص يشغل فؤادي . فقلت إذا كانت هذه ارادتك ياسيدي وارادة الروح التي كنا جميعاً نبجلها فهي إذاً ارادة الله أيضاً . اني لا افارق حكمت ولن افارقها إلاَّ الى القبر . الحق ياسيدي اني لا أقدر أن اخرج من هذا المنزل الطاهر الذي تمنيت لي مأوى في مثله . وانما أود قبل ذلك أن اصارحك بسر لا أظن أحداً يعلمه حتى لا أكون خادعة لك . ولي الأمل أن تحفظ هذا السر حتى ولو غيرت فكرك وعدلت عن طلبك ورغبتك

وعند ذلك رويت له تاريخي الماضي كله بحروفه وهو يصغي ويبتسم الى أن فرغت منه فقال : ان تاريخك هذا يازينب ليزيدني حباً واعتباراً لك

فما كان أعظم ابتهاجي حين جبر الباشا خاطري . ثم هز رأسه وقال : لا أخفي عليك يازينب ان جانباً من تاريخك بلغ اليَّ بصيغة وشاية . فما اكترثت به ولا اجعله عقبة في سبيلك . ان عشرتك لنا بضع سنين بعد هذا التاريخ لتدل على أن ذلك الماضي كان كالبوتقة التي خرجت منها ذهباً خالصاً . فسرك سري يازينب . أنت تكتمينه وأما انا امحوه

فجزعت لذلك أي جزع وقلت : ويلاه ماذا بلغ اليك يا باشا

فقال : لا تسلي لقد بلغ اليَّ شرٌّ مما قلت . ولكني ضربت صفحاً عن ماضيك وأنا اعشق حاضرك الذي اختبرته . وما دمت راضية باقتراحي واقتراح فقيدتي فقد اتفقنا . ولكيلا ينتقد الناس امرنا افضل أن تسافري مع حكمت الى اوروبا في أول هذا الصيف ويرافقكما الخادم جوهر والخادمة عادلة بحجة احتياج البنت لتبديل الهواء وبعد العودة نكتب الكتاب

فقلت : اني ياسيدي اصبحت منذ الآن خاضعة لأوامرك بسرور وارتياح لاعتقادي انها اوامر كافلة سعادتنا جميعاً

ولما عدنا من اوروبا كتبنا الكتاب منفذين وصية تلك المرأة التي أشاع الناس انها ماتت غماً وكمداً بسببي . والله يشهد على صدق قولي . وكان المرحوم الباشا يعتبرني جداً ويحبني وقد أوصى بأن اكون قيِّمة على حكمت

وكانت ليلى تسمع مبهوتة فتنهدت وقالت : وهل سلوت ابنك سلواً مطلقاً؟

فانتفضت زينب وقالت : نعم ان حكمت اشغلت كل فؤادي وجعلتني اسلوه . ولكن حبها جعل يلطف فؤادي ويرقق عواطفي حتى صار يحن قلبي الى ابني ايضاً وعادت الي تذكاراته القديمة . صرت اتوق أن اهتدي اليه واسترده . ومع ذلك لا اقول انه يشغل في فؤادي مكاناً كمكان حكمت . لحكمت المنزل الاول

فقالت ليلى . ولكن اذا اجتمعت به فلا بد أن يهيج حبك له ويفوق على حبك لحكمت

— لا تصدقي ياليلى . نعم اني أتوق الآن الى استرداده ولكني أتوق بالاكثر ان أسعى بتزويج زينب له ان كان أهلا لها ، والا فلا أدعه ينال قلامة ظفر منها . اذا تحقق ظني هذا بان اهتديت الى ابني وكان الله قد قيض له أناساً قد ربوه وعلموه فزوجته حكمت كنت سعيدة جداً إذ أجمع تحت جناحي ابن جسدي وبنت روحي ، ولا تكون ثروة العيوق باشا لشخص غريب ، وأكون قد خلصت حكمت من الوقوع في يد جلف كاحمد الزعروري وابنه

فابتسمت ليلى وقالت ، ولكنك تغفلين عن أمر ، يازينب ؟

— ماهو ؟

— الحب . هل نسيت أن حكمت تحب ابن الزعروري ولا تحب ابنك الذي لا تعلمين ماهي شخصيته حتى الآن ؟

— لا أنكر أن هذا الامر عقبة في السبيل . على أني أسعى اليه جهدي . فان كان ابني متعلماً متنوراً مهذباً لطيفاً فقد يمكن أن يستميل حكمت ، والا فلا أكرهها على زواجه . وانما كيف أستطيع الاهتداء اليه ؟ هذه هي المسألة الجوهرية الآن

— وهناك مسألة أخرى جوهرية أيضاً يازينب . وهي هبي أنك اهتديت الى ابنك وعرفت انه هو حقيقة فكيف تستطيعين أن تدّعيه ؟ بل كيف تستطيعين أن تكتسبي عطفه البنوي وقلبه معلق بالذين ربوه كما ان قلب حكمت معلق بك لانك ربيتها ؟

فضحكت زينب وقالت : انه الآن في الحادية والعشرين من عمره . فليس لاحد سلطان شرعي عليه غير نفسه . فلا أنا ولا الذين ربوه نستطيع أن ندّعي ملكيته . فهو ان كان لا يزال حياً صار مالكا نفسه الان . وأما اكتساب عواطفه وقلبه فليس لي ولا للذين ربوه بل لمن قسم له أن تكون شريكة حياته . فان كان قد قسم ذلك لحكمت فهي التي تربط فؤاده بنا . آه ياليلى . كم أكون سعيدة اذا تحققت هذه الاماني . آه لو أهتدي الى ابني

— اذاً تتوقين اليه ؟

— بلا شك أتوق الى ابني فلذة كبدي ولكني لا أقدمه على حكمت . أود أن أجمع الحبين في حب واحد . فما رأيك ياليلى . ماذا تشورين في كيفية البحث عن الابن المفقود ؟

يظهر أن المسالك مقفلة يازينب . كيف تبحثين عنه وأنت لا تدرين شيئاً عن مصيره ؟ هل تعرفين المرأة التي كانت تداعب الولد وهو قاعد على المقعد

— اذا رأيتها أعرفها . وقد رأيتها

بعد خمسة أعوام من تلك الحادثة في مخزن ستين في العتبة الخضراء (الذي أصبح الآن مخزن موروم) وغالطت نفسي ولكني رجحت أنها هي. فهممت أن أتقدم اليها وأسألها ماذا تعرفه من أمر الولد ومصيره. ولكن السيدة الاجنبية التي كنت في صحبتها كانت معي حينئذ فخفت ان سؤالي يفتح أبوابا مغلقة ويفضح سرائر مكتومة. فكظمت الامر وبقيت ساكتة. ولكن سيدتي شعرت حينئذ باضطرابي واستغربته وسألتني فيه. فانكرته وبذلت جهدي في إخفاء تأثيري. وهكذا ضاعت مني الفرصة السانحة

— وبعد ذلك أما رأيت تلك المرأة؟

— منذ خمس سنين رأيت مرأة مع رجل في أحد الاماكن العمومية فاشتبهت بها. ولا أؤكد انها هي حقيقة لان الانسان يتغير مع الزمان كما لا يخفى عليك، والذاكرة تضعف، ولكن قلبي قال لي ان هذه هي المرأة بعينها. فحاولت ان اعلم من هما. فراقبتهما. ثم ركبا مركبة فركبت اخرى. وكانت حكمت معي وهمست للحوذي ان اتبع تلك المركبة الى ان تقف، فتبعها حتى دخلنا حي الاسماعيلية. ثم وقف الحوذي وقال: «هنا». فالتفت الى مركبة وقفت امام باب فخم ورأيت رجلا واحداً فقط يخرج منها غير الرجل الذي رأيته مع المرأة ولم يكن في المركبة غيره. فعلمت ان الحوذي اخطأ المركبة التي أشرت اليها. فاسفت شديد الاسف لضياع الفرصة الثانية ولكن لاريب ان تلك المركبة دخلت الى حي الاسماعيلية أيضاً ولا أدري أين استقرت. وبعد ذلك لم أعد أرى تلك المرأة ولا قصدت ان أراها

فقالت ليلى: أو ما رأيت الخادمة التي كانت تخاطبها حين كانت تداعب الولد

— كلا البتة. ولقد ضاعت صورتها من ذهني. لم اتنبه لها بقدر ماتنبهت لتلك المرأة الاجنبية التي كنت اؤمل أن تأخذ ابني وتربيه تربية راقية

لابد يازينب من لقاء احدى المرأتين اللتين كانتا تخاطبان الولد وتتخاطبان حين كان آخر عهدك برؤيته. يجب أن تبحثي عن هذه المرأة الاجنبية وتستعلمي منها عما علمه عن مصير الولد. هل تعتقدين انها ساكنة في الاسماعيلية

— الارجح جداً أنها ساكنة هناك

— وهل تظنين أنها مسيحية؟

— ماذا تكون غير مسيحية وهي اجنبية؟

— قد تكون يهودية لان في حي الاسماعيلية كثيرين من السكان يهوداً

— صدقت وما وراء معرفة ذلك؟

— راقبي الناس حين يخرجون من كنيسة الافرنج يوم الاحد أو من كنيس اليهود يوم السبت. لعلك ترينها

فصفقت زينب كفاً على كف وقالت متهللة . والله انها لفكرة صائبة . ما أخطأ ظني في ذكائك ياليلي . اني اعتمد على ذكائك وانتفع بآرائك . يجب أن اراقب السيدات خارجات من الكنيسة ومن الكنيس ولا بد أن تذهب تلك السيدة للعبادة لأنها هي من طبعها لطيفة الوجه تدل امارها على التقوى. والآن قد صارت كهلة تقترب من الله أكثر من قبل . ولكن كيف اراقب من غير أن اثير الظنون والشبهات علي

فقالت ليلي : ماذا يمنع أن تلبسي برنيطة وتدخلي الى الكنيسة والكنيسة للعبادة لك كما لغيرك

— وهذه أيضاً فكرة حسنة جداً ياليلى. ألبس البرنيطة كما أفعل في اوروبا. وحي الاسماعيلية قطعة من اوروبا كما لا يخفى عليك . اني والله لفاعلة هكذا منذ السبت القادم والاحد الذي بعده . ولكن هبي ياليلى اني عرفت المراة فلا أقدر أن ابحث معها لئلا افتح الابواب المقفلة على اسراري الماضية . لا اريد أن افضح تنكري . الى الآن لا أحد غير الله يعرف من أنا حقيقة

— متى عرفتها نرى وسيلة للتحري معها . أعرف مرأة رومية كثيرة التداخل مع السيدات الاوربيات والوطنيات لانها تنتفع كثيراً من بيعهن الحلي والملابس ونحوها . وكانت قبلا خياطة ، ثم صارت سمسارة . وسلوكها حسن وقد كسبت ثقة السيدات واثرت من وراء ذلك . فهذه يمكنها أن تفيدنا كثيراً في المسألة . قد نكلفها أن تذهب بنفسها الى السيدة الاوربية وتتحرى المسألة معها

فامتعضت زينب وقالت : لست أميل كثيراً الى استخدام مرأة كهذه في المسألة

— اتريدين أن اتولى التحقيق أنا؟ فلا اتردد . اهتدي الى المرأة وأنا ازورها

— شكراً لك ياعزيزتي

عند ذلك دعتهما الخادمة للعشاء. وكان حديثها بعد ذلك خارجاً عن الموضوع

الفصل السابع

غرام وانتظار وياس

بعد بضعة أيام استيقظت زينب على حلم غريب رأت فيه حليم الزعروري وأباه يخطفان حكمت ويفران بها . فرأت نفسها جالسة في سريرها مذعورة . ورأت ان ضوء الفجر الضعيف يري ما في الحجرة . فالتفتت الى ماحولها فلم تجد أمراً غير اعتيادي . فنظرت الى الساعة التي على منضدة الى جنبها فاذا هي نصف الخامسة وكان

الوقت صيفاً . فما اطمأنت لهذا الحلم وحسبت كأنه نذير بشر . فهبت من سريرها وخرجت من حجرتها ونظرت الى حجرة حكمت فاذا هي مقفلة (غير موصدة) فحركت « الدرباس الصغير » بكل لطف فانفتح الباب ونظرت الى سرير حكمت فاذا هي لاتزال نائمة تغط غطيطاً لطيفاً . فقالت لنفسها ماأجنني ! من يجسر أن يمد لها يداً وهي لا تجسر أن تطاوع غيري مهما برح بها الحب . ثم استلفت نظرها ان الشباك المشرف على الحديقة مفتوح زجاجه وخشبه قليلا . وكانت قد أوصت حكمت أن تقفل دائماً الخشب ذي الخصاص (الاباجور) ولا بأس أن تترك الزجاج مفتوحا حتى يدخل الهواء اللطيف . فلماذا الخشب مفتوح قليلا ؟ ثم رأت في صحن الشباك شيئاً اسود بقدر الكف الكبيرة أو أكبر قليلا فرابها . فما تمالكت أن تنقلت على رؤوس قدميها حتى بلغت الى الشباك وتناولت ذلك الشيء الاسود . وعادت بكل خفة من غير أن تدع حكمت تحس بها وأقفلت الباب بكل هدوء وعادت الى غرفتها . وتأملت ذلك الشيء فاذا هو حقيبة (محفظة) جلد على غاية من الجمال والاناقة . فاستغربت وجودها هناك . ثم فتحتها فوجدت فيها بطاقة لم تطبع ولم يكتب عليها اسم قط وانما كتبت عليها هذه الكلمات التالية :

« اذا كنت أراك في الجزيرة أعلم رضاك عني فاتجرأ لمقابلتك ومخاطبتك »

فانتفضت زينب وقالت لنفسها : ان هذا النغل الوقح لايرتدع عن قحته . وصرت أتوقع أن يخلق لي مشكلة كبيرة . لاريب ان هذا الحلم الذي ذعرني كان نتيجة تنبيه لي تنبيهاً خفيفاً بما أتاه من الخفيف وهو يتسلق على الشجرة كعادته لكي يقذف بهذه الحقيبة من الشباك الى الداخل . والحمد لله انني تنبهت قبل أن تتنبه حكمت حتى لاتعلم بهذه الحيلة التي يحتالها ابن الزعروري السافل لمقابلتها . ان هذا الفتى الفلاح أصبح سلوكه خطراً على الفتاة . آه لعنة الله على مباديء الحرية التي صارت تسوغ لهؤلاء الاوغاد أن يطمعوا ببنات السراة . لو كنت في زمان سؤدد الاعيان لكنت سببت لهذا الخبيث ولابيه العلج سجناً مؤبداً

وبقيت زينب حتى الصباح غاضبة ساخطة مكتئبة ولم تشأ أن تقول لحكمت شيئاً ولا أن تخبرها عن أمر الحقيبة لظنها ان السكوت حكمة

ولما اتضح الصباح خرجت زينب الى الايوان فلمحت فتى يتمشى الهوينا عند سور الحديقة وما لبثت ان علمت انه الفتى حليم الزعروري فلم يبق عندها شك انه هو الذي قذف بالحقيبة من شباك حكمت الى داخل الغرفة ولا ريب انه كان يتوقع

ان تطل حكمت عليه ولهذا هو هائم حول المنزل كاللص

فدخلت الى غرفتها ونادت الخادمة الصغيرة ودفعت اليها الحقيبة (المحفظة) وقادتها الى الشباك وقالت : انظري هناك فتى يمشي الى محاذاة السور ويتلفت احياناً الى منزلنا . هل ترينه؟

— نعم ياسيدتي

— اخرجي حالا وادفعي اليه هذه المحفظة وقولي له : «لاتقف هنا ولا تمشي هنا» ولا تزيدي على هذا القول

وخرجت الخادمة وبقيت زينب تقول: اظن هذه افضل سياسة اتدبرها مع هذا الفتى : عدم الاكتراث : الاهمال . وأما المناقشة أو المؤاخذة فتجرئه على المواقحة. ان هذه الطبقة من الناس سمجة لا تفهم معنى اللطف بل قد تظنه ضعفاً

وما لبثت أن عادت الخادمة وقالت : أخذها

— ماذا قلت له ؟

— قلت : سيدتي ارسلت لك هذه وتقول لك لاتقف هنا ولا تمشي هنا

— فماذا قال

— أخذ المحفظة ومضى باسماً

— حسبه هذا الخزي

***

بعد بضعة ايام كانت زينب وحكمت في مركبتهما الخاصة ذات الجوادين المطهمين تتنزهان كعادتهما في جهات الروضة . ثم انعطفت بهما المركبة الى كبري عباس فالجيزة ثم عادت بهما الى الجزيرة . وفيما هي تطوف الجزيرة والعربات والاتومبيلات تتزاحم هنا وهناك شعرت زينب أن اوتوموبيلا من طراز فورد ليس فيه إلا رجل متأنق الملبس ذو لحية صغيرة مستدقة على النمط التركي وهو يسوقه وكان يساوق عربتها . فاوعزت للحوذي أن يتمهل جداً عسى أن يتجاوزها الاتوموبيل . على أن الاتوموبيل توقف على بعد أمتار امامهما متظاهراً صاحبه أنه يعالج خللا فيه . ولكن زينب فهمت حيلته ورامت أن تخيب ظنه فاوعزت للحوذي أن يعجل مطلقاً العنان للجوادين فما انطلقت المركبة حتى عاد الاتوموبيل يطاردها ويحاول أن يحاذيها

وما هي إلا هنيهة حتى رأت زينب فتى على « موتوسيكل » قد انساب عن ايمن العربة كالبرق الخاطف وقطع الطريق امام الجوادين . عند ذلك راعت زينب صرخة مفاجئة من حكمت وهي تقول « ويلاه . هلك » والتفتت زينب الى حيث تلتفت حكمت مضطربة فذعرت إذ رأت الفتى صاحب الموتوسيكل منطرحاً على الارض والموتوسيكل قد اصبح معظمه تحت الاوتومبيل . ولكنها ما لبثت أن رأت الفتى ينهض منتفضاً . كل ذلك حدث

في بضع ثوان وكان حوذي المركبة قد حاول إيقاف الجوادين فلم يستطيع ايقافهما بعد اطلاق العنان لهما إلا بجهاد عنيف. واتفق ان وقوف العربة كان عند الباب الجنوبي للحديقة الشرقية على بعد بضعة امتار من مصطدم الاتوموبيل والموتوسيكل

فقالت زينب: هلمي ياحكمت ننزل ونتمشى قليلا في الحديقة. وأما أنت ياعلي (الحوذي) فتقدم وانتظرنا عند أول كبري اسماعيل

ولما دخلت المرأتان الى الحديقة قالت زينب: تقدمي أنت ياحكمت الى مقاعد تلك الرحبة وانتظريني هناك فاني أتبعك بعد قليل

أما حكمت فكانت مكفهرة مضطربة مكتئبة. وكانت شديدة الطاعة لزينب فتقدمت. وأما زينب فتظاهرت أنها تأخرت لتنظر بعض الزهور. ولكنها كانت تروم أن تتحقق ان كان ذلك الفتى هو حليم افندي الزعروري ابن الشيخ احمد الزعروري كما لمحته أو هو شخص آخر، ورامت أيضاً أن تتحقق ان كانت وقعته سليمة فقد شعرت بعطف عليه في حادثته هذه. واستغربت مروره من أيمن عربتها ومقاطعته لها حتى صادفه أوتوموبيل ذي اللحية التركية وصدمه

ترددت زينب في أمر الخروج من الحديقة وخشيت أن يلاحظ أمرها فحاولت أن توصوص من خصاص السياج والسور فلم تر منها جيداً وانما فهمت أن بعض الناس مجتمعون وهم يقولون: المسألة سليمة والحمد لله. ليس فيه أذى ولا عطب. الخ

عند ذلك عادت اليها تذكارات يوم كانت توصوص من عشرين سنة تقريباً خلال ذلك السياج في تلك النقطة عينها. وانما كانت توصوص من الخارج الى الداخل على ابنها. وأما الآن فانها توصوص من الداخل الى الخارج — على من؟ على الشخص الذي تخاف أن يأخذ محل ابنها بالرغم منها، تخاف أن يظفر بيد حكمت كما ظفر بقلبها. وهي تريد أن تملك قلب حكمت ويدها لابنها. فشتان بين الوصوصتين

ثم شعرت أن الناس جعلوا يتفرقون وما بقي الا المتصادمان: الاوتوموبيلي والموتوسيكلي. ثم ما لبثت أن سمعت الاول يقول: لقد كدت تهلك يا أرعن

والاخر يقول: فداها

— تعساً لك من أحمق. مت. إهلك «اتفلق». ولكنك عطبت أوتوموبيلي وعرضتني للخطر. فلا أفهم ماالذي حملك أن تقطع الطريق موارباً حتى تمر أمامي وأنا أزمر

— انما فعلت ذلك لكي أكفك عن مطاردة تلك المركبة التي لم تمل مطاردتها وأنا مللت مراقبتك

فزعق الاوتوموبيلي قائلا : ماشأنك أنت ؟

فزعق به الفتى قائلا: بل ماشأنك انت؟

— كل شخص حر فى عمله

— وأنا ككل شخص

— ولكني لاأرى مايسوغ لك ان تعترض بين الاوتوموبيل والعربة حتى تعرض نفسك وتعرضني للخطر

— ولا أنا ارى مايسوغ لك أن تطارد العربة باوتوموبيلك

— ماهذا شأنك قط . ماأدراك أني على وفاق مع من فى العربة . كيف لاتحسب أنهم جماعتي

فصاح به الغلام صيحة سمعت الى مدى بعيد : خسئت ياندل . ان من في هذه المركبة لاطهر جداً وأنبل من ان يكونوا جماعتك . أقصر

فاستشاط ذو اللحية التركية وقال : انك لغلام وقح قليل الحياء . من انت ايها الحقير حتى تخاطب مثلي هذا الخطاب؟ وهل انت وكيلهم حتى تجاوب عنهم ؟

وكان الرجل رام ان يتحقق ان كان الفتى ذا علاقة بالسيدتين. فاجابه الفتى: بل أنا وكيل الآداب والاخلاق النبيلة . انا المدافع عن الاعراض . انا حامي الطهارة من الانجاس امثالك

فما عاد الرجل الملتحي يحسب حساباً بل انقض على الفتى وصفعه قائلا : قل لي اذاً انك أنت «تبصبص» للمرأتين

فما ترك الفتى الصفعة تبيت عنده بل ردها له مزدوجة . وكاد الاثنان يلتحمان في مصارعة لو لم يدخل بينهما بعض المارة ويفصلوهما الواحد عن الآخر . وحينئذ جعل كل يعالج سيارته

***

عند ذلك عادت زينب واثقة ان الفتى هو حليم الزعروري ، أما ذو اللحية التركية فما عرفته وما رأته قبل تلك المرة . وما حسبت له حساباً لان أمثاله كثيرون ممن اذا رأوا نساء بلا رجال لايخجلون ان يطاردوهن ويتحرشوا بهن ولو كانوا واثقين تمام الثقة انهن من نبيلات النساء، فلاحيلة لها بهؤلاء الوقحاء اذا لم تكن في البلاد شريعة شديدة الوطأة تكبح جماح وقاحتهم

وانما همها جداً أمر حليم الزعروري الذي لم يبق عندها شك بوقوع بنتها في حبائل هواه بعد أن صرخت تلك الصرخة حين رأته ينصرع أمام الاوتوموبيل . قلما خامرها الريب بأن حليما هذا كان يراقب عربتها ويتتبعهما . فلا يمكن ان يكون وجوده في طريقهما مصادفة . . . يالله من مواظبته ومثابرته وإصراره بعد أن قطعت حبل أمله في المقابلة الاولى ورفضت رجاء أبيه رفضاً باتاً ، وبعد أن ردت له هديته الحقيبة التي دسها من شباك حكمت ، ماهذا الجلد ؟ ألا يرعوي هذا الفتى الاحمق ؟

عادت زينب الى حكمت وهي تغلي وتفور تغيظاً من قيام العقبات في سبيل أمانيها ، فرأت حكمت جالسة على مقعد ومسندة خدها الى كفها ومرفقها على مسند المقعد ، فتكلفت الابتسام وقالت : مالك مفكرة ياعزيزتي حكمت

فتبسمت حكمت وقالت : من لا يتكلم يفكر ياأماه والا فهو حجر

— صدقت ياعزيزتي ، ولكن لماذا صرخت هذه الصرخة في العربة ياحبيبتي

— لايمتنع عن الصراخ لما رأيت الا الصخر الجامد ، أما رأيت ياأماه ؟

— نعم رأيت فتى يحاول النهوض من مصرع

— واما أنا فرأيته ينصرع بعد أن صدم الاوتوموبيل موتوسيكله ، فاتمالكت ان صرخت

فقالت زينب مبتسمة : هل تعرفين ذلك الفتى ياحكمت ياحبيبتي

فازدادت توردا وبقيت صامتة تريد الفرار من وجه هذا السؤال ، فقالت زينب بعد هنيهة : لاريب انك تعرفين حليم الزعروري ، فهل علمت ان هذا الفتى هو هو ؟

— نعم

— هل كنت تعلمين انه سيلاقينا هنا ؟

— كلا البتة

— اني واثقة ياحبيبتي حكمت انك لاتكذبين قط

— هل تعتقدين اني كذبت الآن اذ قلت : « كلا لم أعلم ان حليم الزعروري سيلاقينا هنا ؟ »

— معاذ الله ان اعتقد انك كذبت الآن ، وانما أود ان اعلم شيئاً منك ياحكمت هل كنت تجتمعين بهذا الفتى

فاشتد تورد حكمت حتى كاد يتحول الى لهيب وقالت : اني اصدقك الجواب ياأماه ، لا اكذب عليك ، اني كنت أصادف حليم احياناً حين اكون عائدة من المدرسة

— وبعد انتهائك من المدرسة ؟

— نعم كنت أصادفه حين اكون في طريقي الى زيارة احدى صواحبي

— وهل كان يجري بينكما حديث ؟

فتململت حكمت ثم قالت : انت تعلمين يا أماه ان حليما يعرفني وأعرفه منذ كنا طفلين ، فاذا التقينا الآن فبطبيعة الحال نتخاطب ولو كلمتين ولا يستطيع أحدنا ان يتجاهل الآخر

— ولكنك ياعزيزتي لم تبقي طفلة بل أصبحت سيدة محجبة منقبة . فهل يليق بك ان يماشيك ويخاطبك فتى ليس من ندك ولا هو كفء لك ، بل هو ابن من كان خادماً لابيك

فامتقع لون حكمت حتى اشتد اكمداده وقالت متلعثمة : ولكنه أديب في منتهى الادب يحترم الفضيلة ويقدسها . فما هو من الفتيان الذين تسمعين بمخازيهم ، وهو متعلم

نبيه يرفعه علمه عن درجة الخدم

فشعرت زينب ان الفتاة مستعدة للحرب والمناقشة فقالت : ولكن فتاة في منزلتك ووجاهتك لا يليق بها ان تتنازل لعشرة فتى كهذا معروف أصله وان كان متعلماً وذكياً وأديباً لان العلم وحده لا يجعل وجاهة ياحبيبتي

— اني آسفة يا أماه ان المال وحده ولو كان موروثاً او مكسوباً بالطرق المحرمة يجعل وجاهة في بلادنا ولا شأن للعلم فيها

— اني آسفة معك لهذه الحالة ياعزيزتي ولكن لا يمكن امرأة مثلي او مثلك ان تغير اخلاق اهل البلاد وعاداتهم ولا ان تكون نموذجاً لهذا التغيير ، مع ذلك لو اقتصر الامر على عشرة بسيطة لربما اغتفر

فانتفضت الفتاة جازعة وقالت : أماه ، ويحك ! ما ذا تقولين ؟ هل تظنين شيئاً آخر؟

فقالت زينب مضطربة متلعثمة : معاذ الله ياعزيزتي ان أظن سوءاً وانما اما كان يخالسك حديث غرام ؟

فارتعشت الفتاة وقالت : حاول ان يفهمني انه يحبني فقصرته لاني اعرف ذلك من غير ان يقوله

— اوما حاول ان يهامسك مرة في الليل من الشجرة في الحديقة الى شباك غرفتك

— نعم فعل ذلك مرة بعد أن عز عليه ان يراني مدة طويلة فقصرته ايضاً وأفهمته ان ذلك لا يليق وأنذرته

— ومع ذلك تقولين ياحكمت انه أديب فاضل ، اهكذا يفعل الادباء كما يفعل روميو في مغازلة جوليت

— انك تؤنبينني ياأماه بذنبه ، ولك الحق ان تفعلي مادمت أدافع عنه ، وانما أكدي يا أماه انه ما لجأ الى هذه الوسيلة في مخاطبتي الا لانه لم يجد وسيلة اخرى لمقابلتي وقد ضاق ذرعه

— ولماذا عزت الوسائل؟

— قاطعته اخيراً

— لماذا؟

— استأت منه لامر غير مهم

— ما هو؟

فتنهدت الفتاة من أعماق صدرها وقالت وهي تغص بالقول : انك يا اماه تضغطين على عواطفي ضغطاً شديداً بالتحقيق في أمر ليس بذي شأن، فاعفيني من التحقيق. ماذا تريدين ان تعلمي؟

— اود أن اعلم الى اي حد بلغت علاقتك بهذا الفتى ؟

— الى حد الكلام الاعتيادي

— حسنا هل تحبينه ؟

— لا أقدر أن انكر ياأماه

وهنا ارتمت حكمت في حضن زينب واسترسلت بالبكاء وقالت . عذراً ياأماه لا أقدر ان احكم على فؤادي

ان زينب احبت في ماضي حياتها اكثر

مما أحبت حكمت وهي تفهم معنى الحب وقوته وسلطانه الذي لا يقاوم فلم تر من الحكمة أن تصادم حب حكمت مصادمة بل لا بد من التؤدة والدهاء. فصبرت حتى ملكت الفتاة روعها بعد حين وقالت: لا اريد يابنتي أن اضغط على عواطفك قط وانما اريد أن احرص على مستقبلك السعيد المجيد. ولذلك لا أطلب منك إلا طلباً واحداً

— لك ان تأمري وعليَّ أن اطيع

— حسناً وشكراً ياحكمت. اني واثقة برصانة عقلك. فأرجو منك أن تتئدي بحبك ولا تتسرعي بزواجك

— اعاهدك ياأماه اني اطوع لك مني لقلبي. وثقي اني لا اتزوج الا اذا رضيت

— بارك الله بك. لا أطلب اكثر من هذا

— وانما اطلب منك ياأماه طلبا آخر في مقابل طلبك

— ماهو

— ألا ترغميني على زواج لا اريده

فامتعضت زينب ولكنها ماوسعها الا أن تقول: لك حق بهذا وكل الحق. هلمي نعود الى المنزل الآن

الفصل الثامن

طرف سلسلة المجهولات

— ما كذب ظن ليلى. فما مضى احدان حتى جاءت زينب اليها قائلة. لقد اكتشفت اموراً ياليلى

— ماذا اكتشفت

— كان رأيك كأنه الهام. في الاحد الاسبق لم اوفق الى شيء. وامس كنت في الكنيسة مع المصلين وما أحد ارتاب بنصرانيتي. وفى اثناء القداس اشتبهت بالمرأة ووقعت عينها على عيني التي لم استطع ان احجبها عنها وانا اتحقق ان كانت هي اياها. ثم صارت تخالسني النظر فتراني اخالسها اياه ايضاً. ولما انتهى القداس وخرجنا بقينا نتخالس النظرات الى أن اتفق ان التقينا خارج الكنيسة. فحيتني كأنها تعرفني أو كأنها تظن انها تعرفني فخفت أن تكون عارفتني حقيقة. ولكني اطمأننت إذ قالت بالافرنسية: اتذكريامدام اني اعرفك ولكني ناسية

فابتسمت وقلت: لا أدري ان بيننا سابق معرفة يامدام. وانما اظن أن بيننا

موضوعاً يمكننا الكلام فيه بضع دقائق فهل تسمحين لي أن اسألك فيه على حدة

فقالت : بدون شك. ان منزلنا قريب جداً . ها هو فهل تتفضلين معي اليه ؟

— اكون ممنونة للطفك جداً

ومشينا معاً الى ان دخلنا الى المنزل فقلت للسيدة : اود أن انفرد بك وحدك

فقادتني الى حجرة منفردة وجاسنا وفؤادي يخفق لاني لا أدري كيف افتتح الحديث معها . ولكن الشيء يجيء من طبعه . فقلت لعلك يامدام تذكرين انك رأيت وجهي منذ بضع عشرة سنة ولكن على غير تعارف وهو ما يدل على ذاكرة فائقة حادة عندك .فهل تتذكرين حادثاً منذ ١٩ سنة تقريباً

فابتسمت وقالت : يتوقف تذكره على قدر تأثيره في نفسي

— لي الامل أن يكون له في نفسك تأثير لا يمحى . هل تتذكرين انك كنت في حديقة الجزيرة الشرقية ورأيت طفلا في السنتين من عمره عند مقعد وليس معه أحد فاجلسته على المقعد وجعلت تخاطبينه؟

فحملقت فيَّ وقالت : لا انسى ولن انسى . فقد كان الطفل جميل الصورة تدل امائره على نجابة ولم أجد من حوله من يعبأ به . فصرت اكلمه واسأل عن اهله أو عن الخادمة التي اتت به أوامه أو عمن يدعيه الى أن جاءت خادمة رومية متبلدة اعرفها وقالت أنها رأت المرأة التي كانت مع الطفل ثم جعلت تبحث عنها .ثم عادت وقالت انها لم تجدها . ولكنها تعرفها إذا رأتها. فقلت لها : لا بد أن تكون في الحديقة فابحثي عنها فقالت: آخذ الطفل معي . وبالفعل أخذت الطفل لكي تبحث عن امه او صاحبته . ولم أعد أراها حينئذ . ولكن بعد نحو شهر رأيتها في الحديقة فسألتها عن الطفل فقالت انها وجدت امه تتناقش مع بياع شوكولاته لخلاف وقع بينهما . وسلمتها الطفل.

فخفق فؤادي لشر هذا الافك وقلت على الفور : وهل تعرفين هذه الخادمة يامدام ؟

فقالت : عرفت انها كانت حينئذ تشتغل في بيت خليل باشا ن . واسمها اذا صدقت الذاكرة انجاليكا. وانما اذكر اسمها لاني كنت اعرف حرم الباشا وكنت اراها مع أولاد الباشا احياناً واسألها عن الهانم لانها صديقتي

فقلت : ترى ألم تزل هذه الرومية انجاليكا في بيت خليل باشا ؟

فضحكت السيدة وقالت : مضى على المسألة نحو ١٩ سنة وأظن ان اولاد انجاليكا صاروا «جدعاناً» لاني علمت انها تزوجت. ولم أعد اعلم عنها شيئاً . لعل حرم خليل باشا تعرف شيئاً عنها

هذا جل ما عرفته من هذه المرأة

الفرنساوية ياليلى وهو مفتاح المجهول . فبربك لقد اصبحنا في باب المجهول ويمكننا الدخول الى زواياه واستكناه اسراره . صرت اعتقد اني اصبحت على مرمى حجر من ابني ياليلى. فارجو مساعدتك

فقالت ليلى: لا ريب أنه إذا عثرنا على تلك الرومية نعرف منها اموراً كثيرة . ولكن هل اكتفت السيدة الفرنساوية بالرد على اسئلتك؟ اما سألتك شيئاً عن علاقتك بذلك الفتى؟

— بلا شك . سألتني كيف عرفت أنها كانت تداعب الولد الى ان اخذته انجاليكا . فقلت ان الذين يبحثون عن الولد بلغ اليهم ان بعضاً رأوه جالساً على مقعد سيدة فرنساوية وكانت تخاطبه . ومنذ ذلك الحين اختفى

فاجفلت المرأة الفرنساوية وقالت :يالله أما سلمته أنجاليكا الى امه ؟

فقلت : لابد ان تكون قد سلمته اليها فهو وأمه مفقودان او انه لا يعلم احد اين ذهبت به أمه. لانها كانت حينئذ على خلاف مع زوجها فهجرته واخذت ابنها معها والى الآن لا أحد يدري أين هما . وقد مات زوجها واهلها يبحثون عنها حتى يرث الولد إرث ابيه

فسألتني كيف عرفت انا انها هي المرأة التي رأت الولد ودعت انجاليكا له . فقلت لها : ان مربية بنتي كانت حينئذ في الحديقة وقد سمعت الحكاية ومنذ مدة صادفتك ودلتني عليك قائلة : هذه هي السيدة التي كانت تلاعب الطفل . وبعد ذلك لم اعد اراك ولا عرفت كيف اتوصل اليك . واخيراً رأيتك تدخلين الى هذه الكنيسة مرة فصممت على ان اتصل بك واغنم فرصة لمخاطبتك ففزت بالمرغوب. ولكي لا تضايقني بكثرة الاسئلة ودعتها شاكرة وخرجت

فقالت ليلى : ولكن ماذا تفسرين قول انجاليكا لهذه السيدة الفرنساوية انها رأت أم الولد وسلمته اليها

— هذا ما قلقت له ياليلى . هل كانت انجاليكا تمكر على السيدة او انها سلمته حقيقة لمرأة اخرى ادعت إفكاً ان الولد ابنها .

— إذاً هذه مسألة لا يمكن الحكم أو التقول فيها الا بعد مقابلة انجاليكا

فتنهدت زينب وقالت : نعم. أصبحت الآن انجاليكا ضالتنا المنشودة فما العمل ؟

— لابد من الاجتماع بحرم خليل باشا ن ... وسؤالها عن انجاليكا

— أما انا فلا اقدر ان اتظاهر بعد الآن بالبحث في هذه المسألة

— ولماذا بحثت فيها مع السيدة الفرنساوية ؟

— سنحت الفرصة فخفت ان تضيع فانتهزتها

— اما عرفت المرأة الفرنساوية من انت ؟

— حاولت ان تعرف فراوغت عن اجابة أسئلتها . ولا ادري ماذا ظنتني وانا في الزي الاوربي والبرنيطة

وبعد سكوت هنيهة قالت زينب: ماذا تقولين ياليلى. ما التدبير ما الرأي ما العمل؟

— اظن الآن جاء دور المرأة الرومية التي اخبرتك عنها . فهي تقوم بالمهمة

فتنهدت زينب وقالت : ولكن هل تظنين ان من الحكمة ان نسلم سرنا لامرأة رومية ؟

— لانسلمها كل السر بل بعضه . ونسلمها منه بقدر الحاجة الى العمل ونكتم عنها الحقائق الجوهرية . وارى ان هذه الرومية خير واسطة للتحري في هذه المسألة فهي اقدر على البحث عن انجاليكا ومباحثتها واقتناص الحقائق منها . واذا غررناها بشيء كاف من المال خدمتنا باخلاص

— لا بأس في ذلك . اني مستعدة لبذل الف جنيه او الفين اذا اقتضى الامر . ولكن كيف نستطيع ان نستخدمها من غير ان تفضح لها اسرارنا . وكيف تستطيع ان تخدمنا من غير ان تعرف بعض الحقائق

— هذه مسائل بسيطة يمكن حلها بسهولة . فاولاً نجعل معاملتها معي وحدي . فلا تظهرين انت في المسرح . تبقين وراء الستار . وانا لادعها تعرف شيئاً عن اصل الولد وفصله وابن من هو قبل ان تكتشف هي كل الحقائق التي يمكن استخراجها من انجاليكا عن الولد ومصيره . فقد نهتدي الى ابنك من غير ان نضطر الى الاباحة بشيء من اسرارك . قد يكفي ان نذكر علامة الولد اي الوشم على اعلى ذراعه

— إذاً اعتمد عليك في ذلك ياعزيزتي ليلى بالله ان تهتمي بهذه المسألة منذ الغد

— بل اليوم استدعي الرومية صوفيا واكلفها ان تذهب الى بيت خليل باشا ونسأل عن انجاليكا . ومتى جاءتني بخبر شاف عنها اكلفها بمسألة اخرى حسب الاقتضاء .

— حسناً . لقد اتفقنا على هذا . بقي ان نعلم ماذا تم في مشروع حق السيدات بالانتخاب

فضحكت ليلى وقالت : ارى ياعزيزتي ان البحث في هذا الموضوع سابق اوانه . فما خاطبنا سيدة بهذا الموضوع الا اظهرت استهجاناً إذ لايخفى عليك اننا حتى الآن لم نحصل على بارلمان حقيقي من الرجال فقط فكيف نسعى الى برلمان مختلط من الجنسين

— عفواً ياعزيزتي . أما البارلمان فنحن حاصلون عليه بلا محالة لان الحرب سحقت مابقي من الاحكام الاستبدادية واخلت المكان للديموقراطية . ولذلك يجب منذ الآن ان نسعى الى حق النساء بالانتخاب ولو بتمهيد السبيل له فقط . اذا لم يتيسر

ان يتأيد حق النيابة للسيدات في البرلمان الاول فلنسع الى تأييد حق النساء بالتصويت واذا لم يتسن لا هذا ولا ذاك فلا اقل من ان نسعى الى انتخاب شبان من الناشئة الجديدة المتعلمة التي تذوق طعم الآداب والعلم وتعرف حقوق السيدات وتبتغي رقيهن كأساس لارتقاء الامة . فهؤلاء يقررون حقوق السيدات بالانتخاب في البرلمان الاول وربما صار فى البرلمان الثاني نائبات

— نعم . نعم . هذا مايجب ان نوجه اليه حملتنا في الانتخاب الحالي

— اجل هذا ما قلت به في اجتماعنا الماضي . فيجب ان نقرر مقاومة انتخاب كل شخص علج جلف عتل كاحمد الزعروري مثلا ليس فيه من المحاسن الا انه ذو مال يستطيع ان يهيمن به على السذج . وان نروج انتخاب كل شاب اديب متعلم مهذب نعلم انه راق يعرف قيمة السيدات

فابتسمت ليلى وقالت : مثل حليم بن الزعروري مثلا . فهو شخص لائق على رأيك .

— نعم . ولكن لاخوف من ترشيحه ولا انتخابه لانه دون الثلاثين من العمر الآن وهذه السن شرط فى ترشيح المنتخبين . فاذا كانت كل واحدة منا تحث جميع الرجال من اهلها وذويها ان يقاوموا ترشيح من لم يكن متهذباً متعلماً امكن ان يكون لنا بارلمان من الناشئة الراقية طاهراً من الاجلاف والعلوج كاحمد الزعروري

— سمعاً يازينب . في امكانك ان تبطلي ترشيح احمد الزعروري اذا كنت تؤثرين على قسم من مرشحيه بحيث ينتخب بعضهم ولا يبقى منهم العدد المقرر لترشيح المرشح وهو ثلاثون بحسب قانون الانتخاب

— هذا ماافعله الآن فقد اوفدت من قبلي من يناهضه بهذا الاسلوب لان معظم مرشحيه من فلاحينا وجيرتهم واقاربهم ولكني لاادري ان كنت افلح بعد البذل الذي سأبذله وسأسعى بترشيح شخص آخر غيره أليق منه فقد يساعد في استمالة الجمهور اليه وينازع ذاك النيابة

— وهذا ماأهتم به الآن ، وانما اقول من الوجهة العمومية انه يجب ان نؤلف نحن لجنة نسائية عمومية غرضها السعي الى انتخاب الاكفاء ومناهضة غير الاكفاء بكل الوسائل الممكنة ، هذه اول خطوة يجب ان نخطوها في مشروعنا

— غداً سيكون في جمعيتنا اجتماع فنبحث ملياً في هذا الامر ان شاء الله

فقالت زينب ، نعم يجب ان نبذل جهدنا بان يكون لنا حزب كبير في البرلمان حتى يكون برلماننا في المستقبل « على آخر موضة » في الديموقراطية اي انه يشتمل على سيدات ورجال

فضحكت ليلى وقالت : اني ارى فيك المتناقضات يازينب ، طالما سمعتك تلعنين الحرية او الديموقراطية لانها تجريء علوج العامة ان يطلبوا بنات السراة وتخولهم ان يساووا انفسهم بالاعيان . والآن اراك تتحمسين للديموقراطية وتبتغين ان تكون على « آخر موضة »

فقهقهت زينب وقالت : أجل ياعزيزتي اني متحمسة لديموقراطية « على آخر موضة » لا لديموقراطية بحتة نقية من شوائب الاريستوقراطية ، فالديموقراطية او الحكم الذاتي الذي على آخر موضة هو الحكم النيابي الذي يكون نصيب السيدات فيه كنصيب الرجال. هذا ما أبتغيه وهذا مايجب ان نسعى اليه. واما الحكم الذاتي الذي تمثل فيه كل طبقة من طبقات الشعب على السواء، اي الحكم النيابي (الديموقراطي) البحت ، فهذا مايجب ان نقاومه

فانتفضت ليلى وقالت مقطبة مجلقة : عجباً يازينب ماخطر لي أن تكون افكارك مسممة هكذا . نحن نقاتل لاجل الديموقراطية البحتة

فتبسمت زينب وقالت: حلمك ياعزيزتي. نعم نقاتل لاجل الحكم الذاتي اللهم على شرط أن يكون في يد الاعيان والراقين من رجال ونساء لا في يد الاجلاف والاغبياء.

وهل تظنين أن في الدنيا بارلماناً ديموقراطيا بحتا ؟. لا . لاتصدقي . في أعظم البلاد ديموقراطية كالولايات المتحدة الاميركية مثلا يبقى للاعيان والمتمولين النفوذ الاول. فالكونكرس عندهم لايمثل طبقات الشعب تمثيلا حقيقياً مع أن عامتهم أرقى من عامتنا كثيراً. فما أحرانا إذاً أن يكون الحكم عندنا ديموقراطياً بالاسم وبيروقراطياً بالفعل، أي أن يكون النفوذ في أيدي طبقة خاصة قليلة من الاعيان الراقين ريثما يترقى العامة الترقية الكافية

فتبرمت ليلى وقالت . ان افكارك هذه صدمة لنهضتنا الوطنية يازينب. ماخطر لي أن تكون هذه مبادئك

— نعم ياعزيزتي انك تستهجنين هذه المباديء أو هذه الافكار لانك مندفعة مع تيار الديموقراطية بلا حساب . ولكن اذا وزنت هذه الافكار جيداً ادركت أن تمثيل البارلمان لجميع طبقات شعبنا على السواء يهوي بالبلاد الى الخراب لأن الاكثرية عندنا لم تزل جاهلة . فمن مصلحة البلاد ومن مصلحتنا نحن السيدات أن تكون النيابة في أيدي طبقة الاعيان الراقين المتعلمين فقط ريثما يرتفع مستوى الامة المتهذبين . هذا مايجب أن نقرره في الاجتماع القادم

الفصل التاسع

الرسالة المباغتة

انعقدت جلسة السيدات في منزل احداهن وهي من نبيلات البلاد، والمنزل فخم جداً كأنه قصر انيق وبهوه رحيب، وسع ما ينيف على مئة سيدة كلهن من النبيلات والراقيات والمهذبات اللواتي تفخر بهن مصر كل الفخر

ولما اكتظ المحفل بهن وقفت الرئيسة السيدة هـ. هانم والقت الخطاب التالي

« ايتها السيدات الفاضلات »

«لايخفى عليكن أن الجسم ينمو كله معاً ،أي ان كل عضو من أعضائه ينمو مع مجموع الاعضاء في وقت واحد. فلا يمكن أن ينمو الرأس وحده أولا، ومتى تم نموه تشرع اليدان تنموان ثم الرجلان وهلم جرا. لا، بل تنمو جميعها معاً. هكذا الامة المستقلة بنفسها تنمو جميع أنظمتها التي هي أعضاء جسمها سوية

« فنحن قد أصبحنا الآن امة ديموقراطية. شرعنا ننموا نمواً ديموقراطياً فيجب أن ينمو فينا كل نظام ديموقراطي في وقت واحد. فلا نقول: حسبنا الآن أن يكون لنا مجلس نواب ومجلس شيوخ وغداً نجعل مجلس نيابي للثقافة كما في اميركا، وبعد غد نجعل مجلس نيابي بلدي، وبعده ندخل الديموقراطية الى القضاء بحسب نظام المحلفين. بل يجب أن نشرع بالاستعداد لكل هذه وغيرها منذ الآن حتى تكون أنظمة جسمنا الاجتماعي نامية كلها معاً

«وانما قدمت لكن هذه المقدمة حتى أقول لكن ان الروح الديموقراطية يجب أن تشمل السيدات كالرجال على السواء منذ الآن لان لهن حقوقاً وعليهن واجبات. لاتقل قيمة عن حقوق الرجال وواجباتهم فيجب أن يكنّ شريكات الرجال في الحكم الذاتي

فدوى التصفيق في المحفل أيّ دوي. ثم قالت احدى السيدات: ولكن حتى الآن لاندري ان كنا قد استقللنا حقيقة وان كان لنا أمل حقيقي ببارلمان كما يقولون- لاندري ذلك حتى نطمع بأن يكون لنا حق الاشتراك بالحكم الذاتي

فقالت الرئيسة: اما اننا قد استقللنا حقيقة فأمر يحققه عزمنا ويقيننا. نحن مستقلون بحكم الطبيعة وعلينا أن نتصرف تصرف المستقلين. فاذا بدت عقبة في سبيل استقلالنا وجب علينا أن نذللها ونسير في طريقنا. فنحن مستقلون وافق الخصوم أو عارضوا

فدوى المحفل ثانية بالتصفيق الى أن قالت الرئيسة أيضاً... نعم ولا بد أن يكون لنا غداً برلمان، رضي الخصوم أو غضبوا

فدوى التصفيق ثالثة فقالت ... أجل ويجب أن يكون في البرلمان سيدات أيضاً ياسيداتي النبيلات

فاستمر التصفيق حتى كاد الدم يتفجر من الأكف النضيرة. وتحمست احداهن وصاحت فلتحيي السيدات المصريات

فصاحت أخرى : تالله هل حدث انتخاب السيدات ونحن لم ندر .اني أحتج وأعد الانتخاب غير قانوني

فقالت أخرى : يالله . على من وقع الانتخاب ؟ اني مرشحة نفسي وقد أعلنت برنامجي لبعض الصواحب فـ...

فقالت أخرى : أخاف أن يمتلىء البرلمان نائبات قبل أن ينتخب أحد من الرجال . ان زوجي مرشح نفسه وضامن الفوز فاخاف ألا تبقى له زاوية في البرلمان

فصاحت الرئيسة : حلمكن ياسيداتي وعفوكن . مهلا وتؤدة . ماحدث انتخاب ولا جئنا هنا لاجل انتخاب ولانحن نطمع بان يتم انتخاب سيدة واحدة قط في البرلمان لان الدستور الجديد لم يتقرر فيه هذا الحق للمرأة

فوقفت حينئذ زينب العيوقي وقالت: ولكن الدستور لم ينص قط على حرمان السيدات هذا الحق . فقد قرأته اليوم بانعام نظر فاذا هو لايحرم المرأة مامنحه للرجل من حق الانتخاب . وكذلك قرأت قانون الانتخاب بكل تدقيق فاذا بالشروط التي فيه تنطبق على المرأة كما تنطبق على الرجل، بل قد نجد في كثير من النساء من هن بحسب هذا القانون أليق جداً للنيابة في مجلس النواب ومجلس الاعيان أو مجلس الشيوخ من كثير من الرجال. ولما كان هذا الحق طبيعياً للمرأة كما هو للرجل، والدستور وقانون الانتخاب لم يصرحا بحرمان المرأة هذا الحق فالسيدات بطبيعة الحال أصبحن ذوات الحق القانوني بان ينتخبن وأن يرشحن أنفسهن للنيابة في أي المجلسين

فقالت الرئيسة : انكن متسرعات ياعزيزاتي . الى الآن لم يخطر ببال أحد أن يفسر الدستور وقانون الانتخاب كما تفسره زينب هانم الآن، وهو خلاف مافسرته في اجتماع سابق، أي أن يكون المرشح رجلا. والمفهوم في يقين الجمهور أن الدستور لايخول المرأة حق الانتخاب

فصاحت ليلى : إذاً يجب أن نرشح منا نائبات ونسعى بانتخابهن وثم نرى ماذا يكون من أمر الرجال اذا تقدمت النائبات الى البرلمان ؟

فقالت الرئيسة : ماذا نفعل اذا أبوا قبولهن ؟

فقالت إحداهن : نحتج . نعتصب. نضرب عن ادارة منازلنا . نتظاهر

فقالت الرئيسة : نعم نفعل ذلك متى طلبنا حقنا ومنعوه عنا . ولكن لافائدة من محاولة التمتع بهذا الحق قبل أن يقره البارلمان نفسه ويجعله قانوناً في الدستور المصري . وهذا ماجتمعنا الآن لاجله . فاسمحن لي ياسيداتي أن أقول لكن ان الاقتراح الذي جئنا لاجل تقريره اليوم هو أن نوجه كل مساعينا منذ الآن الى انتخاب الاشخاص الذين يؤيدون قضيتنا في البرلمان القادم ويجعلون حقنا بالانتخاب قانوناً دستوريا حتى لانصادف معارضة متى رشحنا وانتخبنا نائبات منا

فوقفت بعض السيدات المتحمسات وجعلن يتكلمن معاً حتى كاد النظام يختل في المجلس . فتلك صاحت : ان هذا حق لنا لانطلب تقريره بل يجب أن ننفذه تواً . وأخرى قالت: هذا الكلام ينافي استهلال خطابك ياحضرة الرئيسة . وثالثة قالت : بل يجب أن نرشح نائبات منذ الآن ونسعى بانتخابهن حتى تجد الحكومة نفسها أمام أمر واقع . وأخرى صاحت : لانصبر لانصبر . يجب الانتخاب منذ الآن ..

وأخيراً رفعت الرئيسة يدها وقالت : حلمكن ياسيداتي . النظام . النظام . اسمحن بكلمة لي

وكانت الرئيسة جليلة فأثرت عليهن وسكتن في الحال . فقالت : تتكلمن كأننا أمتان في مملكتين لهما بارلمانان : أي مملكة نساء ومملكة رجال ، والنساء ينتخبن النائبات والرجال ينتخبون النائبين . والحقيقة ليست كذلك . بل الانتخاب للاشخاص المعدودين رجالا . فلنفرض أن حق السيدات بالانتخاب مقرر . فالمرشحة يجب أن ينتخبها رجال ونساء معاً في دائرة انتخابها والا فلا تنال أكثرية . ولذلك لايمكن أن يصح لنا الانتخاب بصيغة قانونية الا اذا تقرر دستوريا . فحلماً وتؤدة . يجب أن نأخذ الامور بأسبابها وأن ندخل اليها من أبوابها . فما قولكن بالاقتراح الذي تقدم بيانه

عند ذلك انبرت احدى السيدات وقالت : — حلمكن ياسيداتي أرا كن تبحثن وتقررن في أمر انتخاب السيدات كأنه قضية حقة مسلم بها . على أن هناك فريقاً من السيدات الراقيات في كل العالم يعتقدن ويجاهرن بان الانتخاب ليس حقاً للسيدات لاطبيعياً ولا مكسوباً ولا هو لازم لهن ، لانه مامن سيدة الا وهي مرتبطة برجل ان لم يكن زوجاً فيكون اباً أو أخاً . فهو نائب عنها ويحرص على مصلحتها كما يحرص على مصلحته . ولذلك أجد فكرة انتخاب السيدات بتاتاً

فهبت بعض الهوانم وصاحت احداهن: هذه أفكار رجعية . وقالت الاخرى: هذه آراء من الفن العبودية . وقالت الثالثة : للنساء حقوق مهضومة لايحرص عليها الرجل

بل يهتضمها

فقالت المعترضة . أجل للنساء حقوق مهضومة قد هضمها الرجل القديم الجاهل وأما الرجل الجديد المتعلم فسيحصلها للمرأة من نفسه ، سيمنحها للمرأة

فصاحت بعضهن: هذا إفك. مامن حق يعطى عطاء بل كل حق يجب أن يؤخذ أخذاً .

فتغيظت المعترضة وقالت نازقة : لاأدري ماهي الحقوق التي نحصلها بواسطة الانتخاب . وماذا تستطيع النائبات أن يحصلن لنا من حقوق ضائعة . لا أرى هذا المشروع لازماً البتة . وما هو الا ليزيد الشغب في البلاد

فانبرت أخرى وقالت: نعم اني لاعجب بجرأة هذه السيدة الفاضلة وأوافق على قولها وأنا من رأيها لاأرى لزوماً لانتخاب السيدات . ان للمرأة مركزاً غير مركز الرجل يجب أن تحافظ عليه وكفى

فانبرت أخرى وقالت : نعم لكل من المرأة والرجل مركز خاص. ولكن لما صار الحكم نيابياً صار يحق بل يجب ان يكون للمرأة شركة في الحكم كالرجل لكي تحتفظ بمركزها كما يحتفظ بمركزه

وعند ذلك اشتد اللغط ولم تعد الواحدة تسمع كلام غيرها فاستعملت الرئيسة سلطتها وردت النظام الى نصابه وقالت : لكل واحدة رأي ولها أن تبسط رأيها وتعززه . ونحن ماتناقشنا في موضوع الحملة الانتخابية النسائية الا لاننا نعهد ان جميع الحاضرات يحبذن انتخاب السيدات. فاذا كان فينا سيدات قليلات لايحبذنه فلا نحتقر رأيهن وان كان لايعتد به لانه رأي الاقلية . وانما نرد عليه. فقد سألت حضرة الهانم ما الغرض من انتخاب السيدات...

فقالت المعترضة الاولى : بل سألت ماهي الحقوق المهضومة التي تستلزم نائبات في البارلمان يحصلنها

فقالت الرئيسة : ان الحقوق ياعزيزتي نسبية . فما كان بالامس حقاً اوجائزاً اصبح اليوم غير جائز بل ضاراً : مثال ذلك كان تعدد الزوجات امراً سائغاً وحسناً لاسباب مختلفة ولان الشريعة سوغته — ولكن لاننس ان الشريعة لم توجبه بل لم تستحسنه ولم تحبذه — واليوم صرنا نرى ان تعدد الزوجات وبال على العيلة والامة والوطن ايضاً. فلذلك صرنا نود ان نجعله محرماً قانونياً دستورياً . وبتحريمه لانكون قد خالفنا الشرع الشريف لانه لم يحتمه . كذلك نقول عن الطلاق الذي اجازه الشرع . فنحن نود ان يقيده دستورنا بقيود تحفظ حقوق المرأة ولا تنافي الشرع

فقالت المعترضة : هما قضيتان يمكن ان تسعى جمعيتنا لدى البرلمان ليقررهما من غير أن يكون لنا نائبات فيه

فانبرت زينب غير صابرة وقالت: عفواً

ياعزيزتي . لو كانت لنا قضيتان فقط لرضينا بما تقولين . ولكن لنا كل يوم قضية بل قضايا مع الرجال تحتاج الى حزب نسائي يدفع عنها في البارلمان

فقالت تلك: مثل ماذا ؟

فارتبكت زينب إذ لم يبدر الى ذهنها مثل حتى تقوله . فأغاثتها ليلى قائلة : مثلا هبي أن فتاة تزوجها فتى بناء على رغبة أبيه ثم خطر للأب ان يوعز للابن أن يطلق الزوجة الصغيرة وليس لهذا مال البتة لكي يدفع المتأخر من الصداق . والاب الذي كان السبب لا يدفع . الا يجب ان يكون في قانون البلاد مادة توجب على الاب ان يدفع عن ابنه لمجرد انه رضي بهذا الزواج وأنه يحتمل ان ابنه يبتغي الطلاق وليس عنده مايدفع المتأخر

فتململت المرأة المعترضة وقالت: ان هذه مسألة معقدة . أظن القضاء المدني يكفي للفصل فيها فلا حاجة الى قانون لها. ولا ارى ان للنساء حقوقاذات شأن لا تنال الا بقرارات بارلمانية

ثم انبرت ثالثة وقالت : أما أنا إذا انتخبتني فسأجعل في مقدمة بنود برنامجي أولا تحريم الزواج بين شخصين يزيد الفرق بين سنيهما على ١٦ او يقل عن ٨ سنين. فيمتنع تزويج الفتاة في الثالثة عشرة مثلا لرجل في الستين

فقالت الرئيسة : في مقدمة برنامجنا العمومي أنه لا يجوز زواج الفتاة قبل تمام السادسة عشرة من عمرها

وقالت اخرى: وأنا اجعل في برنامجي تحريم الزواج على الشبان بعد الثلاثين من العمر إلا إذا كان ثمت أرمل وتزوج أرملة تلائمه سناً

وقالت اخرى: أما برنامجي فهو تعيين الموضة للفتيات وللمتزوجات. وسبب ذلك أن بعض الفتيات يكن في عهد العزوبة على غاية من التحصن والتحجب ومتى تزوجن تحول زي تحجبهن الى تهتك

وقالت اخرى: وأنا في برنامجي ان اوقات زيارات السيدات يجب أن تكون محدودة

وقالت اخرى: وفي برنامجي التحتيم على الرجال أن يأتوا الى بيوتهم جميعاً الساعة الثامنة مساء إذا كانوا متزوجين ولا يخرجون الى متنزه أو ملهى إلا إذا كانت زوجاتهم معهم وكان المكان لائقاً

وقالت اخرى : وفي برنامجي التحتيم على السيدات الا يخرجن من بيوتهن إلا وكل مرأة مع زوجها أو ابيها أو اخويها يرافقها الى حيث هي زائرة أو ذاهبة حتى لا يجرأ اخساء الفتيان أن يتحككوا بها

وقالت اخرى : وفي برنامجي أن على العريس أن يطلع العروس على قائمة الطبخات التي يريد أن تطبخ في بيته قبل زواجهما . حتى إذا لم يتفقا على هذه القائمة فلا يعقد

الزواج . وذلك لاني اعرف زوجين كان سبب الخلاف الدائم بينهما عدم اتفاقهما على الطبخ . ولهذا كان الزوج يتغدى دائما خارج المنزل بحجة أن الطبخ الذي تحبه زوجته لايحبه

— وأنا اقترح في برنامجي أن تطلع العروس عريسها قبل الزواج على نوع الموضة التي تختارها ودرجة الاقمشة التي تبتغيها حتى لا تتطلب عليه بعد الزواج طلبات لم يلم بها ولا دارت في خلده ولا هو قادر على تلبيتها

وقالت اخرى : اراكن اغفلتن أمراً جوهرياً وهو إذا حدث طلاق و بين الزوجين طفل لا الاب يريد ان ينفق عليه وليس عنده ماتحصل الام منه ، والام لاتريده ، والقانون والقضاء ليسا مستعجلين في تحصيل حقوق الطفل . فماذا يكون مصير الطفل إذا اغفله الابوان على هذا النحو

فارتعدت زينب لكلام هذه المرأة وخافت أن تكون مشيرة الى حادثتها . فقالت ليلي: لا اظن أن اماً تترك ابنها مهما كان أبواه بلا احساس

فقالت القائلة الاولى : اني اقدر أن اذكر لك الف حادثة كهذه و بعضها حدث في هذا العام . وكثيرون من المتشردين لا يعرفون والديهم

فتنفست زينب الصعداء إذ قيل أن مثل حادثتها كثير

وقالت اخرى : كل هذه مسائل بسيطة وقد اغفلتن المسألة الجوهرية وهي أنه يجب أن يقضي القانون بجعل التلفون الاصلي في المنزل والخط الفرعي في محل الشغل وليس كما هو الحال الآن حتى تكون الرقابة في البيت لافي محل الشغل

— وكذلك أمر آخر وهو الغاء العربات والاتوموبيلات المقفلة لانها كثيراً ما تكون مواخير بدل أن تكون مقاصير

وتوالت الاقوال على هذا النحو حتى التبست بعضها ببعض وصارت لغطاً لم يعد يفهم . وكاد النظام يختل لولا أن الرئيسة تداركته والتمست الاصغاء لكلامها وقالت وهي باسمة مشرقة المحيا . اظن أنه قد ورد من الامثلة اكثر من اللازم لتأييد قضيتنا وهي لزوم انتخاب السيدات فنرجو ممن يؤيدنه أن يقفن

فوقفت معظم السيدات . ثم قالت نرجو ممن لا يؤيدنه أن يقفن

فوقفت بضع وما لبثن أن قعدن حالا إذ وجدن عددهن قليلا . فقالت الرئيسة إذاً تقرر أن نسعى بكل جهدنا لتقرير انتخاب السيدات بصفة دستورية

فقالت ليلى : ولكن ما هي الوسائل الفعالة للتأثير في الانتخاب القادم حتى يكون معظم النواب ممن يؤيدون قضيتنا فيه ؟

فقالت الرئيسة : أولاً يجب أن نبحث

عن المرشحين ونتحرى أخلاقهم ومبادئهم فمن توسمنا فيه الميل الى قضيتنا أيدناه ومن شعرنا بأنه ضدها قاومناه

فقالت ليلى : حسناً . ولكن ما هي وسائل التأييد أو المقاومة

فقالت الرئيسة : لكل واحدة منا أن تحرض وتحض في دائرة نفوذها بكل وسيلة لائقة ممكنة . ويجب على كل واحدة أيضاً أن تسعى بتأليف فرع لهذه الجمعية في كل انحاء القطر المصري حتى تكون مساعينا عامة وشاملة

فقالت زينب : هذا مفهوم ولا اظن واحدة منا تجد وسيلة افضل من هذه . وأول خطوة يجب أن نخطوها اليوم هي أن نطبع قائمة باسماء المرشحين وكل منا تأخذ نسخة وتتحرى عن الاشخاص الذين تعرفهم أو تعرف من يعرفهم وتتحقق مبادئهم وأخلاقهم . وفي جلسة اخرى تقدم كل واحدة منا تقريرها عمن تعرفهم من المرشحين . وبعد المناقشة نقرر الاشخاص الذين يستحقون التأييد والاشخاص الذين تجب مقاومة انتخابهم

فقالت الرئيسة . انه لاقتراح وجيه فما قول لكن فيه ؟

فوافقت معظمهن عليه . ثم نهضت ليلى وقالت . في امكاني أن اذكر لكن منذ الآن بعض الاشخاص الذين لا يليقون للنيابة بتاتاً وتجب مقاومتهم

فقالت الرئيسة لا بأس من عرض اسم كل شخص لائق أو غير لائق منذ الآن لعلنا نستطيع أن نبت بشأن بعض الاسماء اليوم ونخفف العمل عن الجلسة القادمة

فقالت ليلى ، اذكر لكن شخصاً يدعى احمد الزعروري رشح نفسه عن مركز (ب م) وليس له مزية إلا أنه صاحب قليل من الاملاك ولكنه عاج جلف عتل غبي مستبد يحتقر النساء ويعدهن سلعة تباع وتشرى

فصاحت بعض السيدات « ليسقط هذا العلج احمد الزعروري »

وقالت اخرى : من هو المرشح ضده؟

فنظرت ليلى الى زينب كأنها تسألها ماذا تعرف عن المرشح الاخر عن ذلك المركز . فازمهرت زينب وتوردت ثم اكفهرّت ولسان حالها يقول: لا ادري

فقالت سيدة الى جنب ليلى : رشحي محمد بك جنت فهو اليق واجدر لمركز ب . م .

فما ترددت ليلى ان قالت : محمد بك جنت ؟ نعم ، فهو عالم اديب فاضل عصري يحترم السيدات

فقالت زينب: نعم اني اعرف عن جنت بك انه لائق جداً

فصاحت ليلى ليحيَ جنت بك نائب مركز ب. م.

فرددت سائر السيدات هذا الهتاف ونظرت ليلى الى زينب كأنها تسألها

أتعرفينه حقيقة

فقالت زينب همساً : ولا سمعت بخبره، ولكن السيدة التي اوعزت اليك بذكر اسمه لا بد ان تعرفه جيداً ، فسليها . ولا اظنها تخدع الجمعية . ومهما يكن شأنه فحسبي ان اسقط احمد الزعروري

وفي خلال ذلك كانت بعض السيدات الاخريات يعلنّ اسماء اشخاص فيؤيدنهم او يجحدنهم

وفي ابان لغط الهوانم دخل ياقوت اغا وفي يده ظرف تلغراف استلفت انظار بعضهن ودفعه الى السيدة صاحبة المنزل إذ كانت قريبة من مدخل البهو . فنظرت السيدة فيه وقالت بصوت سمعته بعض الهوانم : هذا تلغراف معنون لرئيسة جمعيتنا . قدمه ياياقوت لحضرة ... هانم

فتناولت الرئيسة التلغراف وفضته ولما اطلعت عليه بدت عليها الحيرة وترددت في امره وطوته كأنها لا تريد ان تقرأه . ولا يخفى ان السيدات لا يصبرن على سر مكتوم. فتهامست بعضهن فيما بنهنّ تهامسا مريبا حتى خشيت الرئيسة ان يؤوّل التلغراف تأويل سيئة . ثم سمعت بعضهن يقلن : اذا كان التلغراف معنوناً باسم الرئيسة شخصياً فهو لها وحدها وهي حرة فيه. وأما اذا كان معنوناً لرئيسة هذه الجمعية اية كانت وجبت تلاوته على جميع الحاضرات. ولاحظت ان كثيرات يوافقن على هذا القول، فلم يبق بدٌّ من قراءة التلغراف علناً. فقالت : كنت اظن ان التلغراف من احدى السيدات تعتذر فيه عن تخلفها عن الحضور وتبدي رأيا فاذا به دعابة لا معنى لها . ولهذا آثرت ان اطويه لانه لا يهم واحدة منا. ولكني لما رأيت ان طيه يثير الظنون والشبهات لم اعد أرى بدًّا من اطلاعكن عليه . تفضلي اقرأيه يا س. هانم

وتناولته السكرتيرة وقرأت :

« الى حضرة رئيسة واعضاء جمعية المطالبات بحق التصويت المجتمعات في منزل .... لكيلا تنخدعن يجب ان تبحثن عن أصل واحدة فيكن مجهولة الاصل . والسلام عن من اتبع الهدى . »

الامضاء نصوح

فنزلت تلاوة هذا التلغراف عليهنّ برداً ولكن لا سلاماً. وجعلن يتهامسن فيما بينهن ويقلن: من هي مجهولة الاصل فينا؟ تلك تقول فلانة . وهذه تقول بل هي بنت فلان ابن فلان . وهاتيك تقول فلانة

ولكن الرئيسة ما عتمت ان زجت خطابها في وسط تهامسهن وقالت : لست اعتقد ان بيننا سيدة مجهولة الاصل بل اعتقد ان كل سيدة فينا نبيلة شريفة المحتد طاهرة الذيل . فلا ادري مصدر هذه الدعابة وسببها والغرض منها . ومهما يكن من امرها ومصدرها فارجو الاّ تعلقن عليها اقل اهمية

وعند ذلك صفقت ليلى فتبعتها سائر الهوانم بالتصفيق الحاد . والله الهم ليلى ان تختم الموضوع بالتصفيق حتى تصرف الاذهان عن زينب التي اكفهرت اي اكفهرار وامتقع لونها أي امتقاع بالرغم من محاولتها عدم المبالاة

ولكن مع ذلك بقيت بعض السيدات يتهامسن حتى بعد التصفيق ويتساءلن : ترى من هو هذا، أوهي هذه، المداعية: وما الغرض . وحاولت الرئيسة ان تستلفت الانظار الى خطاب في موضوع آخر فكان التهامس اغلب . وماهي الا دقائق معدودة حتى استلفت الانظار بالون (منطاد) صغير احمر من البلونات التي يلعب بها الصغار، قد لاح امام شباك البهو والهواء يدفعه اليه تارة ثم يرده عنه اخرى . وقد اشغل هذا البالون البال اذ ظهرت بطاقة معلقة به . فتجرأت احدى السيدات القريبات ومدت يدها ما استطاعت وقبضت على خيط ذلك المنطاد الصغير وجذبته اليها، فاذا خيطه قد اصبح متروكا ، فاطلت لترى من كان يقبض على طرف الخيط من تحت، فاذا في الاسفل بقية صغيرة من الحديقة المسورة بسور عال. ولاحظت ان الخيط مدلى حتى الى ماوراء السور فسحبته كله . وما رأت من كان يمسكه .

وكانت جميع الهوانم متحولات الابصار الى ذلك الشباك والى تلك السيدة التي قبضت على البالون وهن يتوقعن بفروغ صبر مايكون من امره وامر البطاقة المعلقة به . واما السيدة فامسكت البطاقة باليد الاخرى وقرأت كتابة فيها لنفسها ونظرت في سائر الهوانم باسمة، فما تمالكت بعضهن ان ساءلتها : ماهذه . ماذا رأيت فيها

فقالت المرأة باسمة : رسالة اخرى هوائية: تفضلي ياحضرة السكرتيرة اقرئيها

فتقدمت السكرتيرة وتناولت البطاقة وقرأت :

« الى حضرة الرئيسة والاعضاء

« ان السيدة المجهولة الاصل لمن انبل السيدات قلباً واشرفهن محتداً واطهرهن روحاً الامضاء صادق

فازدادت الهوانم حيرة واستمررن يتهامسن وانفرجت آراؤهن كثيراً وتباعدت تخيلاتهن .

وأما زينب فتحوّل اكفهرارها الى تورد وليلى ترمقها بعين الابتهاج باسمة . وأما الرئيسة فلما رأت ان الحادث صرف ألباب الهوانم عن موضوع الجلسة قالت : ارجو ان لا تخرجن ايتها الهوانم الفاضلات من هنا الا معتقدات انه ليس فيكن واحدة تصلح ان تكون موضوعاً لهذه الدعابة الباردة فلا يمكن من هو صاحبها ولا ماهو غرضه. انما قررناه في هذه الجلسة كاف الآن وان شاء الله في الجلسة الاخرى نتم قراراتنا. وستبلغ اليكن الدعوة اليها قبل

حينها . انتهت الجلسة الآن

وثم ساد اللغط بين السيدات و بعضهن جعلن ينصرفن. أما زينب فهمست في اذن ليلي قائلة : بعرضك ياليلى اريد ان تختلسي التلغراف والبطاقة باية طريقة . اني منصرفة وحدي فاتبعيني الى منزلي

لم تعدم ليلى وسيلة قط للحصول على التلغراف والبطاقة . فذهبت بهما تواً الى زينب . فتلقتها هذه مضطربة وتناولت البطاقة وانعمت النظر فيها. فقالت ليلى: هل عرفت من خطها كاتبها

— لا . ان البطاقة حيرتني اكثر من التلغراف

— وهل عرفت مصدر التلغراف ؟

— لا وانما اشتبه بالزعروري اللئيم . من يكون غيره ؟

— اتعتقدين انك انت المقصودة بهذه المداعبة الباردة ؟

— اتقولين مداعبة ؟ انها لمكيدة شريرة ياليلى. ان ذلك اللئيم يريد ان ينتقم

— ولكن لا يستحيل ان يكون المقصود غيرك ايضاً . فقد رأيت بعض السيدات مكفهرات مثلك

— ذلك امر طبيعي لان لغزاً عمومياً كهذا يثير ظنون الجميع ويخز ضمير كل واحدة حتى البريئات . ولذلك يجب ان اتحرى واتحقق ان كان المقصود بهذا الانذار اياي . عسى الا تكون احداهن قد علمت انك . .

— لا تخافي . التلغراف والبطاقة تداولتهما الايدي وتوارتا بين الايدي وراتني سيدات كثيرات اناولهما لغيري . ولكن لا اظن سيدة راتهما يتواريان عندي بعدئذ. وما قولك بجنت بك هذا الذي رشحته احدى السيدات للنيابة

— لا بأس به أيا كان وكائناً كان . حسبي الا يكون الزعروري نائباً . وبعد ذلك فليكن ابليس الرجيم . ولذلك يجب ان ابذل جهدي في انتخاب جنت بك . ترى من هي المرأة التي رشحته ؟ هل تعرفينها ياليلى ؟

— لا وانما رايتها في اجتماعات اخرى

— حبذا ان نتحرى عن أمرها وعن علاقتها بجنت بك

الفصل العاشر

حلقة من سلسلة المجهولات

ما انقضت ايام معدودة حتى جاءت ليلى الى زينب مبتهجة متهللة فتلقتها هذه مستبشرة وقالت : يلوح لي ان معك اخبار الخير .

ـ اخبار مفرحة جداً طبق مرامك . تعالي نجلس وحدنا في مخدعك

ودخلتا وانفردتا في ذلك المخدع لا يسمع حديثهما الا الجرذان . فقالت ليلى: أما الخبر الاول فهو ان جنت بك جاء لزيارتي لكي يشكر ترشيحي له لمركز ب. م. في جلستنا الماضية اذ بلغ اليه ما كان من ذلك القبيل وعلم انك انت ايضاً حبذت ترشيحه

ـ من ابلغه ذلك ياترى ؟

ـ اظن المرأة التي ذكرت لنا اسمه لانه قال ان سيدة كانت حاضرة هناك تدعى نعيمة الحجازية اخبرته بما حدث . وفهمت منه ان نعيمة هذه سيدة راقية كانت زوجة .... بك الذي كان مديراً لا .... ثم طلقها وهي عائشة حرة ولها بعض املاك تديرها

ـ كيف رأيت جنت هذا ياليلى ؟

ـ إنه رجل أنيق لطيف جداً للسيدات ويلوح لي إنه على شيء من العلم والمال والادب والظرف . بالطبع هو الف مرة افضل من الزعروري

ـ وهل له حزب في ذلك المركز ؟

ـ يقول انه باذل جهده في استمالة الاهالي وهم لا يعرفونه كثيراً . ولهذا يحتاج الى معاضدة . ويريد ان يزورك لكي يرجو تعضيدك له اذ علم ان لك هناك يدا طولى ونفوذاً

ـ أما انا فقد سعيت مساعي اللازمة ياليلى مع كل من لي عليهم سلطة أو دالة هناك وصار الشغل شغله . فهل تظنين انه يقدر ان يقوي حزبه

فتبرمت ليلى وقالت : إنه رجل متخنث قليلا يحب المغازلة . ولهذا لم اشأ أن أفسح له السبيل للتمادي في المجاملة .

ـ اذاً دعينا منه . نساعده من بعيد بكل قوتنا . ولا يهمني ماذا يكون من أمر شخصيته . بل غرضي ان احبط مساعي الزعروري . ثم ماذا عندك من الاخبار ياعزيزتي ليلى ؟

ـ عندي الخبر المهم وهو ان ابنك يكاد يكون سهل المنال

فابرقت اسرة زينب وقالت: لك حلاوة البشارة ياليلى ما ترومين . ماذا علمت . الحكاية من اولها

فتهللت ليلى بشراً بينما كانت زينب تتورد اضطراباً وفؤادها يخفق حناناً ، وقالت : ماقصرت صوفيا السمسارة في البحث عن انجاليكا التي كانت خادمة في بيت خليل باشا ن ... اذ اهتدت الى خادمة اخرى كانت صديقة لانجليكا فارشدتها اليها . أما انجاليكا فقد تزوجت بعد ان تركت بيت خليل باشا فتى مفتشاً في الترام وصارت ام اولاد. واجتمعت بها صوفيا وبحثت معها عن الطفل وذكرته بحكايتها فراوغت في أول الامر اذ خشيت سوء المغبة. ولكن صوفيا طمأنتها من هذا القبيل وابلغتها ان الطفل اصبح بلا ابوين وله ارث . وبعض ذويه يسألون عنه لكيلا يذهب الارث الى غيره ممن هو أقل استحقاقا منه

وكانت عينا زينب تتألقان لهذا الحديث فقالت متلهفة : وهل عرفت من هم أهله ؟

ـ كلا لاصوفيا عرفت ولا انجليكا عرفت من هم ذووه الباحثون عنه

ـ وماذا أجابت انجاليكا ؟

ـ انجاليكا قالت انها تعرف الخادمة الوطنية التي زعمت انها تعرف الولد وامه وقد اخذته منها على قصد ان تسلمه الى امه. وكانت تعتقد ان تلك الخادمة الوطنية سلمته الى امه . لانها رأتها بعدئذ وسألتها في ذلك فاجابتها ان الولد عاد الى امه

ـ ترين ياليلى ان كلام انجاليكا هذا لايتفق مع الكلام الذي قالته للسيدة الفرنساوية. اتذكرين اني اخبرتك ان هذه السيدة قالت ان انجاليكا قالت لها انها رأت ام الولد تتناقش مع بائع شوكولاته

فقالت ليلى : نعم . يظهر ان السيدة الفرنساوية لم تفهم، او نسيت، ان هذا القول يعزى للخادمة الوطنية التي سلمتها انجاليكا الطفل . فهذه الخادمة قالت لانجاليكا انها رأت ام الطفل تخاصم بياع شكولاتا فسلمتها اياه

ـ اذاً الخادمة الوطنية كانت كاذبة . ثم ماذا ياليلى . ماذا ؟

ـ بناء على ايعاز صوفيا ووعودها لانجاليكا بحثت هذه عن الخادمة فاطمة وتحرت عما تعرفه مما آل اليه امر الصبي . ووعدتها بالمكافأة اذا ارشدتها اليه . فاخبرتها فاطمة انها كذبت حين قالت انها سلمت الطفل لامه، لانها اعطته لمرأة لم ترزق ولداً ، وكانت تريد ولداً ، فاخذته هذه وتبنته وربته ، وقد اصبح فتى يافعاً

فاشتد قلب زينب خفوقا وقالت: بربك ياليلى : من هي تلك المرأة التي ربت الولد؟

فابتسمت ليلى وقالت: حلمك ياعزيزتي. الى الآن لم تقل فاطمة لاحد من هي، لانها لاتجسر أن تفعل ، وتخاف سوء المغبة

— كيف ؟

— المرأة التي ربت الطفل متمسكة به ولا تتنازل عنه بل لاتعترف قط بانه ليس

ابنها. بل تدعي أنه ابنها من لحمها ودمها لزوجها المتوفى. وما أحد يعلم أنه لقيط تبنته الا فاطمة وبعض أهلها ممن كانوا ولا يزالون ذوي صلة بها. ولو راموا إفشاء السر طمعاً بمكافأة لواقحتهم. ومن يستطيع أن يكذبها بعد بضع عشرة سنة. فلا بدمن مفاوضتها في الامر والاتفاق معها على وجه. وهو الموضوع الذي يجب أن نبحث فيه الآن بناء على نصح صوفيا

— هل فاتحت فاطمة تلك المرأة بالامر

— نعم قالت لها: ماذا تفعلين اذا كان أحد الناس يهمس في أذن الفتى أنه ليس ابنك؟ فقهقهت وقالت: انه لا يصدق أحداً. وكيف يصدق أني لست أمه بعد أن أذبت حشاشتي عليه وأنفقت المال في تعليمه وتثقيفه.

— يظهر أن المرأة غنية

— نعم وهو وريثها

فتنهدت زينب وقالت: هنا العقدة وهنا اللوعة: تتمتع امرأة غيري بابني. ولكن آه الذنب ذنبي. ولو أبقيته معي ترى ماذا يكون مستقبله. وماذا يكون مستقبلي؟ ولكن ماذا تقول المرأة في حرفي ز. ع. اللذين على عضد الفتى؟ وكيف تعلمها؟

— لم تبحث فاطمة معها بشأنهما

— هل تعلم فاطمة بهما؟

— بدون شك. وتقول أنها رأتهما مراراً في ذراع الولد ولا يزالان كما تعهدينهما

— وما رأي صوفيا؟

— صوفيا لم تبد رأيا لانها تجهل الظروف والاحوال. وانما أنا سألتها ماذا تقول في هذا الرأي، وهو أن تخاطب فاطمة تلك المرأة سراً بينهما بتزويجه من فتاة غنية هي قريبة الفتى الحقيقية وهي الوارثة لماله مادام هو مفقوداً. وبذلك تكون ثروته قد آلت اليه. وبعد ذلك تعلن الحقيقة للفتى سراً.

— تعنين بعد أن يتزوج حكمت

— نعم إذ يصبح حينذاك أطوع لك من مربيته بواسطة علاقته الزوجية. وربما تسنى لك حينئذ أن تتفقي مع مربيته وتشتركا معاً في أمومة الفتى وحكمت. وأظن أن اتفاقكما حينئذ يكون ممكناً وموافقاً لمصلحة الفتى والفتاة بل لكم جميعاً.

فتبرّمت زينب ممتعضة وقالت: انه ليصعب علي جداً ياليلى ان تكون لي شريكة في سعادتي غريبة عني، لا أدري ان كان سهلا أن أعاشرها

— ليس ضرورياً أن تعاشريها يازينب

— لابد من العشرة بيننا مادام بيننا فتى وفتاة مناصفة

— ولكن لا يمكن سلب فتىً من مرأة

ـ بته وأحبته حب الأم لابنها . وليس حقاً أن تحرميها لذة أمومته

ففكرت زينب متجهمة مكتئبة ثم نفخت وتافقت وقالت : اف . آه . آخ . لا ادري ياليلى كيف استطيع حل معضلة كهذه .

— هبي انك زوجت بنتك لفتى غريب عنك او ابنك لفتاة غريبة عنه، افما تشترك معك حماة بالامومة؟ احسبي الامر كذلك

ـ اوه. انها لعقدة صعبة ياليلى. والمسألة ليست كما تمثلين. ان الفتى ابني والفتاة ربيبتي

ـ والفتى ربيب تلك المرأة وهى حماة زوجته، وان كانت حماة غير حقيقية

ـ اوه. دعينا الآن من هذا الموضوع الى ان نصل اليه فنرى كيف ندبر المسألة . اود ان ارى الفتى اولاً

ـ ليس هذا بالامر الصعب .

ـ واود ان ارى الحرفين الموشومين على عضده

فتوقفت ليلى قليلا عن الكلام ثم قالت : ان هذا صعب ولكني لا اظنه مستحيلا، سندبره. وانما المهم ان نقرر الان خطة للموضوع الاساسي . ولا ارى أفضل من مفاتحة المرأة بمسألة الزواج اولاً من غير ان نشير الى تاريخ الفتى . وبعد ذلك نرى كيف نتذرع الى المسألة الاساسية

ففكرت زينب برهة ثم قالت : لا بأس فلتكن الخطة كما تقولين . وإنما لا أود أن يعرف من هي الفتاة المعروضة على الفتى قبل أن أراه وأرى الوشم في عضده . فدبري هذا الامر أولا

— نعم ستكلف صوفيا أو انجاليكا

فاطمة ان تباحث المرأة بمسألة تزويج الفتى من فتاة غنية مهذبة . وفي الوقت نفسه تسعى فاطمة وانجاليكا بطريقة ما لمشاهدة الفتى والوشم في ذراعه. وبعد ذلك ندبر خطة اخرى

— إذاً ارجو منك أن تجتهدي أن لا يعرف أحد من هي أم الفتى التي تسأل عنه . وقد يمكن أن تخدمنا هؤلاء النسوة الخدمة التامة من غير أن يعرفنني

— نعم نعم . يمكننا في آخر الامر أن نتفاهم مع مربية الفتى رأساً . والآن اظن أن صوفيا ستطلب فلوساً .

— هل انفقت الخمسين جنيهاً؟

فضحكت ليلي وقالت : تقول انها سافرت الى الاسكندرية للبحث وصرفت مصاريف مختلفة. وسواء كان كلامها صدقاً أو كذبا فهي تريد اجراً، وانجاليكا، تريد وفاطمة تريد

— لا بأس، اعطيها هذه الخمسين الاخرى. فيلوح لي أن المسألة ستكلف اقل مما فرضت

— بل هاتي مئة، فعلى قدر العطاء يكون الاهتمام

فدفعت زينب المئة راضية

الفصل الحادي عشر

شيطانه الكبير

ما هي إلا ايام معدودة حتى فوجئت زينب بزيارة من احمد الزعروري بعد أن كانت تظن أنه لن يرى وجهها لما جرى من خزيها له وخزلانه لديها . ولكنها اوجست من شره ولم تر بداً من مقابلته في السلاملك. فتلقاها مرحباً باشاً وقال بعد أن جلسا: لااظنني استطيع ياسيدتي الهانم اقناعك بأن الشخص الذي رشحته للنيابة عن مركز نالا ينجح لانه معروف أنه ساقط منحط . ولكن دعينا من هذا فهما قلت لك عنه فلا تصدقين بل تحملين كلامي على محمل الطعن بخصم. فلندع ذلك للايام فهي تحققه. وليس لاجله جئت اليك بل لاجل المسألة الاخرى ...

فبادرت زينب بالرد قائلة : اما فهمت في الزيارة الماضية كفاية ياشيخ احمد ؟

— فهمت ، ولكن المسألة اصبحت حرجة، ويجب أن تخرج من تحت سلطانك ياهانم

— كيف ذلك

— انك بعنادك تضحين بشخصين عاشقين يذوبان في لهيب العشق ذوب الشمع أمام النار . فاذا كنت أنت تستهلين التضحية بحكمت لانها ليست من لحمك ولا من دمك فانا لا استطيع التضحية بحليم وهو عندي أعز من قلبي. يكاد الولد يجن. أخشى أن ينتحر . فهل اخسره على شان خاطرك إذا كان لا يهمك أن تخسري ايضاً حكمت

— أما حكمت فغير ماتظن. فهي لا علم لها بحب حليم وليس عندها أقل ميل اليه. فاذا كنت تخبر حليما بذلك فلعله يرعوي ويكرهها ويشفى من حبها

فملق احمد الزعروري بها وقال : وي وي وي . كيف عرفت ذلك ياهانم ؟

— لقد باحثتها في الامر

— إذا كانت قد كذبت عليك فصرختها عند صرعة حليم حين اصطدامه بالاوتومبيل كافية لان تنم عما تضمره في نفسها وتكتمه عنك خوفاً منك

— اوه . هذه عواطف كل انسان رقيق القلب شاهد كارثة أو فاجعة

— ولماذا لم تصرخي أنت مثلها ؟ اما أنت رقيقة القلب؟

— من قال لك اني لم اصرخ؟

— حليم كان متنبها لكل شيء حتى لامتقاع وجه حكمت ، وقد استولى عليه

القلق منذ ذلك الحين إذ شعرانك تضطهدين حكمت لاجله وهو يبذل حياته لاجل انقاذها من اضطهادك

— عجباً كيف يعلم اني اضطهدها

فقال :

— لانه كان يترقب وجودها وحدها في الجزيرة منذ أيام . فلما رآها معك علم انك تلازمينها كظلها وانك جئت معها الى الجزيرة اجابة لرغبتها من غير أن تدري انهما على ميعاد

فاجفلت زينب واستشاطت وقالت انت لاريب انك وابنك وقحان . قلت لك أن حكمت لاتبالي بحليم مطلقا ويستحيل أن تخالسه المواعيد خفية عني . انكما تختلقان أقوالا لا اصل لها . هذه قلة أدب وقلة حياء .. الافضل أن تحسم الحديث هنا ياهذا .

وهمت زينب أن تنهض لكي تخرج فاستمهلها احمد الزعروري قائلا : حاملك ياسيدتي : لست اختلق ولا ازور . عندي لكل قول برهان دامغ . خذي اقرأي هذه البطاقة .

فتناولت منه البطاقة وقرأت فيها « إذا كنت اراك في الجزيرة اعلم رضاك عني فاتجرأ لمقابلتك ومخاطبتك » فتذكرت زينب انها رأت هذه البطاقة قبل ذلك الحين وقرأت فيها هذا الكلام . ولكنها لشدة انفعالها حينئذ لم تتذكر في الحال اين رأتها ، فقالت على الفور : وما معنى هذا ؟

فقال : هي رسالة من حكمت لحليم

فانتفضت زينب وقالت : مستحيل ! ان هذا لوقاحة . مستحيل . انك وابنك وقحان تفتعلان الذنوب وتنسبانها للفتاة . ان الفتاة لاطهر ...

— مهلا ورفقا وتؤدة ياسيدتي . لست أبتغي أن اشكو حكمت بل اريد أن ابرهن لك انها تحب الفتى وتذوب غما لاجله فحرام عليك أن تمنعيها عنه . سلي خادمتك الصغيرة خديجة أما هي التي اعطته هذه الحقيبة (المحفظة) الجميلة وقالت له أنها من سيدتها

ولما رأت زينب الحقيبة في يد احمد الزعروري وتأكدت انها هي نفس الحقيبة التي رأتها في غرفة حكمت صباح ذلك اليوم الذي حلمت فيه ذلك الحلم المزعج ، طار صوابها وصاحت : هذا فجور يالارذياء لا يحتمل . يدس ابنك الحقيبة في شباك حجرة حكمت في الفجر وهي نائمة متوسلا الى ذلك بالتسلق على الشجرة كعادته وأنا اظفر بها قبل أن تراها الفتاة ثم اردها له مع الخادمة . واخيراً تعود تقول لي هي رسالة من حكمت لابنك ؟ حقا ان هذا لمنتهى القحة

فاستغرب احمد الزعروري كلام زينب وقال : لا أقدر يا سيدي أن أصدق هذا الكلام الذي أنا أعده مكابرة وانكاراً منك

لان ابني حليما لا يكذب علي ولا مصلحة له بهذا الكذب ولا يرى فائدة من اختلاق هذه الحكاية

«فتجننت» زينب وقالت: إذاً ادعوك الخادمة الصغيرة الى هنا واسألها من اعطاها هذه الحقيبة لكي تدفعها لابنك

وفي الحال استدعت زينب الخادمة الصغيرة خديجة وسألتها على الفور: هل تتذكرين هذه الحقيبة ياخديجة؟

— نعم ياسيدتي. أما هي الحقيبة التي قلت لي أن أسلمها للفتى الذي كان يمشي وراء السور في الصبح الباكر؟ بلى هي بعينها.

ثم أمرت الفتاة أن تخرج وقالت: وهل في امكانك أن تخبرني ماذا كان ابنك يفعل عند الفجر حول سور هذا المنزل حينئذ اذا لم يكن هو الذي تسلق الشجرة وقذف بالحقيبة من شباك حجرة حكمت. والظاهر أن خفيف الشجرة والقرقعة نبهاني بعض التنبيه فحلمت حلماً أزعجني واشغل بالي على حكمت فتسللت الى غرفتها فوجدت هذه الحقيبة فيها. ولما لمحت ابنك يتمشى حول السور لم يبق عندي شك بانه هو الذي دسها فاعدتها اليه واوعزت اليه ألا يتمشى بعد حول السور. فماذا كان يفعل حينئذ هنا

— اما انه يتمشى هنا فهو ديدن العاشق أن يطوف حول منزل حبيبته يتنسم أخبارها أو يترقب بزغة من شمسها. وأما انه هو الذي دس الحقيبة وثم كذب علي فلا أقدر أن أصدق إذ لا مصلحة له في هذا الكذب، وهو يبوح لي بعشقه بكل صراحة لانه يعلم اني أحبذه وأني معوانه فيه.

فسخطت زينب به غاضبة وقالت: صدقت أولم تصدق. لا يهمني. وزد على ذلك ان الخط الذي في هذه البطاقة ليس خط بنتي.

— ولا هو خط ابني

— ليكن خط من كان. ان حكمت براء من هذه البطاقة

فشعر احمد الزعروري من مكابرة زينب بأرجحية الصدق في حكايتها وتحير في أمرها ولهذا ضرب عنها صفحا ريثما يستفتي ابنه حليما بشأن حكايتها وقال: لا بأس الآن. دعينا من حكاية البطاقة ولنعد الى الموضوع الاساسي الذي لا أقدر أن أصدق منه أن حكمت لا تحب حليما وهي التي صارحته الحب وعاهدته على الزواج. فاذا كنت لا تقبلين به الان فلسوف ...

فزعقت زينب زعقة دوت لها الدار وقالت: كفى. كفى. كفي. لا أريد أن اسمع مناقشة بهذا الموضوع بعد أن صرحت لك بافكاري. السلام عليكم

ونهضت تريد الخروج فاعترض احمد الزعروري في سبيلها قائلا بكل برود وهدوء: مهلا يا هانم ان السخط و«الزعيق» لا يبتان

حكما في المسألة . بيننا حساب يجب أن يبت فيه

فنزقت قائلة : أي حساب هذا ؟

فاخذ من جيبه صورة وأراها إياها فاذا هي صورتها مع شخص آخر فصاحت: ويحك . ماهذا ؟

— هذه صورة تؤيد شيئاً من تاريخك السابق لزواجك بكر باشا العيوقي . ومع هذه الصورة رسائل بامضائك لهذا الرجل المصور معك . لعلك تشكين بصحة قولي هذا . فانظري الرسائل

وتناول من جيبه بضع رسائل وعرضها عليها ثم ردها الى جيبه حالا في حين كانت تتحفز لاختطافها وقال باسما : لا تقدرين ياهانم ان تخطفي هذه الرسائل والصورة من يد حديدية

فغلت زينب وفارت حتى تدفق الغيظ من جوانحها وقالت : انك لابليس رجيم. هذا إفك وبهتان . هذه دسيسة هائلة .

— نعم ان كان في وسعك فكذبي هذه البينات القاطعة على ماضيك امام هيئة الجمعية ـ هذه البينات التي لا بد أن جعلت أعضاءها يتساءلن من تكون مجهولة الاصل

— اذاً لقد صدق ظني ياعين ان مرسل التلغراف انت .

— نعم وسأكون مرسلا تفاصيل التاريخ يازينب .

— ان الله سينقذني من كيدك ياعين كما انقذني فى المرة الفائتة

— وهل انقذك ؟ . وكيف ينقذك والبينات واضحة . ان الله لا يغش ناسه .

— ان الله لا يؤذن بجواز الدسائس والمكايد . ان الله سيفضح كيدك ويرده الى نحرك .

— كيدي ؟ لو كنت شريراً لتركت هذه الرسائل وهذه الصورة تتطرق الى يد بكر باشا قبل أن يتزوجك حتى لا ينغش بك

— لو استطعت ياشرير ان تنسج هذه المكيدة حينئذ ما قصرت أيها اللعين وان كنت قد تسلحت بهذا السلاح الدنيء ياخبيث منذ ذلك الحين فما كان شرف ولا مروءة يردانك عن أن تستعمله ضدي عندي الباشا. ولا ريب انك استعملته يا دنيء ولكن الباشا كان أعلى نفساً من أن يسمح بانتقام شخص دنيء مثلك وان يجرّم مرأة مخلصة مثلي . ولسوف انجو من كيدك كما نجوت اخرج يا ابليس . سأرد كيدك فى نحرك .

فخرج احمد الزعروري يمشي الهوينا

وزينب تحرق عليه الأرض وتصر أسنانها غيظا ثم اقفلت الباب بشدة حتى سمع له دويّ شديد فى الدار وجلست تفكر في شر هذا الشرير وكيف تتقي كيده

الفصل الثاني عشر

القلوب المتنافرة

وقد بلغ الغم من زينب كل مبلغ بسبب تهديد احمد الزعروري ولم تجد املا يفرج كربها . وفى ابان اكتئابها جاءت ليلى متهللة مبتهجة فتلقى ابتهاجها صدمة هائلة من تقطيب زينب المروع. فما ترددت أن قالت : ويلاه ! ماذا بك يازينب ؟ ان من يراك يخيل له أن جبال الهموم والغموم اطبقت على صدرك

فرفعت زينب رأسها وعيناها جاحظتان من شدة الحنق وقال : ان الامر لكما تقولين ياليلى . ان إطباق الجبال لاسهل من اطباق الهموم والغموم

— ويلاه ! واحرباه ! ماذا جرى ؟

— امر لم يكن في الحسبان ياليلى . اني مستفزة لحرب عوان لا اكفل النصر لي فيها

— عجباً ! أي حرب ؟ ماهذه الحرب ؟ مع من ؟ افصحي

— مع احمد الزعروري

فقهقهت ليلى العامرية وقالت : وهل تحسبين حساباً لعلج كهذا

— كلا . لا احسب الحساب له بل للسلاح الذي في يده

— ماهو هذا السلاح ؟

— هو ثمرة رعونتي وطيشي في حداثتي ، بل هو حنظلة تقسي المتمرمرة في إبان يأسي ، بل هو حكم القضاء الازلي عليَّ بالشقاء ياليلى . فما أنا بأشر من غيري ياعزيزتي ولكن القدر لاينصف

— الى الآن لم افهم شيئاً يازينب . فهل الامر سر في ضميرك

— أجل انه سر فى ضميري وفي الورق الذي في يد ذلك العلج احمد الزعروري وقد كتمته عنك حين رويت لك تاريخي الماضي إذ لم يكن لشرحه لزوم فلا بأس الآن أن تكوني ثالثتنا في علم هذا السر قبل أن ينفضح لعل لك رأياً في تدارك انفضاحه ياليلى . اني في منتهى اليأس ياعزيزتي فاسعفيني برأيك

وكادت زينب تجهش بالبكاء فتدارکتها ليلى مهوّنة الامر عليها وقالت : ويحك ماهذا الجبن والضعف . هل تعتقدين ان ذلك البغل احمد الزعروري يستطيع أن يكيدنا ؟ قولي ما الحكاية

— جاءني ذلك الوغد الآن يعيد علي الكرة في طلب يدحكمت لابنه . فشمخت

عليه ونبذته نبذة النواة . فتهدد وتوعد واراني رسائل وصورة تثبت علي طيشاً في ماضيّ

— ولكنك انت الآن متنكرة فكيف يثبت .....

— نعم . الرسائل ممضاة باسم تنكري والصورة وان كانت متقادمة العهد فلا تزال تنمّ عليّ . ولا اخفي عليك حقيقتها وحكايتها ياعزيزتي وانت الصديقة المخلصة مستودع اسراري وملجأي في ملماتي . اتذكرين اني اخبرتك اني عشت مع سيدة اجنبية نبيلة كعشيرة لها ؟

— اذكر ذلك

— وكانت كل عام تصطحبني معها الى اوروبا . وفي العام الاول جمعتني المصادفات في باريس بفتى مصري لطيف المعشر كان تلميذاً هناك ثم صار محامياً وبقي يصطاف في اوروبا . وطالت العشرة بيننا حتى صارت حباً . وكان الفتى يعجب بي لانه استملح زيي الاوروبي وكان يظنني قبل أن كلمني افرنسية الجنس . ثم طلب أن يتزوجني وانما استمهلني ريثما يرتب اموره . أما انا، وما زلت في طيش الصبا وقد حنقت على الدنيا وصرت أود أن اغنم مسراتها بالتي هي أحسن ، فبادلته غرامي وتصورنا معاً صورة واحدة . ولما افترقنا صار يكاتبني واكاتبه رسائل غرام وهيام . ولكن قبل أن تصدق تلك الاحلام اللذيذة اصيب الفتى بحمى تيفوسية ذهبت بحياته في اسبوع واحد . فلعنت بختي وزماني واهلي وابوي اللذين كانا سبب وجودي . وفهمت أن الله ساخط عليّ ، ويئست من حظ الدنيا وزهدت بملذاتها . وبقيت في زهدي الى أن قيض الله لي الزواج من المرحوم بكر باشا . وما خطر لي قط أن تبقى تلك الرسائل عصا تهدد لي في يد احمد الزعروري . فلا ادري كيف وصلت الى يد هذا الرجيم وهو ينوي أن يعرضها في جمعيتنا في الجلسة القادمة ويفضح ذلك الماضي بصورة شنيعة . فما رأيك ياليلي

وكانت ليلي العامرية تسمع والغيظ يغلي في صدرها فقالت : لاريب انه شيطان رجيم . ولكن هل في الصورة والرسائل تهتك ؟ وإلا فلا يهمك امر يحدث مثله كثيراً في زمن طيش الصبا لكثيرات غيرك

— نعم الرسائل رسائل حب وغرام وعشق وهيام . والصورة وان خلت من التهتك فحسبي اني فيها الى جنب عشيق . وأخاف ياليلى أن ينفرط عقد الماضي وينفضح كله . فبالله دبريني

— لابد من سحب الرسائل والصورة من احمد الزعروري باية الطرق والوسائل ولو اختلاساً . فدعيني افكر بوسيلة أو حيلة . لاتيأسي ولا تغتمي يا زينب . لكل كرب فرج . اليس هو الذي ...

— .. ارسل التلغراف ؟.. نعم هو فما انكر . ولقد صدق ظني . وما كان غرضه من ذلك التلغراف الا التمهيد لهذا التهديد

— اذكري يازينب انه في تلك الساعة التي ورد فيها التلغراف جاءت من الفضاء بطاقة تنفي فحوى التلغراف. فما ادراك ان الله يرسل من سمائه لهيباً يحرق تلك الرسائل والصورة قبل أن تنشر

— عسى أن يصدق رجاؤك ياعزيزتي على أن ذلك المنطاد الذي علقت فيه البطاقة لا يزال محيراً لي فما استطعت ان أخمن اليد التي ارسلته وما غرضها

— لسوف نتحقق كل مجهول يازينب ونتدارك مكايد ابليسك . ولعل تلك اليد التي ارسلت المنطاد بالبطاقة تكون خير معوان لنا

— حبذا . حبذا . ولكن أذكري يا ليلى ان الجلسة ستنعقد بعد عشرة أيام. فيجب ان نظفر بالاوراق قبل الميعاد وإلا وقعت في الخطر

— ما قولك في ان نماليء الزعروري ونتظاهر بمحاسنته حتى نعيد له آماله ريثما تنقضي الجلسة وبعد ذلك ربنا يدبر الامر

— انه لشرير ماكر . لا يرضى باشباه الوعود ولا بالوعود بل يحتم أن يقيدنا بقيود. ثم هبي أنه لم ينشر الرسائل في الجلسة تبقى في يده تهديداً لي كل حين . فانا أريد أن أقطع دابر تهديده . أريد أن أنزع هذا السلاح من يده .

— لسوف تفوز باذن الله يازينب لا تهتمي لا تغتمي

— ولكن حاذري . في تسعة أيام يجب ان تنتهي المعركة الحاسمة بيننا وبين هذا الشيطان .

— اذا لم تنته المعركة الفاصلة قبل الجلسة فاسعى بتأجيلها ريثما تنتهي المعركة . اذا كان يشوع أوقف الشمس لاجل معركة افلا نستطيع أن نوقف جلسة . فاطمئني من هذا القبيل ودعينا ننظر في الموضوع الآخر فقد جئتك بخبر سار جداً عن ابنك

فجعلت غياهب الكآبة تنقشع عن محيا زينب وقالت : والله ؟

— والله! ان المسألة مسهلة كما يلوح لي فقد فهمت من صوفيا أن فاطمة فاتحت المرأة مربية الولد بمسألة زواج أو عروس وقالت لها انه في امكانها ان تدبر له عروسة جميلة متعلمة غنية جداً. فابتهجت المرأة كل الابتهاج وسألتها عن العروس . فقالت لها لا أقدر أن اقول لك شيئاً عنها قبل أن ترى هي واهلها الفتى فاذا أعجبهم حصل الكلام والا فيبقى كل شيء في سر الكتمان كانه ما كان . ثم انتهزت فاطمة فرصة أخرى واخبرت المرأة مربية الفتى ان الفتاة بنت عم الفتى ولو ظهرت حقيقة الفتى وعلم نسبه لكانت الثروة له . ولذلك ما من وسيلة لاسترداد الثروة له من غير أن ينكشف السر الا ان

يتزوج الفتاة أولا . فاعجب هذا الرأى تلك المرأة ولكنها ارتابت بهذه التدابير فطمأنتها فاطمة بان أهل الفتاة لا يعلمون شيئا من كل هذا ، ويعتقدون أن الغلام مات الى عالم العدم، بل قلما يسرهم أن يظهر الوجود لانهم يعلقون قلوبهم بالفتاة ويريدون النعيم لها . وبناء على ذلك رضيت المرأة بالسعي في هذا الزواج بل صارت راغبة فيه كل الرغبة. وقد أخبرت الفتى أن يستعد لعرض نفسه على الفتاة وأهلها المجهولين حتى اذا كانت ثمت قسمة بالزواج تفاهم الفريقان . لم يعرف الفتى غير هذا وما علم حتى الآن شيئاً عن أصله وفصله البتة

فقالت زينب : لاريب عندي ان هذه الخطة التي سارت عليها صوفيا هي خطتك الحكيمة . ولكن هل أنت واثقة حتى الآن انه ما من أحد عرف أني وحكمت صاحبتا الشأن .

— ثقي بذلك كل الثقة

— وكيف يمكن أن نجتمع بال...

— بابنك ؟

— آه ما ألذ هذه العبارة يا ليلى . ترى هل يصدق الحلم اللذيذ ! كيف يمكن أن نجتمع به ونراه ونحن مطمئنات انه ما من أحد يعرف من نحن ؟

— لقد رتبنا الخطة هكذا . نذهب أنا وأنت وحكمت لعند انجاليكا صاحبة فاطمة بحجة انها خياطة ولنا عندها فساتين . وفي الوقت نفسه يأتي ابنك مع فاطمة لكي يسأل انجاليكا عن فستان لامه ، أي مربيته

— حسناً ولكن أود أن أرى الوشم فكيف نراه ؟

— لرؤية الوشم دبرنا تدبيراً آخر . بالطبع الغلام فاهم انه آت لكي تشاهده عروس وأمها وهو يشاهدهما . فبعد هذا اللقاء تقنعه فاطمة او انجاليكا ان يزورها في اليوم التالي بثوب الكشافة الذي تكون فيه الذراعان عاريتين . ونحن نكون هناك أيضاً

— انها لفكرة حسنة جداً يا ليلي . لله درك من سياسية . اذا تم انتخاب السيدات فسنجعلك وزيرة الخارجية أو سفيرة الدولة

— اين ؟ في انكلترا ؟

— لا بل في روسيا ، إذ لا يستطيع ان يخمد تلك الثورة البلشيفية الجهنمية الا سيدة ..

— سيدة مصرية . ولكن لماذا لا تجعلين زيارة الفتى الاولى بثوب الكشافة لانه يهمني اولا أن ارى الوشم على ذراعه حتى اتحقق انه هو هو بعينه

الفتى وامه يريدان أن يظهر لاول مرة بمنتهى اناقته لكي تحبه الفتاة

— لا بأس . متى تعين موعد المقابلة؟

— غداً

— حسناً غداً نذهب معاً ان شاء الله

***

ولا تسل عما اعترى فؤاد زينب تلك

الليلة من الخفقان وما ساورها من الافكار وما تعاقب في ذهنها من التصورات وما تقلب في صدرها من الآمال تارة والمخاوف اخرى وما اعتور يقينها من الرجاء بالسعادة والقنوط منها . لم تكد زينب تنام تلك الليلة . وهي لا تدري هل تستعجل الصبح لتشرق شمسه عن امل سعيد أو ان تستمهل الفجر لئلا يتشقق عن غمامة يأس وغيهبة بؤس . كانت زينب في تلك الليلة كالروح المتقمصة في جسد لا تدري شكله بعد اشكل ملاك أم شكل بهيم

في اليوم التالي صحبت حكمت امها حسب رغبتها الى الخياطة انجاليكا ومعهما ليلى العامرية الصديقة الحميمة . ولم تكن حكمت لتفهم شيئاً مما كان مضمراً . دخلت النسوة الثلاث الى منزل انجاليكا ، وهو منزل بسيط يشتمل على غرفتين وبعض الغرفة . فلم يكن عندها مكان تستقبل فيه الزائرات والزوار إلا رحبة صغيرة كانت تستعملها مائدة ايضاً . بيد أن الغرفة تشتمل على مقاعد وكراسي وبعض الرياش البسيط النظيف المرتب الدال على شيء من الذوق . ولا بدع في ذلك فان انجاليكا قضت قسما من عمرها خادمة في بيوت الذوات فاقتبست شيئاً من حسن الذوق

دخلن الى المنزل وهن مئتزرات منقبات بنقب غير شفافة لا تبدو إلا العيون من فوقها . فرأين بين مرأتين ؛ الواحدة وطنية مبرقعة والاخرى افرنجية ؛ فتى يافعاً اهيف القامة نحيل البدن شاحب الوجه بعض الشحوب انيق المظهر يرتدي بذلة بنية مائلة الى الخضرة يقارب لونها لون الكاكي بيد أنها من القماش العالي الجودة جداً حسنة الهندام . وعلى رأسه طربوش اطول من اللازم وفي عنقه ربطة ملونة حول طوق كأنه العاج فوق قميص من الحرير الفاخر تحت صدرة حريرية بديعة وقد شبك في الربطة مشبك ذهبي مرصع بالالماس (حقيقي أو تقليد الله اعلم) وفي بعض اصابعه خاتمان احدهما ذو ياقوتة حمراء والآخر ذو زمردة خضراء . وفي قدميه حذاء من الجلد الشموا الرمادي بازرار على جلد لماع فوق عقب يرتفع نحو ٥ سنتيمترات . وفي يده عصا من الابنوس الفاخر ذات قبضة قرنية المادة مصنوعة بشكل رأس فهد ومجزعة بالعاج وبعض المعادن الملونة باشكال اثرية مصرية . وقد جلس وساق على ساق

فلما استقر المقام بالجميع كانت انجاليكا تخاطب هذه تارة وتلك اخرى بمواضيع «الموضة» وترى السيدات جرائد الازياء وكانت فاطمة احياناً تخاطب الفتى وهو يخاطبها ويخاطب انجاليكا بشأن فستان امه . ولكن كان معروفاً عند الفتى والحاضرات إلا حكمت أن ذلك الحديث ليس إلا تمثيل رواية المقدمة لزواج

انقضت نحو ثلاثة أرباع الساعة في الحديث الفارغ الذي لا معنى له ولا طعم لانه لم يكن مقصوداً وحكمت تستغرب هذا المجلس الذي تعهد أن امها لا تطيقه ولا تحضره . فكيف رضيت به ولماذا جاءت اليه! وهكذا كانت معظم الوقت ملولة متضجرة وكل برهة تسأل امها أن يذهبن

وزينب تقول مهلا يا ابنتي حتى تفرغ من شغلنا، الى أن قامت زينب فسبقتها حكمت الى خارج الرحبة وتبعتها ليلى وهي تقول لانجاليكا: سنأتي غداً بعد الظهر لانهاء الخياطة

فقالت انجاليكا

— طبعاً انتظركما

الفصل الثالث عشر

الطاعة العجيبة

ولما خلا المخدع بزينب وليلي في منزل هذه بعد أن ارسلا حكمت الى البيت قالت ليلى باسمة: كيف رأيت يازينب؟ كدت اسمع دقات قلبك

فضحكت زينب مكفهرّة وقالت: متى سمعت دقاته في الاول أو في الآخر

فقالت ليلي: الحق يازينب اني شاعرة ببرود من قبلك نحو الفتى . ولكني لا استغربه لانك لم تريه ولم تعاشريه حتى ينشأ حبك ويشب معه . ولكن متى عاشرته تتجدد أو تنتعش المحبة الوالدية

— اني اوافق على تعليلك ياليلى . ولكني اخاف أن اقول لك اني لست اشعر بفتور فقط بل اشعر بانقباض بل اشعر بصدمة . فان اللهفة التي كنت مندفعة بها لمقابلة الغلام انصدمت بمثل تفور . ولا ادري لماذا . وأظن ان مارأيته في الفتى من ملامح ابيه بعث تذكاراتي الماضية من قبرها وهي تذكارات مؤلمة

— إذا تتقين أنه ابنك

— لا اكاد اشك لان فيه ملامح ذلك الزوج الخائن النذل مصورة كنسخة طبق الاصل ولو عاشره أباه لكسب طباعه الرديئة ايضاً . ولا ادري ان كانت تلك المرأة قد احسنت تربيته . بل اخاف انها اساءتها. فلا أرى في الفتى نجابة كما كنت أؤمل كأن مواهبه دفنت تحت تراب عشرة منحطة . واظن أن الفتى على شيء زهيد من العلم والادب. فان معظم كلامه كان تافهاً جداً. فما قال جملة تدل على علو تصور

بل أن اخلاقه غير راقية فما كان فى حديثه مايدل على علو نفسه . ثم أنه سقيم ضعيف حتى أن سنه اختفت في نحافته . فمن يراه لايخمن له عمراً اكثر من ١٨ أو ١٧ سنة مع أنه قد تجاوز العشرين . وبالاجمال ياليلى ان مظهر الولد خيب ظني وآمالي . ولذلك لا استغرب أنه لم يؤثر على حكمت اقل تأثير . ولا ادري كيف اقنعها بأن تتزوجه وهذه حاله

فقالت ليلي : اذاً بالرغم من خيبتك فيه لاتزالين تعقدين النية على تنفيذ خطتك

— لاأدري ياليلى . اذا كان هذا ابني وقد عثرت عليه فهل أطيق أن استمر على اهماله . وكيف استطيع ان اضمّه اليّ بغير هذه الخطة ، خطة تزوجه حكمت

— أجل . لا أدري أفضل من هذه الخطة في هذه الظروف . واما هذه الخيبات التي تذكرينها فتبدو لك الآن جسيمة ولكنها مع الوقت تتلاشى متى اندمج الفتى معكما وكسب من اخلاقكما بالتدريج

— نعم كل ذلك ممكن ولكن عقدة المسألة فى كيفية تحبيب حكمت به وصرف قلبها عن ذلك الغلام ابن ابليس الرجيم الزعروري .

— لاريب أن هذه المسألة عقدة ولكن اذا أمكن أن يعاشركما الفتى مدة وأنت تدربينه على الاساليب الرقيقة الحسنة اللطيفة فقد يستميل حكمت . وقد رأيت الفتى يخالسها النظرات ولا ريب انها شغلت حيزاً في فؤاده .

— اذاً رأيك أن نسهل للفتى أمر الدخول الى منزلنا . وكيف نفعل ذلك ونأمن القيل والقال وجر المشاكل والتمهيد للفضائح . اذا ساغ له أن يدخل الى منزلنا وجب قبلا أن نسوغ زيارة تلك المرأة مربيته لنا وزيارتنا لها حتى نصبح أصدقاء « بلا تكليف » . ولا أدري ما هي اخلاق تلك المرأة هل تمكن عشرتها بسلام . أف يا ليلي اني أرى المسألة معقدة جداً . ان هماً عظيما منتصب نصب عيني .

— خففي عنك وهوني عليك ياعزيزتي . يحتمل أن تتطور الحوادث كثيراً يا زينب وتتسهل أكثر مما تحسبين وتتخوفين كما تسهلت في العثور على الغلام . ورأيي أن نسهل للفتى والفتاة الاجتماع عندنا بضع مرات . وأنت تعلمين انه ليس عندنا من حرج أو مانع اذ ليس فى المنزل إلا أنا وامي ، وأنا في مركز لا يؤذن بقيل ولا قال

(ذلك لان ليلي العامرية ترملت منذ بضع سنين ولم تشأ ان تتزوج ثانية وقد اصبحت تناهز الخمسين . وامها امرأة عجوز تناهز السبعين . وليس عليهما مسيطر غير نفسيهما وهما مستقلتان بثروة كافلة لهما عيشة هنيئة راقية)

فقالت زينت : شكراً جزيلا للطفلك ياعزيزتي ليلى . انك مسهلة لي كل أمر وأنا

أقدر فضلك حق قدره . اذاً غداً نرى الفتى عائداً من سباق الكشافة بثوب الكشافة اذ تظهر ساعده وأرى فيه الوشم . ثم تحادثينه وتجامليه وتدعينه لزيارة أو لخدمة يقضيها لك أو لاي سبب يقتضي ان يكون عندك . ونجتمع بعدئذ عندك من غير ان يدري من نحن ونعاشره ويعاشرنا ونرى ماذا يكون من امره وامر حكمت . ولعل الحديث يجرنا الى احاديث وعلائق

— كذا. كذا . والمسائل تحل بعضها بعضاً مع الوقت ياعزيزتي . فلا تحملي الهم قبل وقوعه

***

وفي اليوم التالي كانت ليلى وزينب عند انجاليكا (الخياطة) واذا الباب يقرع ففتحت انجاليكا فدخل الفتى في ثوب كشاف وسأل . هل انجزت الخياطة لامي؟

فقالت : نعم اذا كنت تنتظر قليلا فالفها واعطيكها. تفضل ادخل واجلس دقيقة فقط .

فدخل الفتى وظهر عليه شيء من الخجل مقرونا بالخيلاء. ورات زينب وليلى حرفي ز . ع . موشومين على ذراعه اليمنى.

وجعلت ليلى تخاطبه وتسأله عن قواعد الكشافة واصولها الى غير ذلك وهو يجيب الى ان قالت له: اليس للكشافة كتاب يتضمن تاريخها وقواعدها واصولها

— يوجد عدة كتب ياسيدتي وقد الف حديثاً الصحفي توفيق أفندي حبيب كتاباً مطولا بهذا الموضوع

— حبذا ان تأتيني بنسخة منه

— بكل سرور

— هل يمكن ان تشرفنا غداً والكتاب معك ؟

— بلاشك

— هاك عنواننا

***

خرجت السيدتان وزينب مطرقة مفكرة فقالت ليلى : مالك يازينب . هل عندك شك بعد

— لا. حتى ولو لم أر الوشم لان الفتى يشبه اباه كثيراً فلا يضلني شيء فيه . وانما لا ادري ياليلى كيف اعلل امري . بغياب هذا الفتى احن اليه حنو الام لابنها واخاف ان لا اتمالك من عناقه حين اقابله . ولكني متى قابلته ضعفت تلك العواطف كأن شيئا فيه صدني عنه

— ان هذا الصد يزول ياعزيزتي بالعشرة. غداً يكون الفتى عندنا فتعالي انت وحكمت ونرى ماذا يكون من عشرته

***

في اليوم التالي اجتمعت النسوة الثلاث في بيت ليلى العامرية والفتى بينهن وقد تانق في لبسه اي تأنق واطلقت له زينب عنان العشرة. فاخذ حريته وبدا شيء من عقليته وشيء من اخلاقه وتغلب النافر

منهـا على المألوف المرضي . وقد علمت ان اسمه جميل حجازي . فسألته ليلى ان كان قريباً للمرحوم سلامه حجازي . فقال لا قرابة بينهما .

سألته بعض اسئلة عن شخصيته واحوال اهله فلم تكن اجوبته شافية وافية. وعلمن انه يتيم الاب وان امه غنية

انقضت تلك الجلسة على نية ان يعود جميل ثانيـة لزيارة ليلى هانم العـامرية . وكان الى تلك الساعـة لا يعـلم شـيئا عن المرأتين الاخريين ولا اسميهما . مع انه حاول ان يعلم شـيئاً من ذلك. واظهرت زينب له عطفاً فوق المعتاد فعده عطف الحماة العتيدة .

اما هي فـكانت تشعر بلهفة الام له كلما خطر لها انه هو ابنها الذي تركته للقضاء والقدر في حـديقة الجزيرة وان القضاء والقدر رداه اليها

***

وفي اليوم التالي اختلت زينب بحكمت وقالت لها باسمة مبالغة في الملاطفة . كيف رأيت الفتى جميلا ياحكمت

— لا ادري . كيف تسـالينني هـذا السؤال . الا ترينه انت ثقيلا ؟ انه ابله

— عجباً ياحكمت ...

— بل استغرب كل الاستغراب ان تحسبي هذا الفتى يستحق ان نقضي ساعة بعشرته وليس فيه اقل مزية . مثله كثيرون بل الذين أفضل منه غير قليلين

— ولكنه جميل ومتعلم واديب وغني

— كثير من الشبان كذلك يا اماه

فشـعرت زينب ان كلام حـكمت كطعنات في فؤادها لانها لم تجد فيها اقل ميل للفتى ، بل كادت تقنط من امالتها اليه على انها اعتصمت بالصبر والجلد والمواظبة والمثابرة على خطتها. فقالت ان نفسي تحدثني ياحكمت ان يكون هذا الفتى عريساً لك

— لاحظت ما في نفسك يا اماه . وقد انسحق فؤادي لهـذا الخاطر العقيم الذي يلوح في بالك ولا استطيع تعليله الا بان لكل انسان ذوقاً ورأياً وميلا . والجمال في عين الرائي

فقالت ليلى متكلفة الابتسام : كانك تقولين ان حليم الزعروري أفضل منه

— لا داعي للمقابلة بين الاثنين يا اماه بعد ان نهيتني عن ان اتزوج حليما ووعدتك الوعد الصادق بطاعة نهيك

— ولـكني اتمنى ان يكون جميل زوجك

— اتأسف اني لا استطيع ان احقق لك هذه الامنية

— وهبي اني امرت امراً

— اذا كنت اطاوع امرك ولو كان برمي نفسي في النار افلا اطاوع امرك بزواج اكرهه ؟ ولـكني لا اعتقد انك تكافئين طاعة كهذه بامر جائر كهذا يا اماه. لا أعتقد فيك القساوة الى هذا الحد

ـ اني اضن بهذا القلب الطائع ان يشقى أو يتألم ياحبيبتي ياحكمت. ولكني ارى في هذا الزوج سعادة لك لا ترينها أنت الان ولكنك في المستقبل ستشكرينها لي كل الشكر حين تعلمين اني كنت ادخر لك سعادة حقيقية

فتنهدت الفتاة ثم قالت : يلوح لي يا اماه ان نظرك الى السعادة يختلف عن نظري . اني اعتقد ان السعادة شعور قلبي وانت تحسبينها حكماً عقلياً . فما احس به الان شقاء لا استطيع ان احس به في المستقبل سعادة .ومن يكفل مستقبلا وهو لا يقدر ان يضمن حاضراً ؟

— ان مايعلمه الاهل بالاختبار ياحكمت لا يعلمه الا حداث بالقلب . اني اعرف اكثر منك جداً ان في هذا الزواج سعادتك والا فما كنت الح عليك فيه

ـ لقد اتفقنا قبل الآن ياماه على اني اعدك الوعد الصادق الا اتزوج حليما البتة وانك تعدينني ألا تكرهيني على زواج شخص آخر. وقد تواعدنا على هذا فارجو ان تحافظي على الوعد

فتململت زينب وقالت : ولكن أراني مضطرة ان آمرك بهذا الزوج لما أثق بما فيه من السعادة لك

— واني لخاضعة لامرك يا أماه اني اندفن حيث تحفرين لي قبراً، وانام حتى على الجمر سعيدة بطاعتك

وهنا لم تعد حكمت تتمالك نفسها فاجهشت واسترسلت بالبكاء وارتمت في حضن زينب مولولة : أماه ، أماه رحمة ورأفة

فتمزقت أحشاء زينب لشدة تأثرها وضمتها الى صدرها وضغتها اليه قائلة : فديتك ياحشاشتي يازهرة سعادتي . لا تبكي لا يكون ما تكرهين . اطمئني ياحبيبتي . لك ما تريدين

عند ذلك دخلت ليلي فوجدتهما في هذه الحال . فقالت : ويحكما . ما بكما . ماذا جرى .

فغمزتها زينب أن تكف عن السؤال وكأن حكمت انتهزت هذه الفرصة والتفتت الى ليلى قائلة : اني واثقة بعدلك وشرف كلمتك. واقبل بحكمتك وأحكمك بيني وبين أمي وأنت الصديقة الحميمة لها .

ثم روت لها ملخص الحديث الذي جرى وقالت : هل تحكمين بان اتزوج فتى لا أقدر أن أحبه الآن على احتمال ان أجد سعادتي بزواجه في المستقبل

فقالت ليلي على الفور : لا . لا يجب عليك أن تتزوجيه الا متى احببته . فاذا كنت لا تشعرين الآن بحب له فتنتظرين الى أن يوجد الحب بينكما . فالعشرة احيانا تحول البغض الى حب

فالتفتت حكمت الى أمها باسمة في ابان انهمال دموعها وقالت : هل تقبلين بهذا الحكم يا أماه

فابتسمت زينب وقالت : قبلت على شرط أن تقبلي أن تعاشري الفتى عسى ان ينشأ الحب بينكما

— لاجل خاطرك اعاشره والاطفه واحتمل عشرته الى الابد ولكن لاتطلبي مني أن أتعهد لك اني سأحبه في المستقل

— ولكن هناك اسراراً خطيرة الشأن ستثبت لك ان في هذا الزواج سعادة عظمى لك يابنيتي

— لا أشك بصدق قولك وعسى أن يخلق الله فيّ قلباً آخر ويفني قلبي الحالي . وانما جل ما أطلبه منك ألا تكرهيني على الزواج قبل أن احب فما قول خالتي ليلى ؟

فقالت ليلي : لك حق يا عزيزتي . لك حق . قومي قولي لخديجة أن تعدّ لي كاس شاي

الفصل الرابع عشر

الغاز تنحل الى الغاز أمرّى

ولما خرجت حكمت قالت هامسة : أهكذا تروعين الفتاة يازينب؟ انك لقاسية. هل تريدين منها أن تحب الفتى في يوم واحد؟ هذا لا يكون . طاوعيها على هواها الآن وزيني لها محاسن الفتى فقد تحبه تدريجياً. وانما بالضغط والامر الجازم والمشاكسة تزيدينها نفوراً منه .

— صدقت ياليلي صدقت . ولكن حليما «ابن الكلب» سالب لبها. ولا أنكر أن حليما على ضعة اصله يرضي الفتيات اكثر من ابني . ولكن ماذا افعل ؟ أخاف ان يحبط المشروع وافشل .

— حسبك انها وعدتك بعدم زواجها حليما . فكفى

— اني أخاف من فضح المسألة قبل بلوغ الغاية التي ينتظر أن تسترها . ولاسيما أن احمد الزعروري هذا يناصبني العداء بكل وسيلة شريرة. ولقد دنا موعد اجتماع الجمعية ياليلي وذلك النذل سيدس الرسائل والصورة في الجمعية بين السيدات. ولا بد أن يتذرع الى ذلك بواسطة سيدة شريرة القلب مثله تلذ لها الفضائح . وربما شفع تلك الرسائل بملخص تاريخ حياتي الماضي . من من يدري ؟ ومن يعلم ماذا يستنبط ويخترع ويضيف الى ذلك التاريخ ؟ فان قلبه مملوء خبثا ولؤماً وينتظر منه كل شر

— عجباً . كيف حصل الشرير على تلك الرسائل ياترى

— آه . لا أدري ياليلي لا أدري . أظنه بحث عن تاريخ حياتي حين شعر أن بكر باشا يميل الي ويود أن يتزوجني . وقصد ان يشي بي للباشا . ولا بد أن يكون قد عرض عليه الاوراق والصورة. ولكن الباشا كما أخبرتك ضرب صفحاً عن ذلك الماضي وما قبل منه تلك الاوراق. فاحتفظ بها لفرصة كهذه الفرصة لكي ينتقم مني لاني كما قلت لك سابقا اني كنت أنفر منه واطلب من الباشا أن يعزله من وظيفته عنده لانه لم يكن مستقيما . ولما مات الباشا عزلته . فنقم علي. وأخاف أن تكون عنده معلومات أخرى ياليلى واذا نشرها جعل ماضيّ أشهر من حاضري. لا أريد أن أظهر للعالم بتاريخين

— ولكن ليس في ماضيك يا زينب من العار قدر ما تعظمينه الا اذا كانت ثمت أمور اخرى لم تبوحي لي بها. فلذلك لا ارى داعياً لهذا القلق الشديد

— بربك يا ليلى تصوري انفضاح ذلك الماضي وانتشاره بين الناس مع مافيه من مظلوميتي وعدم العار فيه علي. وتصوري ماذا يبني الناس عليه من القصور والعلالي وانهم يستلذون المتاجرة بالفضائح لا بالمحامد وهذا ما أريد أن أتداركه. رباه. ما العمل؟ بعد ٣ أيام تنعقد الجمعية. فما الحيلة لاستخراج تلك الاوراق من يد ذلك المنتقم اللئيم

— مارأيك ان نساومه عليها

— أدفع الف جنيه

— وان لم يرض نحرض من يسرقها أو يغتصبها منه

— وادفع الالف لاي من يأتيني بتلك الاوراق. بربك دبري المسألة سريعا ياليلى. لم يبق وقت كاف للتدبير يارباه

وشعرت ليلي بموقف زينب الحرج وادركت أهمية الامر عندها . فقالت: اني ذاهبة الآن اليه بنفسي وسأساومه في الامر وأرى ماذا يكون من أمره . فان لم يقبل ثمنا للورق والصورة فعندي من العلوج والاجلاف من يدقون عنقه ويأخذون منه ورقه رغم انفه

وخرجت ليلى وطيدة العزم على تنفيذ هذه الخطة

***

وكانت ليلى كل يوم تجتمع بزينب مرتين لكي تطلعها على ما تم بهذه المسألة ولكي تتشاورا في خطة حلها

أما احمد الزعروري فلم يقبل ثمنا لذلك الورق الا أن يكتب كتاب حكمت على ابنه حليم . ولم يبق بعد الجهاد في تلك المساومة الا يوم واحد. فقالت زينب إذاً لا بد من تنفيذ الخطة الثانية وهي اغتصاب الورق منه عنوة

— لقد تسرعنا بتقرير الخطة يازينب لان فيها مسؤولية . أخاف من الوقوع في المسأولية

— أما أنا فأرى كل مسأولية أسهل

من هـذه . فلا أطلب منك يا ليلى الا أن تبعثي الي رجالك الذين يستطيعون أن يقوموا بالمهمة وأنا اتفق معهم . وما عليك بعدئذ الا ان تكتشفي اين يضع الورق، هل يحمله او يخزنه في خزنته

— ذلك مستطاع جداً يا زينب . غداً صباحاً يمتثل بين يديك ثلاثة رجال أشداء فساوميهم . وغداً آتيك بالخبر اليقين عن مستودع تلك الاوراق

في صباح اليوم التالي جاء الى دار زينب ثلاثة من الرجال العمالقة . فساومتهم. واما ليلى فلم تأت حتى عصر ذلك النهار حتى قلقت زينب شـديد القلق لتاخرها . ولما دخلت ارتاعت زينب من تقطيبها. وسألتها في الامر. فقالت : ان الرجل لداهية. فقد راوغ كل النهار. فتارة كان يقول إنه يريد الفي جنيه ...

— ادفع له الالفين

— ولـكنـه ما لبث ان عدل وقال إنه لا يقبل الا يد حكمت ثمناً للورق . واخيراً قلت له: ارني هذا الورق لـكي افحصه وارى هل يستحق يد حكمت فقال : إنه محفوظ في البنك . فما صـدقت وقلت له : اسحبه من البنك وارنيه . فقال انه لا يسحبه الا وقت اللزوم . وانما يصطحبني الى البنك ويريني هناك . وبالفعل مضيت معـه الى البنك وسحب الورق واطلعني عليه. ورده في الحال الى خزنة البنك كانه ذخيرة يخشى ضياعها أو ثروة يخاف سرقتها

— لله منه داهية شريراً . وما العمل اذاً ياليلى والنهار ولى ؟

وكانت زينب في شديد الاضطراب فاجابتها ليلى: لم يبق الا ان اذهب الى الرئيسة الجمعية واسعى معها باسلوب لطيف ان تعلن تأجيل الحفلة اسبوعاً لاسباب جوهرية . وفي هذا الاسبوع نحاول ان نحمل احمد الزعروري ان يستخرج ورقه من البنك باي الوسائل وثم ينقـض عليـه الرجال ويغتصبونها منه عنوة

— اذا رحماك يا ليلى اسرعي الى بيت الرئيسة الآن

— سألت عنهـا بالتلفون فهي غـير موجودة وقيل انهـا لا تأتي حتى المساء . فانا مضطرة أن انتظر حتى أعلم انها عادت الى المنزل . وسأسأل عنها كل برهة بالتلفون

فازداد اضطراب زينب حتى كانت لا تستقر في مكانها وقالت : أخاف أن يفوت الوقت ياليـلى . متى تستطيع الرئيسة أن تعلن تأجيل الاجتماع ولم يبق الا غداً قبل الظهر فقط

— تعلنه بواسطة جرائد الصباح التي لا تطبع قبل نصف الليل

— وكيف تستطيعين ان تقنعي الرئيسة بتأجيل الاجتماع

خطر لي خاطر بديع وهو ان اقول إنه ورد لي خطاب من مستر برون زعيم

حزب المطالبات بتصويت النساء في اميركا تقول فيه انها ستصل الى مصر في هذا الاسبوع وانها تحب أن تحضر اجتماع جمعيتنا. فيحسن بنا أن نؤجله ريثما تحضر هذه السيدة الاميركية

— انها لفكرة بديعة ياليلى. ولكن قد تسألك الرئيسة أن ترى خطاب مسز برون هذه

ـ لقدحسبت هذا الحساب واصطنعت الجواب. خذي اقرئيه فهو مكتوب (بالطيبريتر) بالآلة الكاتبة

— والظرف وطوابع البوسطة ؟

— اودعته في ظرف من صديقة اميركانية كانت قد كتبت لي في الشهر الماضي.

— حسناً حسناً. وقد تسألك الرئيسة ما معنى أن تكتب مسز برون لك

— أقول لها إن صديقتي الاميركية أخبرتها عني فكتبت لي

— مرحى مرحى. انك لداهية الساسة ياليلى. إن تم انتخاب السيدات فسنعينك صاحبة الدولة رئيسة الوزراء

وهنا كان قد انقشع غيهب الهم عن صدر زينب قليلا. ولكنها ما زالت قلقة وكل هنيهة تقول لليلي: بالله اسألي هل عادت الرئيسة الى منزلها ؟

ولكن غربت الشمس ولم يرد خبر أن الرئيسة عادت الى منزلها. وكلما مرت دقيقة تزداد زينب قلقاً واضطرابا الى أن سمعت صرخات مريعة خارج المنزل روعتها وروعت من في الدار، صرخات فظيعة ولكنها قليلة ومتواليـة تدل على حدوث جناية أمام المنزل. فاسرعت هي وليلى الى الشباك واطلتا فاذا أمام بوابة المنزل شبح صريع على الارض واوتوموبيل يفارق ذلك المكان بسرعة وبعض الغلمان قد تجمعوا وهم يقولون قتله

ولكن الصريع تحرك وحاول النهوض فلم يستطع.

فقالت ليلى: لم يمت. لم تزل فيه روح

فقالت زينب: يجب اسعافه. أما من خطر في ذلك ؟

— كيف ؟

— ألا خوف من التعرض للتهمة ؟

— يالله. هل يسمح الله بقصاص ابرياء يسعفون مصاباً ؟ إن المروءة تقضي باسعاف هذا الصريع لان اهماله قد يفضي الى موته وبذلك نكون مجرمين

فما ترددت زينب أن نادت الخدم وأمرتهم في الحال أن ينقلوا الصريع الى المنزل. وكان الوقت بعد الغروب ولا نور غير نور الشارع الضئيل

فاسرع الخدم وحملوا الصريع وهو بين حي وميت وأدخلوه الى احدى الغرف في الطبقة السفلى. ونزلت زينب وليلي لاستقباله. فلما رأت زينب الصريع

ارتدت الى الوراء قائلة وهامسة في اذن ليلي : يالله . ماهذه المصادمة

— ماذا تعنين ؟

— ألا تسمعين حكمت تبكي متفجعة في الرواق ؟

— نعم . ولكن ما معنى بكائها واجفالك ؟

— هذا الفتى هو احمد الزعروري . ماهذه المصادفة الغريبة

— ويحك يازينب ! هل تريدين أن ترمي الغلام في الشارع إذاً ؟

— كلا كلا . بل أدعو له الطبيب الآن. ولكن حكمت! كلما حاولت أن اشفيها من حبها يحدث حادث فيفتق جروحه . انظري كيف أن الحوادث أو الاقدار تزج هذا الفتى بيننا ونحن نتحاشاه

— عجباً كيف وجد هذا الفتى هنا في هذا المساء؟ ومن ذا الذي صرعه ؟ وما معنى هذا الحادث الآن ؟

— إن هذا الفتى يحوم دائماً حول منزلنا بالرغم من ابلاغنا إياه أننا نكرهه وأن لا نصيب له عندنا . وأما من صرعه ولماذا فهو السر الذي سنفهمه منه إذا أصدقنا القول . ولكن نحن بماذا الآن ياربا ؟ أما كفتنا مهمتنا حتى نشتغل بمهمة اخرى ؟

وفي الحال اسرعت زينب الى التلفون واستدعت طبيباً . وفي بضع دقائق كان الطبيب في المنزل . فادخلوه الى الغرفة حيث كان الفتى حليم ملقى على مقعد وهو في حالة اغماء أو شبه اغماء، فانعشه الطبيب بالمنبهات والمنعشات حتى صحا جيداً . فسأله الطبيب ماذا يؤلمه فاشار الى ذراعه اليسرى . فحاول الطبيب أن ينزع ثوبه عن ذراعه فصرخ الفتى من شدة الالم وقال : رحمة . مهلا ريثما أملك قوتي . لا استطيع أن احتمل مس ذراعي

فالتفت الطبيب وقال : لعل ذراعه مكسورة ، نمهله ريثما ينتعش جيداً

ثم جرعه جرعة مقوية . وعند ذلك دس الفتى يده اليمنى في جيبه الداخلية واستخرج منها محفظة جميلة وقدمها الى زينب ، فدهشت إذ رأت انها هي نفس المحفظة التي اكتشفتها في حجرة حكمت وأرسلتها اليه مع الخادمة خديجه . ومد الفتى يده بها الى زينب وهي واقفة الى جنب ليلي وكلتاهما تنتظران ماذا يكتشفه الطبيب من حال الغلام . ثم قال : استلمي ياهانم هذه فهي لك، اقدمها اليك قبل أن اموت لئلا تحسب من ميراثي لاهلي. هي لك فخذيها . اني مسرور بأني قد اتممت العمل الذي اضحي بحياتي لأجله. هل تأذن ياطبيب أن انقل بمركبة الى منزلي ؟

— لا بل يجب أن يعمل لك الاسعاف أولاً هنا. يجب أن افحص ذراعك الموجعة

أما زينب فما تمالكت أن فتحت

الحقيبة مستغربة تصرف الفتى . وكانت دهشتها أعظم إذ رأت فيها الصورة التي كان أبوه قد تهددها بها . فخفق فؤادها واعملت أناملها في خبايا المحفظة واستخرجت أوراقاً وجعلت تفحصها وهي مسرورة إذ اكتشفت أنها السلاح الذي كان يتسلح به ابوه احمد الزعروري — الرسائل التي كان يتهددها بها

وفي إبان انهماكها هذا وكزتها ليلي بمرفقها هامسة . انظري . انظري

— ماذا ؟

— انظري الوشم على عضده

فما وقع نظر زينب على عضد الفتى حتى انتفضت وقالت همساً : ويك ما هذا؟

— حرفا ز . ع فما قولك ؟

— لا أدري . إن ما أراه هنا وهنا يجنني ياليلي . إن الالغاز تزداد في نظري غموضاً

ثم انحنت ليلى وأمسكت بكم حليم الذي شقه الطبيب بالسكين لكي يفحص الذراع — فعلت ذلك بحجة إعانة الطبيب وهي تسائله ماذا ترى يادكتور . وانما كان غرضها أن تدع زينب ترى الوشم جيداً .

فقال الطبيب إن شاء الله الذراع سليمة أظن في عظم العضد شقاً صغيراً يجبر سريعاً

فقال الفتى . رحمة بي! مركبة انتقل بها الى منزلي

فقالت زينب : يستحيل أن تخرج من هنا قبل أن ترتاح جيداً ولا يبقى أقل خطر في انتقالك . أليس كذلك يادكتور ؟

فاجاب الدكتور : نعم أظن الافضل أن يبقى هنا الليلة . وغداً ينتقل إذا أراد

واشتغل الطبيب بالاسعاف اللازم نحو نصف ساعة ثم نقلوا حليماً الى سرير انيق في غرفة حسنة من المنزل بناء على أمر زينب . وهو أمر حير حكمت ولم تدر كيف تعلله . كيف تعلل عطف امها العظيم على حليم وهو غريمها المغضوب عليه

ثم سألوا حليماً إن كان يعرف ضاربه وهل يريد أن يبلغ دائرة الشحنة

فاجاب : إنه يعرفه ولكنه لا يريد أن يشكوه ، وبينهما حساب في المستقبل

***

الفصل الخامس عشر

الغاز تحل الغازاً

لما استراح حليم في السرير واطمأنت عليه السيدات ولا سيما حكمت اختلت زينب وليلى في مخدع وحدهما وقالت زينب متحيرة : ما هذه الالغاز ياليلي ؟ إن هذا الحادث لمريب

فقالت ليلي : اني كالباهاء لا أفهم شيئاً من هذه الالغاز ولا ما هي ياعزيزتي ؟

— أولا كيف وجد هذا الفتى أمام دارنا . ومن الذي ضربه هذه الضربة التي كسرت ساعده . ثم ما الذي حمله أن يدفع لي الحقيبة وفيها الصورة والرسائل التي كان يتهددني بها أبوه

فاجفلت ليلي وقالت بفتور : ويك . ماذا تقولين؟

— أقول أن هذه الصورة والاوراق هي ما كنت اتمنى أن ابذل الغي جنيه للحصول عليها . وقد وجدتها في نفس الحقيبة التي اعطانيها حليم . انظري

فنظرت ليلى مدهوشة وقالت . إذاً قد جاءك المنقذ من علم الغيب . وكفيتني مؤونة تزوير الرسائل تذرعاً لتأخير الاجتماع. ولكن مامعنى هذا العمل من الفتى حليم

— سنرى . ثم مامعنى الوشم في اعلى ذراعه — وشم حرفي ز . ع ؟ اني لفى خبل من هذه الحوادث ياليلى

— وأنا مثلك يازينب . لقد شاهدنا فتيين في ذراع كل منهما وشم الحرفين ز . ع . فهل ذلك اتفاق ومصادفة ؟

— تكاد تستحيل هذه المصادفة ياليلي

— إذا هل يخالجك ظن بأن . . .

— ماذا ؟

— بأن أحدهما ابنك

— بالطبع . ولكن الآخر .؟

— الآخر مزيف أو مزور

— عمداً ؟

— عمداً طبعاً إذا كان يستحيل هذا التصادف الغريب

— نعم يستحيل أن يتصادف وشم ذراعي فتيين بحرفين وشماً متماثلا في كليهما. إن مصادفة كهذه أندر من واحد من حاصل ضرب ٢٨ في ٢٩ احرف الهجاء العربية كما لا يخفى عليك، أي أن هذا الندور يأتي مرة في ٨١٢ مرة فكيف به والموشومون هكذا قد لا يتجاوزون الاثنين . نعم إن هذه المصادفة تكاد تكون مستحيلة فلا بد أن يكون أحد الفتيين موشوماً عمداً بغية التزوير

— حسابك معقول يازينب

— ولذلك اصبحنا الآن أمام مسألة اصعب من الاولى وهي . من هو ابني حقيقة؟ اجميل حجازي أم حليم الزعروري. الحق اني صرت اميل الى حليم هذا بالرغم من وضاعة وسطه ، لاني أرى فيه أخلاقا ونبالة لا أراها فى جميل . ولكني أرى في فى جميل نسخة من شكل ابيه ترجح الحق بامومتي له

وكانت ليلى تسمع وتفكر وتزن الكلام والبرهان . فقالت : والله لم أعد اعرف أن احكم حكما صائباً في هذه المسألة . الحق أنها لغز لا بد من تحقيقه وتحريه يازينب . يجب أن نحقق في تاريخ حليم نفسه لعلنا نكتشف سراً له . أما من وسيلة للتحقيق عما إذا كان حليم إبناً حقيقياً لاحمد الزعروري

— لا أدري إن كان ذلك ممكناً فمنذ عرفت احمد كان حليم معه إبناً له

— ماقولك إذا سألت حليما ماذا يعلم عن سبب وشم ذينك الحرفين في اعلى عضده .

— هذا ما ارجو منك أن تجدي سبباً لمباحثته بشأنه ياليلى لعلنا نفهم شيئاً من الفتى نفسه أو نجد في أجوبته اساساً للتحري . ثم أود أن اعلم ماغرضه من اعطائه لي المحفظة وفيها هذه الرسائل والصورة . إن تصرف الفتى غريب . بل يجب أن نعلم كيف وجد هنا . ولماذا . ومن ذا الذي اعتدى عليه . هل في وسعك ياليلى أن تفعلي شيئاً الليلة ؟

— سأبذل جهدي . بعد قليل اتفقده لاستعلم عن صحته وأرى كيف ادخل في الحديث معه

لم تستطع زينب صبراً . بل مازالت كل هنيهة تقول لليلى : قومي الآن واستفقديه . سليه كيف حاله . يجب أن نقدم له لبناً

وما مضى ثلث الساعة حتى دخلت ليلى الى الحجرة التي اضجع فيها حليم فبش لها بشاشة ملائكية كان الفتى في الجنة . أجل أنه يحس أنه فى جو تتنفس فيه حكمت ويسمع حفيف ثوب حكمت أو وقع اقدامها، حتى لو مرت الخادمة من أمام باب غرفته اعتقد أن حكمت هي المارة . وقد اختلست حكمت انشغال امها وليلى بمؤامرتهما ودخلت اليه بسرعة وقالت فديتك ياحليم . حاذر أن تشك باخلاصي لك مهما تتطورت الحوادث

فلما دخلت ليلى حيته باسمة وقالت : عسى ألاَّ تكون متوجعاً

— بالعكس اني اشعر بألم يختلف عن آلامي السابقة

— كيف ؟

— اشعر أنه ألم لذيذ

فقهقهت ليلى وقالت : هل تريد كأساً

من اللبن ؟

— لا أشعر اني في حاجة الى شيء ياسيدتي . فالف شكر . اشعر أن نفسي ممتلئة من كل أمنية . لم اشعر قط بشبع نفسي كما اشعر الآن

فبالغت ليلي بالابتسام له وقالت في في نفسها : ليست زينب غلطانة . إن هذا الفتى كتلة روح وذاك كتلة جسد . شتان بين ناسوت الاثنين . ثم قالت له : لقد اوصى الطبيب أن نفحص ذراعك كل برهة لنعلم إن كان الورم يزداد فيها أو يقل لكي نطلعه

— اني بين يديكن ياسيداتي لا ارادة لي . فافعلن ما تشأن من غير سؤال

— إذاً اسمح لي أن اكشف عن ذراعيك

وامسكت ذراعه بكل لطف ورفعت الكم المشقوق عنها فظهر الضماد الذي عمله الطبيب وهو يغطي أسفل العضد دون المرفق . وظهر الوشم قبل الضماد لانه في اعلى العضد

ثم قالت : لا أري الورم يزداد بل يمكن القول أنه مامن ورم

ثم رفعت الذراع قليلا وردتها الى راحتها وقالت ، أرى هنا وشم حرفي ز . ع اليس كذلك ياحليم افندي

— نعم ياسيدتي الفاضلة

فقالت مازحة : لعلهما حرفا اسم شخص حبيب أو حبيبة؟

فابتسم حليم وقال : والله ياسيدتي انهما قديمان في اعلى ذراعي . وقد صحوت في الدنيا وهما فيها

— ولكن لابد أن تعلم سبب وجودهما هنا .

— يقول أبي انهما حرفا اسم امي زليخة العنابي . فقد وشمتهما في عضدي لكي تعرفني بهما . وذلك بعد أن خاصمت ابي وطلقها وابى أن يتركني معها

— وهل بقيت امك تعطف عليك بعدئذ

— لم أرها في حياتي . وكلما سألت ابي عنها انتهرني وقال لي : لا اريد أن تعرف اماً حقد عليها ابوك لذنوبها وما سألت عنك بعد طلاقها . وحاولت أن اعرف شيئاً عنها أو عن اهلها فلم اظفر بطائل . واخيراً صار يقول لي أبي انها ماتت

— إذاً لست ابن زوجة ابيك الحالية

— كلا . وانما لا انكر أن هذه ربتني وعطفت عليَّ عطف الام الحنون وليس لها اولاد سواي . فانا أحبها وأجلها

— اما عرفت بيت العنابي اهل امك واين هم ومن هم ؟

— لم أعرف عنهم شيئاً البتة كانهم اسطورة خرافية

ولكن الا ترى أن الام التي تشم ابنها بعلامة لكي تعرفه بعدئذ لابد أن تكون قد اكرهت اكراهاً على هجره وهي تتوقع

الظروف أن تسنح لضمه اليها . اظن أن اماً كهذه تستحق أن تبحث عنها . فاذا احرجت اباك فقد يعلمك عنها أو عن اصلها وفصلها أو عن قبرها لتزوره على الاقل

فهاجت عواطف حليم وقال : صدقت ياسيدتي . لقد قصرت من هذا القبيل . فلسوف اقيم القيامة على أبي حتى يطلعني على اخبار امي أو اخبار اهلها

— نعم كذا يجدر بمثلك أن يفعل . إن وشماً كهذا لم يوشم في عضدك عبثاً

— صحيح صحيح . هذه مسألة جوهرية لم اكن اعلم اهميتها قبل الآن . شكراً لتنبيهك إياي لخطورتها ياسيدتي

ودخلت الخادمة بكاس لبن فجرعته ليلى اياها من يدها . فشكرها شكراً جزيلا وقالت : الى الآن لم تفهم سر هذه الحادثة التي رمت كتمها عن دائرة البوليس فهل فيها مايشين سمعة أحد

فتمامل حليم وقال : لا وانما كنت الاحظ شخصاً يتردد الى هنا «مبصبصاً» بدناءة وخسة . وقد صادفته وأنا قادم الى هنا يتلصص كاللص . فانتهرته وسألته ماذا يريد . فأجابني بسخط واغلظ القول . فاغلظت له القول . فما كان منه إلا أن كال لي عصوين على ذراعي فكسرها . واسرع الى اتوموبيله

— أتعرفه ؟

— اعرفه معرفة وجه ولكني لا اعرف من هو ولم تسنح لي فرصة أن اراه مع أحد من معارفي حتى اسأل عنه . ولكن لاشك عندي أنه من الرجال الساقطين الذين لا دأب لهم إلا التحكك بالسيدات وقد زعم أنه زائر . ولكن الزائر لا يتلصص بل يقرع الباب بصراحة وجهر

فقالت ليلى باسمة : صدقت . هكذا يفعل الادباء . وكيف اتفق وجودك أنت هنا ؟

— فتورد حليم وشعر أن في سؤالها هذا شيئاً من التأنيب له كأنها تتهمه بالذنب الذي يتهم به ذلك الرجل فقال : أما انا فكنت قادماً يا سيدتي لكي ادفع الحقيبة لزينب هانم . ولم يمنعني عن أن اطرق الباب بصراحة إلا تلصص ذلك الخسيس الساقط

— وما حكاية هذه الحقيبة

فاغضى نظره وقال : زينب هانم تفهم حكايتها

— عذراً . فهمت أن زينب هانم متحيرة بأمرها

— إذا شاءت تفسيراً فلها افسر . ارجو منك مسامحتي لهذا التعبير الخشن فقد فرط مني لغير قصد يامولاتي

عند ذلك دخلت زينب التي كانت تتسمع وراء الباب وهي تقول : كيف تشعر الآن ياحليم افندي عسى أن تكون مرتاحاً

— إني لفي غاية الراحة ياسيدتي

لا أدري كيف اشكرك . اظن أنه صار في امكاني أن انتقل الى منزلي

— لا لا . ياصاح . ان الطبيب يحتم ببقائك هنا الليلة ريثما يرى غداً كيف تكون حالك . وسأرسل نبأ لابيك لكي يأتي اليك .

— لا بربك لاتفعلي ياسيدتي

— قد يقلق عليك

— فليقلق ليلة ولا بأس. ذلك خير من أن يزعجكم

— لاتحسب حساب ازعاجه اني اجامله

— لا بأس . لقد اعتاد أبي أن يظن اني بائت عند ابن عمتي . فليظن الليلة هذا الظن وغداً يعلم الخبر اليقين

ماجرى هذا الحديث إلا لكي توهمه زينب انها لم تكن مصغية خلسة من وراء الباب الى حديثه مع ليلى . فتناولت ليلى الحديث وروت لزينب ملخص مافات منه تمهيداً لما هو آت . وقالت : إن حليم افندي يفسر لك حكاية الحقيبة . فاجلسي الى جنبه وأنا اخرج

فقالت زينب : لا أظن بأساً من بقاء ليلى هانم معنا

فبقي حليم صامتاً كأنه يريد أن تخرج ليلى . فخرجت ولكنها بقيت تتسمع من وراء الباب

لذلك لم تسنح فرصة لحكمت أن تسمع حديث حليم فبقيت غريبة عن كل هذه الالغاز والاسرار

ولما خلا المكان لزينب ولحليم قالت : ماحكاية هذه الحقيبة ياحليم افندي

— فاغضى حليم نظره وقال : سيدتي اني شاعر بما سببته للآنسة حكمت هانم من الانزعاج أو من اثارة غضبك عليها . وتألمت لاني سببت لها هذا الموقف الحرج. وقد اكتشفت اني تجاوزت حدود اللياقة والادب بمواظبتي على ترقب ظهورها هنا وفي المتنزهات . وعلمت اني كنت في بعض الحوادث مخدوعاً لظني انها هي تراسلني بعلامات رمزية

فاجفلت زينب وقالت : كيف ذلك ؟

— هذه الحقيبة . كنت اظن انها هي ارسلتها لي مع الخادمة خديجة . ولكنك اكدت لابي انك انت ارسلتها لي لظنك اني دسستها من شباك حكمت لها . والبطاقة المكتوبة فيها تصلح أن تكون خطاباً لمخاطب مذكر أو لمخاطبة مؤنثة لانها غير مشكلة بحركتي التذكير أو التأنيث. ولهذا وقع الالتباس عندي وعندك

— الى الآن لم اقدر أن اعلم من دس هذه الحقيبة عندنا

هذا امر لاأقدر أن ابحث فيه. حسبي أن تثقي ياسيدتي اني مادسستها وكنت اظنها من حكمت هانم . لي ولهذا ترقبت ظهور حكمت في الجزيرة طويلا إلى أن صادفتكما في مركبتكما وذلك الخسيس

يطاردكما في اتوموبيله وحدث حينئذ ماحدث بيني وبينه مما لابد أن تكوني قد شاهدته

— العله هو الذي اعتدى عليك الليلة؟

— نعم ياسيدتي هو هو بعينه ولطالما حام حول هذا المنزل ولطالما طاردكما

— ألا يكون هو الذي دس الحقيبة؟

— يحتمل جداً

— ولكن كيف ذلك؟

— لا أدري : اسمحي لي يازينب هانم أن اسألك : هل كنت مرة في مركبة وتركت فيها باقة زهور وكانت معك سيدة اخرى ؟

— متى كان ذلك ؟

— بعد أن تشرف أبي بزيارة لك لم تكن لازمة وقد اغضبتك

— نعم . وانما الباقة رميت الى مركبتنا رمياً ولم نر الرامي . أما انا فظننت انك انت الرامي

— لا ياسيدتي بل بالعكس ظننت أن حكمت كانت معك وقد تركت الباقة عمداً إذ لمحتني في الطريق وأملت ان استقل المركبة بعدكما فاستلم الباقة . كذا توهمت فكان ظني كظنك خطاء . ذلك اني لما لمحتك ومعك سيدة اخرى ظننتها حكمت فانتظرت الحوذي حتى عاد فركبت المركبة وسألته هل يعرف السيدتين . فقال لا . فقلت انهما تركا هنا باقة زهور . فابتسم وقال : تركاها لك . فصدقت لاني رأيت ضمن البطاقة وأنا افحصها ورقة صغيرة مكتوباً عليها هذه العبارة : «اني لفي شوق شديد اين اراك ؟» فظننت هذا خطاب من حكمت . وصرت اترقب ظهورها في أي مكان . والظاهر أن الحوذي خدعني مداعبة لي وارضاء لهوى نفسي لكي يبتز مني فلوساً . على اني بعد حين صرت افسر هذه الامور باني كنت مخدوعاً . فلذلك صممت على أن اتوب اليك والى الله حتى لا تضطهدي حكمت بسببي وهي لا تستحق إلا أن تقدسي اسمها . أن حكمت لاشرف نفساً واطهر قلباً من أن تتنازل لسخافات فتى طائش مثلي . لذلك احببت أن ارد لك الحقيبة لكي اقنعك اني اقتنعت أن حكمت لم ترسلها لي . فبالله وبرسوله وانبيائه لا تضطهدي حكمت فما هي مذنبة . أنا مسبب لها كل نقمتك . واعاهدك اني تائب . ولن اعكر صفاءك بعد ياسيدتي . لقد اقتنعت اني لست كفؤا لحكمت واني اسأل الله أن يشفيني من حبها أو أن يقصر عذابي في الصبر على هواها : لا تؤاخذيني يازينب هانم إن هوى نفسي شيء يخصني فليس لاحد أن يعاتبني فيه أو يعاقبني عليه . فانا حر أن احب وأن اكتم حبي حتى يقتلني . على اني اعاهدك اني بعد الآن لا اعرض حكمت لخطر غضبك . ثقي انها لن ترى وجهي بعد

ومع أن زينب كانت مصغية لتستخرج كل مافي نفس حليم فقد تململت اخيراً وتظاهرت انها لايهمها أن تسمع هذا الحديث وقالت : لسنا نحن في هذا . وانما اود ان اعلم ماشأن تلك الاوراق فى الحقيبة

— اني اعتذر لك عن أبي ياسيدتي. إن أبي يحبني كثيراً ويفعل كل شيء حتى الشر لاجلي . ولما رأى انك مكابرة معاندة وانك جعلت تقاومين انتخابه رام أن ينتقم منك . فلا ادري كيف حصل على تلك الاوراق لكي يتهددك بها . فلما علمت بقصده زجرته وحتمت عليه أن يكف عن هذه المكيدة الدنيئة . فلم يرعو . ولما رأيته مصراً وخفت أن ينفذها بالفعل اختلست الاوراق لكي اقدمها لك تفادياً لمكيدته

— شكراً جزيلا لك ياحليم افندي اني واثقة انك انبل نفساً من ابيك. وهل علمت أن اباك ارسل تلغرافاً الى الجمعية يحذرها من مرأة مجهولة الاصل

— نعم . اما اطلعت الجمعية على رسالتي المناقضة للتلغراف التي ارسلتها بواسطة البالون (المنطاد)

— بلى . انها لرسالة ناجعة الدواء فالف شكر . ولكن كيف يزعم ابوك اني مجهولة الاصل وأنا زينب بنت نصر الدين بك الكرملي من الاسكندرية وجدي فلسطيني من الكرمل

— اعذريه ياسيدتي فقد فعل كل ذلك عن طيش ورعونة حباً بي . وها قد تفاديت رعونته. فهل تسامحين ؟

فاوسعته زينب ابتسامة اطلعت كوكب الامل في صدره . وقالت : اظن اننا ازعجناك وانت تحتاج الى الراحة الآن فاتركك مرتاحاً . يكفي أن تضغط على زر الكهرباء الى جنبك حين تحتاج الى أي شيء. بقي لي سؤال واحد يا حليم افندي وهو كيف حصلت على هذه الاوراق وابوك احرص عليها من كنوزه

— أجل كان أبي يخزنها في البنك حفظاً لها . ولكنه استخرجها اليوم استعداداً للمكيدة . فلما وقعت عيني عليها آليت على نفسي أن اختلسها منعاً للمكيدة . ولكي اتأكد انه لايستطيع أن يستردها جئت بها اليك . واتفق عند وصولي الى بابك الشريف ان رأيت ذلك النذل يتلصص فهاج غضبي فزجرته وسألته ماذا يفعل هنا. فقال انه قادم لزيارة . فقلت له : الزائر لا يتلصص . فاغلظ لي القول فاغلظت له الرد . فما كان منه إلا أن هوى بعصاه الثقيلة على ذراعي فكسرها

— سامت ياحليم افندي . لا ادري بماذا اكافئك . الافضل أن ادعك ترتاح الآن في سريرك الى حين آخر

وخرجت زينب مستغربة مارأت وما سمعت .

الفصل السادس عشر

حواشي الالغاز والاسرار

عادت زينب وليلي الى خلوتهما بعد أن استوعبتا حديث حليم جيداً وهما مختيلتان ، فقالت زينب: ان حوادث هذا اليوم عبرة من عبر التاريخ . إنما اكتشفناه فيها يجعلنا أمام لغز ذي وجهين . كنا نبحث عن فتى حول العشرين سنة سناً على ذراعه وشم حرفي ز . ع . فاذا بنا امام شخصين فيهما هذان الشرطان . فأيهما هو ابني الحقيقي . هذه هي المسألة الجوهرية الآن .

— ولا تنسي يازينب اننا قد اتفقنا على رأي أن احدهما مزيف أو مزور عمداً على الغالب الاغلب بل المؤكد لأنه يكاد يستحيل تصادف كهذا

— لايهمنا الآن إن كان الآخر مزوراً عمداً أو وجد موشوم العضد مصادفة بل جل مايهنا الآن أن نعلم من هو ابني

— بل يهمنا أن نعلم أن في الامر تزويراً وأن نكتشف التزوير لان اكتشافه يسهل الاهتداء الى الحقيقة . فاذا علمنا مثلا أن جميل حجازي مزور حكمنا أن حليم الزعروري ابنك الحقيقي

فابتسمت زينب وقالت : كأنك تظنين أن جميل حجازي مزور !

— نعم كذا اظن

— ولكنه كثير الشبه لزوجي الاول حتى يكاد يكون نسخة منه . ولهذا اظن أن حليما مزور الوشم . ومع اني افضله على جميل لذكائه ونجابته...

— ولسمو اخلاقه ايضاً يازينب

— أجل ولسمو اخلاقه ايضاً اللهم إذا لم يكن متصنعاً بها لدهاء ، مع ذلك لا اعتقد أنه الابن الحقيقي لي

— وهبي أنه تصنع بالدهاء فالدهاء ذو قيمة يازينب

— صدقت ولكن مانحن في هذا الآن وانما يهمنا أن نتحقق الابن الحقيقي من المزور . فما الذي يحملك على الظن أن التزوير في جميل لافي حليم

— اولا أنه لم يبد لنا أن الزعروريين علما بقصدك حتى يزوّرا هذا التزوير

— لعل صوفيا وانجاليكا وفاطمة فرطن بكلام

— هبي الامر كذلك فانهن الى الآن لا يعلمن انك انت الام الباحثة عن ابنها

وبالتالي لا يعلم الزعروري وابنه انك تبحثين عن فتى مفقود حتى يتصنعا هذا التصنع لديك .

— ما ادراك ؟

— وعندي برهان آخر لم تلاحظيه انت وهو أن الوشم في ذراع حليم الزعروري ظاهر أنه قديم . فقد تشوه حرفاه بعض التشويه على قدمه وبهت لونه . والامر بالعكس في ذراع جميل حجازي فان الوشم فيه ظاهر أنه جديد حالك اللون واضح الحرفين جيداً

ففتحت زينب فمها مدهوشة وقالت : لله درك ياليلى من شارلوك هولمز . ان هذه الملاحظة وجيهة تستحقين عليها جائزة

— والملاحظة الثانية أن حليم الزعروري اقرب للسن التي تقولين عنها من جميل . اظن جميلا لا يناهز السابعة عشرة وحليما يتجاوز العشرين . ثم أن التلاعب عند النسوة الثلاث المتوسطات في الامر اكثر احتمالا منه عند الزعروريين لان اولئك عرفن شروطاً وظروفاً لم يعرفها هذان

— كل هذا وجيه ولكن التشابه الذي بين جميل وزوجي الاول غريب ياليلى وليس منه جزء الجزء بين حليم وزوجي

أجل ان هذه النقط وحدها تقوي الشك وتوسع دائرة الحيرة . فلذلك أرى ان نتحرى المسألة مع النسوة الثلاث صوفيا وانجاليكا وفاطمة ونشترط عليهن انه لا بد من معرفة مربية الولد . ومتى عرفناها لا يصعب علينا أن نتحرى إن كان الغلام ابنها حقيقة أو لقيطاً ربته

فنظرت زينب في ليلى كانها تستغيث وقالت ! إذاً ؟

— اتعهد لك بأن احل اللغز يازينب . لقد زالت العقبات الكبرى وانحلت المشاكل افيصعب علينا أن نحل ابسط الالغاز سرّي واطمئني يازينب

— شكراً جزيلا لخدمك الثمينة ياليلي لا ادري كيف اكافئك

* * *

في صباح اليوم التالي انزعج اهل منزل زينب هانم العيوقي بدخول الشيخ احمد الزعروري اليه معربداً هائجاً وهو يصيح قائلا : ماذا فعلتم بابني؟ قتلتموه! ضربتموه اذيتموه ! اين ابني؟

فسمع حليم الصوت وخرج اليه في الحال وهو يحمل ذراعه المكسورة بفوطة معلقة في عنقه وقال له همساً : — ويحك ! هل انت في الغيط «تزعق» . إذا كنت لا تسكت ريثما اخرج معك فاعلم اني اشرد عنك ولا تعود ترى وجهي بعد

— ويحك يابني ! كيف تقيم هنا عند اعدائك الذين استأجروا اشراراً ليضربوك وهم يؤاوونك الآن لكي يموهوا على مكيدتهم ويستروا دسيستهم ويتنصلوا من الجناية

— صه . لا تقل شيئاً من هذا قبل

أن تسمع مني الحكاية . إن أهل هذا البيت لا يفعلون شيئاً مما تقول

— بلى لقد علمت انهم ساوموا ثلاثة « فتوات » لكي يضربونا ويسرقوا الاوراق . وقد سرقوا الاوراق وضربوك وخافوا أن يسطوا عليّ

— إذا كانت سرقة الاوراق كل ادلتك على هذه التهمة فهي أدلة فاسدة لاني أنا سرقت الاوراق . والذي ضربني غريم قديم اعرفه ويعرفني . فارجو منك أن ترد لسانك الى حلقك ولا تحرجني الى التطاول عليك اكثر . لقد خرجت من دائرة آدابي وصار محتملا جداً أن افعل مالا تتصوره

فشعر احمد الزعروري أن ابنه يعني مايقول، وأن الحقيقة غير ماتوهمها فقال: من هو غريمك؟

— ليس الآن وقت البحث في هذا الموضوع يا ابي . وانما اريد أن اعلم من قال لك اني ضربت واني مقيم هنا

— اعرف انك اذا فقدت وجدت هنا فجئت ابحث عنك . فقال لي بواب ذلك المنزل انك ضربت حتى كدت تموت، وأن ضاربيك ركبوا اوتوموبيلا وفروا ، وان اهل المنزل استضافوك

— إذا لاتبني حكما على الظواهر . انتظر حتى تسمع مني جلية الامر . هلم الآن الى منزلنا

عند ذلك انبرت زينب هانم وقالت بخيلاء وجلال : لا اسمح لك أن تخرج من هنا قبل أن يأتي الطبيب ويوافق على خروجك مأمون العاقبة . أجل ان كرامتي لاتتفق إلا مع هذا التحتيم مادمت في منزلي وما دامت المقادير قد قضت بأن تقع الحادثة امام داري : وأما عربدة ابيك وتهمه وأقواله فاغتفرها لاجلك واعرض عنها اعراض الكرام الذين لايستطيع ابوك أن يقلدهم مهما جمع من المال. تفضل ياحليم افندي عد الى السرير فان الخادمة ستقدم لك الفطور وستقدم لابيك القهوة والسيكارة كالعادة وإن شاء فطوراً فتقدمه

فغمز حليم اباه أن يطاوع كأنه يقول: أن في المسألة تدبيراً جديداً أو سياسة جديدة لم يطلع عليها ابوه بعد . فارعوى احمد الزعروري وقال: اني اشرب القهوة في حضرتك يازينب هانم

ودخلت الى البهو العمومي فتبعها احمد وتبعتهما الخادمة بالقهوة في الحال وجلست زينب وجلس احمد وقال على الفور : انك يازينب هانم تحاربيني حرباً غير شريفة

فعبست فيه قائلة : ليست أقل شرفاً من حربك : بل كيف تقول انها غير شريفة

— لو رشحت للانتخاب غير جنّت بك رجلا لائقاً كريما فاضلا وساعدته بكل قوتك لخفت غلبتك وهبت حربك وحسبت حساباً لمساعيك وكنت اعتبرك . أما مساعدتك لجنت بك فقد خلت من ...

— صه : لاتزد لااريد البحث بهذا الموضوع

— انا لم اعرف جنت بك ولا رأيته حتى الآن ولكني بحثت عنه وعلمت أنه شخص مجرم واضطر أن يغير اسمه لكي يخفي ماضيه : ولقد اعددت تقريراً ضافياً عنه لكي انشره وافضحه : فهل تريدين أن تطلعي على التقرير لتعلمي من هو هذا الزنيم : وكم مرأة وكم بنتاً فضح وكم خليلة له وكم جريمة ارتكب وكم اسم انتحل : تفضلي واقرئي

فرفضت زينب وقالت : لا لا اريد ان اطلع على جرائم وفضائح. دعني. لااريد أن اعرف شيئاً

— إذا ستطلعين على المنشور كما يطلع عليه سائر الناس وحينئذ ....

— لن اطلع على شيء ولا يهمني امر كهذا

— دعينا من هذا الامر : ولنعد الى حكايتنا القديمة. فهل عدلت فكرك ؟

ـ ودعنا ايضاً من الحكاية القديمة فلا اريد أن ابحث فيها قط

ـ اذاً لاتزالين تصرين على ...

ـ نعم اقصر حديثك

ـ اذا لااشرب قهوتك

ونهض احمد الزعروري وخرج معربداً على زينب وعلى ابنه

***

وما هما إلا يومان حتى جاءت ليلى الى زينب تقول لها : من تظنين المرأة مربية الفتى جميل ؟

— لا أظن أحداً

— هي نفس المرأة التي كانت الى جانبي في الجمعية وقد أوعزت اليّ ان ارشح محمد بك جنت وعلمت منه أن اسمها نعيمة الحجازية ولهذا يلقب جميل بالحجازي

فحملقت زينب وقالت : لله ما كان أعظم بلهنا ، أما خطر لنا هذا الخاطر حين علمنا أن جميلا يسمى بالحجازي ؟ وماذا عرفت عن هذه المرأة ؟

— الى الآن لم اعرف شيئاً عن تاريخها . ولكني سأعرف كل شيء

— أظن ان سيرتها غير طيبة

— لماذا تظنين ذلك؟

— لانها ذات علاقة بجنت بك . فقد علمت عن هذا الرجل انه منحط جداً

— من أخبرك عنه؟

— احمد الزعروري أعد تقريراً فظيعاً عنه

— لا يوثق كثيراً بكلام الزعروري وهو خصمه

— ولكن اذا أسقطنا ٩٩ بالمئة من تقرير الزعروري الذي لخصه لي ببعض جمل يبقى ما يكفي لجعل الرجل ساقطاً

— ليس ببعيد أن يكون جنت بك كذلك . سأعرف عنه متى عرفت كل

شيء عن السيدة نعيمة الحجازية

— وهل عرفت شيئاً عن القضية الاساسية ؟

— الى الآن لم استطع ان اكتشف شيئاً . وأظن ان الخبث في صدر فاطمة وربما كانت انجاليكا شريكتها به ، أما صوفيا فسليمة النية . ولا بد ان تنجلي لي الحقائق قريباً

الفصل السابع عشر

الحقارة امام الجبلاء

كان الوقت مغرب الشمس حين جاء الآغا الى زينب ببطاقة انيقة مذهبة تفوح منها العطور المنعشة فقرأت فيها

محمد بك اسعد جنت
المرشح للنيابة عن مركز ز . ع .

فشعرت زينب بقشعريرة كأن موجة كهربائية عبرت في بدنها . لماذا ؟ لا تدري هل شعرت بارتياح لزيارة هذا الرجل الانيق أم بانقباض ؟ لا تدري . شعرت شعوراً غير معتاد ، تريد ان تقابل هذا الرجل ولكنها تشعر بارتباك . لماذا تحب مقابلته ؟ لا تدري ، لماذا هي مرتبكة ؟ لا تدري

عادت لزينب كبرياؤها وخيلاؤها ، فقالت لياقوت آغا : ادخله الى البهو اني آتية لمقابلته

— بعد دقائق أعدت زينب فيها نفسها لمقابلة الرجل دخلت الى البهو . وما وقعت عيناها على وجهه إلا ارتدّت قليلا الى الوراء مختلجة مضطربة حتى لم يكد الأمر يخفى على الرجل ، ذلك لانها تذكرت في الحال الرجل الذي رأته في الاتوموبيل في الجزيرة حين اصطدم اتوموبيله بسيارة (الموتوسيكل) حليم . تذكرته لشدة التشابه بين الاثنين ، لم تستطع أن تتحقق ان كان هو إياه أو شخصاً آخر يشبهه ، لان وجه الشبه الذي استلفت نظرها لاول وهلة هو اللحية التركية المستدقة . لم تكن قد رأت ذلك الرجل ذا الاتوموبيل جيداً حتى تنطبع صورته في مخيلتها ، فلذلك حسبتهما شخصين متشابهين

على ان زينباً ما لبثت ان استعادت أبهتها وكبرها وعزة نفسها وحيته وجلست على كرسي هزاز في صف آخر من المقاعد والكراسي وقالت : شرفت ياجناب البك

أما هو فبالغ في الابتسام لها والتحية قائلا : عسى الا يكون تشرفي بزيارتك في مثل هذا الوقت غير مزعج لك

ـ كلا ياسيدي شرفت وأنست

وكان الرجل يتضع في كلامه ويجعل صوته رناناً ويتأنق بألفاظه ، فقال : لطالما هممت ان أتشرف بهذه الزيارة منذ زمان طويل

فاستغربت زينب قوله وسألت على الفور من غير تروٍ : لماذا ؟

فتململ الرجل قليلا ثم قال : لكي أقدم لحضرتك الشكر الجزيل للطفك علي

فازدادت زينب استهجاناً لكلامه هذا وقالت أي لطف هذا ؟

ـ لك ياسيدتي حق ان تسألي فقد تعدد لطفك لي وهو نعمة لا ينالها أي انسان

ـ أرجو منك ان تفصح يابك

ـ أهم ألطافك ياسيدتي انك عضدت ترشيحي للنيابة عن مركز ب٠م٠ أفما كفى ذلك ؟

ـ ان التي رشحتك سيدة أخرى يابك وعضدت ترشيحك سيدة غيري

ـ عجباً ياسيدتي ! ألست حضرتك حرم المغفور له العيوقي باشا

ـ نعم

ـ وقد تحققت ان حضرتك ٠٠٠٠

ـ نعم

ـ وتنكرين تواضعاً وستراً للفضل ، أما أنا فمدين لك بأفضال كثيرة

فرأت زينب ان اخذ المسائل معه بالجد ممل ولا يستحق ان يحاسب على كل ما يقول، لانه ما لبث ان ظهر لها رجلا فارغ النفس والروح والدماغ وليس فيه إلا ظواهر وسطحيات ، فقالت باسمة : هل سبقت لنا معرفة قبل الآن يابك

ـ لا ٠ هي أول مرة أتشرف بالمثول لدي هذا ال ٠٠ ٠٠

ـ ماذا ؟

ـ الجم ٠٠٠٠

فعبست فيه فقال ٠٠٠ الجلال

ـ اذاً كيف تذكر لي افضالا سابقة ؟

فتبسم الرجل واجال طرفيه متدللا وقال : ياهانم ان من القلب الى القلب دليلا، فقد تشتمل الدلائل على معان لا تسعها الكتب

فازدادت زينب استهتاراً بالرجل واستخفافاً به وصارت تشعر ان جلسة رقاعة معه لافضل من تمثيل رواية هزلية فقالت : ذكرني يابك . لا اتذكر

ـ عجباً ٠ ألا تتذكرين الدلائل العديدة التي دلت على رضاك عن عبد ٠٠٠

ـ ماذا ؟

ـ عبد بهائك

فقهقهت وصارت تترجح في كرسيها متمادية في خيلائها واستعلائها وازدرائها له

وقالت : اذكرني بواحدة من تلك الدلائل فقد كثرت حولي الدلائل

— نعم ياسيدتي لك أن تسألي «ايهم فهم كثر» نعم ان الذين يتمنون رضاك قد لا يعدون ولكن ليس في الدنيا الا سعيد واحد ينالها ...

— الى الان لم تقل لي دليلا واحداً على انك نلتها

فتبسم الرجل ملء شدقيه وقال : لا اظنك تنسين والعهد ليس ببعيد ياسيدتي . لا تنسين باقة الورود التي أصابت المرمي وفيها خطاب فصيح لك

فادركت زينب حالا انه يشير الى الباقة التي رميت الى المركبة حين كانت عائدة مع ليلى من عند رئيسة الجمعية . فقالت: وكيف تدل تلك الباقة على شيء من قبلي وأنت الرامي لها

— لانك لم تطرحيها الى الارض بل احتفظت بها . وما لبثت بعدها ان شاهدتك في الجزيرة تتنزهين . فحسبت ذلك رداً لخطابي .

فقهقهت زينب وقالت : لاريب انك ذكي داهية . ليس غيرك يستطيع ان يفهم هذا المعنى لزيارتي الجزيرة

— هبي اني لم أخب ظناً . وقد حسبت إني قد اكون مخطئاً، فاستدللت استدلالا أخر .

— ما هو ؟

— مسألة الحقيبة . فقد جلت كل شك

— الحقيبة؟ اجل ان امر الحقيبة لا يزال سبب حيرتي . لا ادري كيف ارسلت تلك الحقيبة ؟ ومع من ؟

— اعطيتها للبواب لكي يدفعها لك

— عجباً ! لم يعطنيها البواب

— اذاً كيف وصلت اليك

— وجدتها في أحدى الغرف

— أما سألت من اتى بها ؟

— لم اسأل لاني علمت ممن هي

فابتسم جنت بك وقال : بالطبع ذكية مثلك لايخفى عليها مرسل هدية كهذه

— ولكن هل أنت أوصيت البواب ان يودعها في الغرفة والاَّ يسلمها لي رأساً؟

— لا . وانما تمنع البواب ان يستلمها ويقدمها، وقال انه يخاف غطبك . فقلت له خذها وضعها في غرفة الهانم . فتردد . ولكن لايخفى عليك ياسيدتي ان المال يشدد القلب الضعيف . فاخذ ما له فيه نصيب وقضى المهمة كالواجب

فتعجبت زينب من صراحة جنت بك وبلاهته وقالت ؟ كيف عرفت انه قضى المهمة كالواجب

— لاني بعد ذلك رأيتك في الجزيرة كما رغبت

— متى ؟

— يالله : امارايتني في أوتوموبيل أجاري مركبتك

— حين صدم اوتومبيلك موتوسيكل ذلك الفتى وصرعه ؟

— أي نعم . ذلك الفتى الفضولي الفلاح المتشبه بالمتمدنين . فانه كان يحوم حول مركبتك ويظن انك أو الهانم الصغيرة تنتبهان اليه . وما درى أنه لحقارته لا يرى حتى ولا بمنظار أو بمجهر

— ولكنك كدت تقتله

— يكون القتل جزاء الفضولي ياهانم

— ومنذ يومين كدت تقضي عليه فقد كسرت ذراعه

— أما مات ؟ انه لوقح . كنت قادماً لهذه الزيارة فوقف أمام البوابة واعترضني وتطاول عليّ بلسانه فما وسعني إلا أن اضرب الكلب بعصا . وكنت اظن أن العالم لا ينقص شيئاً بموته

فاكفهرت زينب قليلا وقالت: ولماذا لم تقض زيارتك حينئذ

— لاني لم اشأ أن احضر مشهد ذلك الفتى الطفيلي . فارجأت الزيارة الى وقت اصفى جواً كهذا الوقت لكي لا يفوتني شيء من هنائها

— وما الغرض من هذه الزيارة يابك

فتبسم جنت بك وقال . مولاتي لا اظنه يخفى عليك غرضي وهو التحقق من نيل رضاك

— وماذا تبتغي من رضاي

— يلذ لي دلالك ياذات الجمال والدلال فتدللي ما تشائين وأنا قد فهمت

فعبست زينب به وقالت . أود أن تقف عند حدك يابك

— سيدتي إن القلوب لا تعرف حدوداً

— ولكن ماذا تريد من كل هذه المقدمات يابك ؟

— اريد أن اقدم لك قلبي

— شكراً جزيلا . ألست ذا زوجة ؟

— لا ياذات البهاء

— يقولون أن لك عدة زوجات

— من قال ذلك ؟

— كثيرون يعرفونك

— يكذبون

— اما تزوجت قط ؟

— مرة واحدة فقط

— وماذا جرى لزوجتك الاولى ؟

— لم اتوفق معها . فطلقتها

— وكيف لم تتوفق معها ؟

— كانت خائنة وشريرة فاضطررت أن اطلقها

— أو ما كان لكما اولاد ؟

— ولد واحد

— ماذا جرى به ؟

— أخذته ومضت به الى حيث لم أدر فلم أعد اقف لها على خبر . وعلمت بعدئذ انها وانولد ماتا، فاصبحت عازباً بكل معنى الكلمة كما كنت وعدت اسعى الى زواج سعيد

وكانت زينب تزداد رغبة في درس

هذا الرجل المغرور اذ لم تظن في الرجال مثل هـذا النموذج فقالت : ويقولون أن لك اسماء كثيرة. فما هو اسمك الحقيقي؟

فانتفض الرجل غاضـباً . وما كانت تظنه ممن يغضبون لان مزاجه ليس حاداً وانما حـدته هنا نمت عن صدق التهمـة . فقال: من يقول ذلك ياهانم ؟ انهم يكذبون. ألا تعلمين أن تغيير الاسم يعـد جناية ويعاقب صاحبه . فمن يجسر أن يغير اسمه

ـ الذي الف الجنايات وتعود السجون

ـ صدقت . مثـل هؤلاء لاتهمهم الاحـكام والعقوبات وأما الذوات امثالنا فنحاذر ونتجنب الجرائم

ـ منذهنيهة كنت تظن انك ارتكبت جريمة قتل يابك

ـ كيف ذلك ؟

ـ أما كنت تظن انك قتلت الغـلام امام دارنا ؟

ولكن غلاماً غراً جحشاً كهذا ياهانم لايحسب قتله جناية

فضحكت زينب وقالت : عجباً . هل تعلم من هو هذا الجحش الغر

ـ لا . هل يخصك ياهانم ؟

ـ هو ابن الشخص الذي تنازعه النيابة عن مركز ب . م

ـ احقيق هـو ابن احمـد الزعروري العلج الجلف العتل . لاريب أنه غر كابيه الذي يظن أنه يصلح نائباً

ـ ولكنه قد ينجح في الانتخاب

ـ يستحيل ياهانم ما دامت يدك في المسألة . فقد علمت انك هتفت لي في جمعية السيدات، فما كان أعظم اغتباطي بهتافك . لم يبق حينئذ عندي شك بما في فؤادك

ـ عجباً أن تظن ذلك وأنا لم اعرفك بعد . ولا التقينا ولا رأيتك ولا رأيتني

فحملق جنت بك فيهـا قائلا : عجباً ياهانم . لقـد رأيتك كثيراً ووقعت العين على العين مراراً . نعم اننا لم نكلم أحدنا الآخر قبـل الآن ولكن

نواظرنا تحكي المودة بيننا
ونحن سكوت والهوى يتكلم

عفواً القافية تعذر ياسيدتي

ـ صـدقني انني لم انتبـه لك قط كما كنت تظن

ـ يالله . كيف اسـتطيع اذاً تعليل تحمسك لترشيحي في الجمعية ؟

ـ انما وافقت فيه صديقتي ليلي هانم العامرية

ـ لولاك ماعرفت من هي هذه

ـ ولا هي تعرفك ولكن سيدة تدعى نعيمة الحجازية رشحتك فوافقناها . بالله مانسبة نعيمة الحجازية لك يابك

ـ معرفة

ـ لا بد أنها معرفة متينة

ـ نعم معرفة قديمة

ـ يقال انها ارملة

ـ نعم وقد ورثت
ـ لماذا لا تتزوجها ؟
ـ اوه . عندها ابن شاب
ـ مهما يكن عمره فما هي كبيرة عليك يابك وابنها يتزوج ويتركها
ـ نعم سمعت أنها تدبر له عروساً
ـ هل تعرف من هي العروس؟
فغمغم جنت بك وتردد قليلا ثم قال: الى الآن لم يتم شيء قط
ـ ولكن هل عرفت على من يقع الاختيار
ـ نعم . ولكن لا يخفى عليك ياهانم انه لا يجوز الكلام قبل أن يتقرر شيء
— لك حق . وانما الحديث جر الى حديث فارجو ان تفيدني امراً ولا اظنك تبخل به عليَّ ولا بد ان تكون عارفه . هل تضن بافادة لي ؟
— معاذالله ياهانم . اني ابذل كل شيء لاجل خاطرك
— اخاف ان تمتنع عن اجابة رجائي
— يستحيل ياسيدتي
ورأت ليلى ان الفرصة سانحة فاذا لم تغتنمها فلا تلوم الا نفسها . ولذلك رات ان الدهاء وكل الدهاء في تمهيد السبيل للاقرار الذي تبتغيه من جنت بك فقالت : هل تقسم انك تفيدني فائدة صادقة ؟
— اذا لم افد احداً فائدة صادقة في حياتي فالآن افيد ياعزيزتي . اني رهين امرك فأمري ماذا تريدين
— لاريب ان نعيمة هانم الحجازي صديقة قديمة لك ومخلصة والا فما كانت ترشحك للنيابة
— نعم . كذا . كذا
— ولا بد ان تكون اطلعتك على اسرارها
— نعم . كثيراً ما كانت تستشيرني في امورها والمشورة تستلزم كشف الغطاء عن اسرار
— بلا شك . اذاً لا بد ان تعلم امراً
— ماهو ؟
— هو ان في كتف الفتى ابنها وشم حرفي ز . ع .
فامتقع لون جنت بك وتردَّد في الجواب وقال مغمغماً : نعم
— افما رايت الوشم ؟
— رايته
— منذ زمان ؟
— بالطبع . منذ كان الغلام طفلا
— اذاً تعرف نعيمة منذ زمان طويل
فتململ جنت بك وقال : نعم كنا جيرة وبيننا الفة وصداقة
— ولا بد ان تعرف معنى هذين الحرفين
فارتبك جنت وقال : والله هذه مسألة عويصة ياهانم

— ليس في اسم الغلام ولا في اسم امه هذان الحرفان. فما شأنهما في أعلى ذراعه؟

— من اخبرك عنهما ؟

— بالصدفة رأيت الغلام عند خياطة وهو في ثوب كشاف وذراعه عارية فرايتهما

— لا أقدر ان افيدك شيئاً بهذا الشأن ياسيدتي

ـ يقال انه ليس ابنها . اليس كذلك؟

ـ يقال . ولكني لا ادري الحقيقة

ـ لا بد ان نعيمة ذكرت لك شيئاً من هذا القبيل

ـ قلت لها يقال ليس ابنك فراوغت ومارامت ان تبحث معي في الموضوع

ـ وماذا تعتقد انت ؟

ـ اظن انه ليس ابنها

ـ وهل تعرف شيئاً عن اصله ؟

ـ لا

ـ الا يمكنك ان تعرف ؟

ـ احاول أن اتحرى

ـ شكراً لك

ـ سابذل جهدي اذا كان الامر يهمك

ـ نعم يهمني

ـ هل تعرفين شيئاً عن اصل الغلام ؟

ـ نعم نعرف مرأة فقدت غلامها وله علامة كهذه وهي تبحث عنه الان

ـ ليتك تخبريني شيئاً عن هذه المرأة لكي تسهلي لي البحث

ـ ماذا يهمك من امر المرأة؟ يكفي ان تتحرى كيف اتصلت نعيمة هانم الى هذا الغلام . ومن جاءها به . أو أين وجدته

ـ ولكن هذا التحقيق ليس بالامر السهل ياهانم ولاسيما اذا كانت نعيمة لا تقول الصدق، على اني اذا كنت اعلم اصل الولد المفقود فقد اقدر ان اتحقق ان كان هذا هو أو غيره فمن هي المرأة وما شأنها الآن. وماذا تنوي ان تفعل؟

ـ المرأة غنية ولا وارث لها الا ابنها ان كان لا يزال حياً . فهي تريد ان تتحقق وجوده حتى تجد وسيلة لايلولة الثروة اليه

ـ نخاف ان نعيمة لا تتنازل عن الغلام

ـ الغلام اصبح رجلا مالك نفسه لا يملكهُ احد حتى ولا امه الحقيقية. فماذا يضر نعيمة ان تظهر للغلام ثروة من عالم الخفاء

ـ صحيح ، فهل تخبريني شيئاً عن اصل الغلام المفقود وامه الخ

ـ كلا لا اقدر الان لان امه لا تريد ان تفوه ببنت شفة مالم تتحقق ان هذا ابنها. فان كنت يابك تريد ان يكون هذا التحقيق شرطاً لهذه الخدمة التي اطلبها منك فلا بأس ان تبخل بها

ـ معاذ الله ياسيدتي ان اضع أي شرط لقاء خدمتك ، اني مديون لك بدين عظيم لقاء رضاك على اسير لطفك

وابتسم جنت بك ابتسامة شفت عن بهجة اشرقت في فؤاده ، وقالت زينب

ضاحكة : اذاً ف الدين بهذه الخدمة ، واذا جئتني بالخبر اليقين يابك كافأتك مكافأة ثمينة :

فجرؤ البك بالكلام وقال: وانما ارجو ان تدعي لي تعيين صنف المكافأة

ـ اذاً تدع لي الخيار في تقديمها او تقديم غيرها

فهز رأسه ضاحكا وقال: آه منك ياعاذقة ليس احد ينال منك حقاً ولا باطلا . أما انا فحسبي أن تكوني راضية والسلام. ترى هل يمكن ان . . .

ـ ماذا يابك ..

ان نذهب لنزهة ياترى

ـ من يدري ماذا يكون في المستقبل يابك ...هه ... اني اسمع جرس الكهرباء. اظن الكاتب جاء . عذراً . هنيهة يابك

ونهضت زينب وخرجت وتركت البك برهة طويلة وحده الى ان وافت اليه الخادمة تقول : ان سيدتي تعتذر منك الان لان عندها زائرة وهي تؤمل ان تراك بعد يوم أو يومين حسبما يتيسر لك

فنهض جنت بك وخرج باسم الثغر ضاحك القلب منشرح الصدر واسع الآمال .

الفصل الثامن عشر

انفضاح تزوير

كانت تلك الجلسة كافية لان تقنع زينب أن جنت بك هذا احطّ مما رام احمد الزعروري أن يصوره لها . ليس فيه من خواص البشر الا أنه رجل عنده مال للانفاق ولا ديدن له الا ملذاته البهمية هو الجرثومة الفاسدة في الاجتماع. ولكنها وجدت فيه مزية تفيدها كما توجد في الذباب مزية نقل عثير اللقاح من زهرة الى زهرة . فقد يمكنها أن تستخدمه للتحقيق عن مولد جميل حجازي ما دام صديقاً قديماً لامه نعيمه الحجازية . ولا بدع ان يلعب دوراً ولو دنيئاً على نعيمة لاستخراج الحقائق منها تذرعاً الى استمالة زينب اليه . لذلك رأت زينب أن الدهاء يقضي عليها أن تجامله ريثما تنال منه هذا الوطر مهما سفلت قيمته في نظرها فلا تكون اكثر سفالة من السماد عند الفلاح

كذا كان نظرها الى جنت بك ولكن كان في شعورها نظر آخر اليه لم تقدر أن تفهمه . شعرت انها تشتهي ان تكون

ذات صلة دائمة بهذا الانسان لكي تفرغ فيه جام تحقيرها وازدرائها للرجال الانذال الاخساء. شعرت انها ترتاح قلباً وتطيب نفساً وتقر عيناً اذا كان هذا الانسان يجلس امامها يتوسل الى رضائها وهي ترميه بسهام ازدرائها وتركله بقدم خيلائها

كذا كان شعورها نحوه. وهو شعور غريب لم تشعر بمثله من قبل. لماذا؟ لم تدر

بعد يومين جاءت اليها ليلى تطفر لا مرحاً ولا ترحاً بل هجنة. وقالت: لقد صدق ظني يا زينب

كيف ذلك يا عزيزتي ليلى؟

قبل كل شيء هل تتذكرين في أي ذراع من ابنك وشمت الحرفين؟

ففكرت زينب برهة ثم قالت: اعتقد اني وشمتهما في يسراه. كذا اتذكر وقد اخترت الذراع اليسرى حينئذ لانها الى جهة القلب، ولا اظنني مخطئة التذكر الآن

ـ هل لاحظت اي ذراع في جميل موشومة؟

ففكرت زينب ثم قالت: لم انتبه جيداً لذلك

ـ اما انا فقد انتبهت. الوشم في ذراعه اليمنى: وفي حليم في اليسرى

ـ فحملقت زينب وقالت لا ادري لماذا ياليلى توجهن قلبي دائماً الى حليم

ـ لست انا التي اوجه قلبك اليه يا عزيزتي وانما هي البينات والادلة الصادقة وقد صار عندنا ثلاث منها. اولا السن. وثانياً القدمية والجدة أو الخفاء والوضوح. وثالثاً نوع الذراع: يمنى أو يسرى. وقد جدت عندي بينات اخري تكاد تكون القاطعة الجازمة

فارتعشت زينب وقالت: ما هي يا ليلى هل انجلت الحقيقة؟

ـ تكاد تنجلي انجلاء البدر في الافق. تتذكرين اني اخبرتك اني استلفت نظر حليم الى الحرفين الموشومين على ذراعه. وقد حمسته أن يبحث عن اهل امه التي لا يعرف عنها شيئاً ولا عن اهله. وان لا يقنع بتمويه ابيه

وكانت زينب تسمع خافقة الفؤاد فقالت: نعم. ثم ماذا حدث؟

ـ اروي لك حكاية تحرياتي(٢) من أولها. استدعيت صوفيا اليّ. وقلت لها: انظري ها المال معداً بلا شح ولا تقتير مكافأة لك ولكل من يتعب في هذه المسألة. وفي الامكان مضاعفة هذه المكافأة اضعافاً اذا بلغنا الى نتيجة صحيحة. ولكننا لا نطرح المال جزافاً

فقالت: طبعاً طبعاً يا هانم فهل عندك شك في . . . . . .

فقاطعتها قائلة: ليس من شك فقط بل عندنا يقين بان الفتى جميل حجازي ليس الفتى المقصود

فقالت — عجباً يا هانم! الوشم في ذراعه

(١) ليتنبه القارىء ان الاحاديث التي في هذا الفصل وما يليه هي ما تروبه ليلى لزينب بحروفه مما جرى منها. فلا يلتبس الامر على القارىء

فقلت — ليس كافياً بل هناك علامة اخرى لاتقبل الشك ليست موجودة . فالوشم وحده ليس العلامة القاطعة بل لابد من وجود العلامة الاخرى . فدهشت صوفيا لكلامي هذا يا زينب أي دهشة

— وأنا دهشت ياليلى . ماذا تعنين ؟

— ادعيت علامة غير موجودة . وما غرضي من هذه الكذبة إلا تضليل صوفيا ورفيقتها وحملهما على الاقرار بالحقيقة وتلافي الغش والخداع إن كان هناك خداع

فدهشت صوفيا وقالت : ما هي تلك العلامة لم تذكريها لي من قبل

فقلت لها . بالطبع لا اذكرها بل ابقيها مكتومة لتكون وسيلة للتأكيدلي. فما دامت غير موجودة مع الوشم فالفتى ليس ذاك الذي ننشده

فازدادت صوفيا استغراباً وقالت :

لعل تلك العلامة زالت مع الزمان

فقلت : — ان تلك العلامة لاثبت من الوشم ياهذه . الوشم قد يضعف أو يتشوه مع الزمان وأما تلك العلامة فتبقى حتى الموت . ولكنها غير موجودة الى جنب الوشم .فالفتى ليس فتانا

فقالت :كانك ياهانم تقولين أن الفتى مزيف والوشم في ذراعه مزور لأنه يكاد يستحيل أن يتفق وشم حرفين معينين في شخصين مختلفين مصادفة

— فقلت إذا استحالت هذه المصادفة فلايبقى إلا التزوير

فامتقعت صوفيا وقالت : مولاتي اني بريئة من التزوير . اقسم لك أنه إن كان في المسألة خداع فانا مخدوعة ايضاً

فقلت : اني لا ازال حسنة الظن فيك ياصوفيا ولا أزال أؤمل الا تذهب فلوسنا عبثاً.فاذا كانت انجاليكا هي نفس المرأة التي اخذت الطفل عن المقعد في الحديقة لكي تبحث عن امه وتسلمها اياه فعودي الى مساومتها واطلبي منها ان تصدقك الخبر اليقين لئلا تضيع المكافأة الكبرى المنتظرة . اخبريها أن الفتى الذي ارشدتنا اليه ليس فتانا . ولذلك تضيع عليها المكافأة. واذا كانت انجاليكا مخدوعة ايضاً فلتقل مثل هذا القول لفاطمة . وان كانت فاطمة ضالة عن مصير الغلام فلتصدقنا بمعلوماتها ونحن نساعدها فى البحث عنه ولا ننقص مكافأة أي واحدة منكن . وأما إذا اصرت فاطمة وانجاليكا على النتيجة الكاذبة التي اوصلتانا اليها فتنقطع معاملتنا عند هذا الحد

فتنهدت زينب حينئذ وقالت باسمة : لاريب انك بسمرك مصر ياليلي . ليس لاعظم دهاقين السياسة مثل هذا الدهاء . فبماذا اجابت صوفيا

اهتمت عظيم الاهتمام بالمسألة وقالت انها لا تكف عن السعي حتى تظفر بالحقيقة الراهنة ، لاطمعاً بالمكافأة بل لكي تطرح

عنها شبه الخداع حرصاً على سمعتها لانها تود أن يكون اسمها عطراً عند جميع الاسرات الشريفات

— مرحى . ان لهذه المرأة أخلاقاً ليس مثلها كثير عند يونان اليوم . ثم ماذا ياليلى ؟

— قالت صوفيا هلمي الى منزلي فاستدعي انجاليكا ونبحث معها في الامر. فذهبت معها الى منزلها . وفي الحال اوفدت رسولا يستدعي انجاليكا . وقبل أن تحضر هذه قلت لصوفيا افضل أن تبحثي معها فيما بينكما وحدكما اولا . فقالت : حسناً ويمكنك أن تكني في الغرفة التالية وتسمعي الحديث من غير أن تعلم انجاليكا بوجودك هنا.

— حسناً انها لخطة حكيمة ياليلى

— ولما جاءت انجاليكا جعلت صوفيا تخاطبها بالعربية بشدة كما خاطبتها أنا . وقد رأيت أن كلتا المرأتين تتكلمان العربية جيداً ولكن انجاليكا صارت تجاوبها بالرومية فاستمرت صوفيا تخاطبها بالعربية لكي يتسنى لي أن افهم مضمون الحديث. واحياناً كانت انجاليكا تجاريها في الكلام بالعربية اندفاعاً معها . وما لبثت انجاليكا أن قالت إن كان في المسألة خداع فانا مخدوعة مثلك ايضاً يا كيريا صوفيا

فقالت صوفيا : لاريب أن في المسألة خداعاً لسوف يضرنا . وأقل مافيه من ضرر أنه سيحرمنا المكافأة العظمى

فقالت انجاليكا : لا يبعد أن يكون في المسألة خداع . فقالت صوفيا : كيف تظنين ذلك . فقالت اني ارى فاطمة تتلاعب بالكلام في هذين اليومين وتقول اني ساحرم نعيمة اوابنها الثروة المنتظرة اذا كانت لاتدفع المطلوب . وسألتها كيف تحرمينها الثروة . فقالت : « بكلمة واحدة الخبط كل شيء ». ففهمت أن فاطمة تطمع بمكافأة كبيرة من نعيمة . فلا يبعد أن تكون فاطمة قد مكرت عليّ .ولا يبعد أن تكون متفقة مع نعيمة وابنها ومحمد بك جنت ايضاً على الخديعة . فقالت صوفيا وما شأن جنت بك ايضاً . فقالت انجاليكا ان فاطمة ذكرته غير مرة كاحد المهتمين بالامر

فما تمالكت زينب أن صاحت:وجنت بك ايضاً ؟ يالله . أن يقيني بنذالة هذا النذل اصبح كاليقين بشر الشياطين . اذاً هناك مؤامرة علينا ياليلي

— مهلا يازينب . اسمعي ايضاً اسمعي الاعجب والاغرب. فقدكان لخوى المناقشة بين صوفيا وانجاليكا أن فاطمة تطلب من نعيمة مكافأة كبيرة،وهذه تقول لها لااقدر أن ادفع لك شيئاً قبل أن يتزوج جميل ويضع يده على التركة ، وفاطمة تهددها بان « تلخبط المسألة» وتلك تقول لها :« لخبطيها ماپهمنيش . لازدت ولا نقصت ولا على بالي » . فمن ذلك لاحظت انجاليكا ايضاً أن

في المسألة مؤامرة وان كانت لم تتحققها بعد . هذا كان مجمل مناقشة انجاليكا وصوفيا

— وهل انتهت المسألة يا ليلى

— لا . لا يا زينب فان السد متى انفتح تدفقت المياه وتعرض السد للتهدم وتدفقت المياه زيادة . وفي ابان هذا الحديث جاءت فاطمة الى انجاليكا

— عجباً . لا بد انها جاءت لتتفق مع انجاليكا اتفاقا جديداً

— انه لكذلك فاسمعي . لما دخلت فاطمة استقبلتها انجاليكا هامسة . « لقد خدعتني يا فاطمة وانفضحت الخديعة وخسرنا المكافأة ».

وبالطبع سمعت صوفيا الهمس فقالت لماذا تهمسين يا انجاليكا همساً . قولي لها بصراحة انها غشتنا وخانتنا وليس انها ضيعت علينا المكافأة العظمى فقط بل انها عرضتنا وعرضت نفسها للاذى

فقالت فاطمة : وكيف تعرفان اني خدعتكما . فقالت صوفيا : توجد في ذراع الفتى علامة أخرى لم ترها الهوانم اللواتي كنّ عند انجاليكا حين مر الغلام بثوب الكشافة . فقالت فاطمة لم تقولي لنا عن علامة أخرى غير الوشم . فقالت صوفيا : ان المرأة صاحبة الشأن كتمت تلك العلامة عمداً لكي تبقى في سرها كاشفاً للتزوير . وقد اكتشفت التزوير لعدم وجود العلامة

فقالت فاطمة : نعم ان في المسألة تزويراً والحق على نعيمة وعشيقها اللص جنت بك . فهما لما علما ان مرأة غنية تبحث عن فتى ضائع في سن العشرين وعلامته وشم حرفي ز . ع . في ذراعه وان المرأة تريد أن تزوجه بنتها الغنية — لما علما ذلك اغرياني على ان اوافقهما على تلفيق المسألة ووعداني بمكافأة عظمى فوافقتهما ووشما ذراع جميل . وأنا وافقتهما على ذلك لاني وجدت صعوبة في البحث عن المرأة التي أخذت مني الولد

فقالت صوفيا : اذاً سلمت الولد لمرأة غير نعيمة . ولا بد أن تعرفيها

— نعم كنت اعرفها جيداً وهي مرأة عقيم وكانت تحب زوجها جداً وتخاف ان يطلقها لعقمها . وكانت تقول امامي انها تود ان تقتني ولداً لقيطاً وتتبناه لعل زوجها يقنع به . فلما رأيت ذلك الطفل مع انجاليكا وهي تبحث عن امه قلت لها هاتيه وأنا أعرف امه . واخذته منها تواً الى تلك المرأة وساومتها عليه على شرط ان لا تذكر اسمي اذا سأل عن الولد اهله . فوعدت وقالت انها ستبلغ دائرة البوليس عن الولد حتى اذا سأل اهله عنه ردته لهم والا بقي عندها بعلم البوليس . وبعد ذلك لم اعد أرى المرأة بل تجنبت رؤيتها عمداً خوفاً من المسؤوليات . ثم هجرت البلد مدة طويلة ولم اعد اعرف شيئاً عن تلك المرأة ولا زوجها . وفهمت انهما سافرا الى حيث لا ادري .

فقالت صوفيا اذا تعرفين اسم المرأة وزوجها
— اجابت نعم . ولكني لا أقول عنهما الآن .
فقالت صوفيا — لماذا ؟
اجابت — لاني أود المكافأة سلفاً. لم أعد أقبل بالوعود
فقالت انجاليكا. وما الفائدة من معرفة اسمي الرجل والمرأة وأنت لا تعرفين اينهما الآن؟
فقالت :لقد عرفت أمس ولذلك جئت اليك يا انجاليكا لكي نتساوم مساومة جديدة اضمن فيها مكافأتي
فسألتها ـ ماذا تريدين
فاجابت ـ أريد قبل كل شيء خمسين جنيهاً مقدماً
فقالت صوفيا : انا أضمنها لك مضاعفة تقبضينها حالما تجمعيننا بالرجل وبزوجته والغلام

فقالت: واريد شرطاً آخر ايضاً. وهو ان أعرف المرأة الباحثة عن الغلام وان أجتمع بها أولا
فقالت صوفيا :هذا مستحيل . حتى الآن انا لم اعرف المراة . وانما يمكنك ان تجتمعي بالنسوة الثلاث اللواتي رأيتهن في بيت أنجاليكا
فقالت ـ اليست المرأة احداهن؟
فاجابت صوفيا: كلا
فقالت : والفتاة ؟
فاجابتها صوفيا: لعلها العروس ولكننا لا ندري من هي ولا ما هي نسبتها للمرأة المتسترة
فقالت فاطمة :لا أفهم ذلك. هذا شرطي والسلام . فدبرا المسألة
ثم خرجت وهي لا تقبل شرطاً ولا تسمع نصحاً وكانها تحسب الخروج على هذا النحو حنكة في السياسة ودهاء

الفصل التاسع عشر

النقاء التحقيقي

عند ذلك قالت زينب : يا للدهاء يا للمكر! ماخطر لي ان ذلك الخبيث جنت بك يكون مؤتمراً مع تلك الساقطة نعيمة وثم يحاول ان يلعب معي دوراً في حين انه يتحبب لي
فقالت ليلى : هل لعب عليك جنت بك دوراً ؟ عجباً ! لم تقولي لي ذلك
ـ لقد زارني اول امس بحجة الشكر

لما ابديه من الاهتمام في ترشيحه وانتخابه. ولكنه جعل يغازلني. ولم ارك قبل الآن حتى اخبرك ما كان من امره. فاتلو عليك حكايته الآن اذا كنت قد فرغت من حكايتك

– كلا لم افرغ بعد يازينب. وفي بقية الحديث فصل الخطاب

– عجباً. هل من حديث افصل للخطاب من هذا؟

– نعم. خرجت فاطمة ودخلت صوفيا اليَّ مستمهلة انجاليكا وقالت: كيف رأيت

– رأيت أن فاطمة هذه داهية خسيسة واظنها تلعب علينا دوراً. فان كنت بارعة في السياسة تستخرجي كل ما عندها من اسرار قبل أن ندفع لها قرشاً وانما نكفل لها الدفع بطريقة وسافكر بهذه الطريقة

عند ذلك قرع الباب فخرجت صوفيا من عندي لترى من الطارق. وبقيت وحدي كامنة اتسمع من وراء الباب فسمعت شخصاً يقول: أما كانت هنا الآن مرأة تدعى فاطمة.

فقالت صوفيا: ماذا تريد من وراء هذا السؤال؟

فقال عفواً ومعذرة ياسيدتي. اني رأيتها داخلة الى هذا المنزل ثم رأيتها خارجة منه. ولا بد انك تعرفينها

فقالت صوفيا: هب اني اعرفها فماذا تريد أنت منها؟

— لي معها مسألة خطيرة الشأن وأود أن اسألك عنها إذ لا بد أن تعرفيها

فقالت صوفيا أود أن اعلم اولا ماهي مسألتك

فقال — أود أن اعلم اولا إن كنت تعرفينها جيداً

فقالت — عجباً يا افندي تنتظر مني أن تعرف اموراً قبل أن اعرف من أنت اولا

وجعلت حينئذ اوصوص من ثقب الباب الذي بين الغرفتين لاعرف من هو هذا الشخص فدهشت إذ رأيت انه هو..

فصاحت زينب: من هو

— هو حليم الزعروري

— ان حكايتك يقشعر لها بدني ياليلي كلما تقدمت فيها فصلا بعد فصل. فماذا جرى حينئذ. اسرعي قولي

— عند ذلك خفت أن صوفيا تنفر الفتى فابديت حركة على الباب فهمت منها صوفيا اني اود أن اكلمها فاسرعت حالا اليَّ فقلت لها. حاذري أن تنفري الفتى. اجيبيه لما يروم فاني اعرفه

فعادت صوفيا وقالت: هل يمكن أن تشرفنا باسم الجناب

فقال اني ادعى حليم الزعروري ومعرفة اسمي لا تفيدك شيئاً ياسيدتي. وانما تقي اني حسن القصد شريف الغاية. ولي قضية أود تحقيقها. وإذا اقتضى تحقيقها مكافأة ادفعها

فقالت له صوفيا : وأنا مستعدة أن اخدمك جهد طاقتي إذا كان في امكاني أن اخدمك ففاطمة اعرفها

فقال : وهل تعرفها حضرة السيدة الاخرى ايضاً

فقالت انجاليكا : اني اعرفها جيداً جداً فماذا تريد؟

فقال اذا كنتما كلاكما تعرفانها جيداً فاوجه خطابي اليكما معاً. ومن كان في وسعها أن تفيدني تتفضل بالافادة ولها الجزاء الذي تفرضه

فقالت انجاليكا : ماذا تريد أن تعرف يا افندي

فقال : فهمت أن فاطمة عثرت منذ بضع عشرة سنة على طفل مفقود فاعطته لمرأة لكي تربيه . فهل تعرفان شيئاً من هذا ؟

فتردّدت انجاليكا في الجواب وخافت سوء المغبة . فتناولت صوفيا الحديث متشجعة بكلام ليلى وقالت نعم أنا اعرف ذلك

فقال ـ حسناً . ثم سألت فاطمة اين وجدت الولد. فراوغت. ثم قالت انها وجدته مع مرأة اخرى « تدلل » عليه لانه كان مهجوراً فظنته لقيطاً . فسألتها عن المرأة الاخرى التي وجد الطفل معها فراوغت ايضاً . ثم جعلت تتلاعب في اجوبة يناقض بعضها بعضاً. الى أن طلبت مني مكافأة باهظة فوعدتها. ولكني خفت أن تمكر علي وتخدعني وتتقاضى مني المكافأة على غير جدوى. فصبرت عليها واخيراً استمهلتني في الجواب فرابني استمهالها . ولما رأيتها خارجة من منزلها في هذا الوقت خطر لي أن تكون ذاهبة الى المرأة التي اخذت منها الطفل لكي تستشيرها في أمر الاعتراف باسمها . فتتبعتها خفية من مكان الى مكان حتى رأيتها داخلة الى هذا المنزل . ثم راقبتها حتى خرجت فاذا بها مضطربة. فرجح عندي الظن انها كانت تفاوض المرأة التي وجدت الطفل . ولهذا جئت اسأل ان كانت احداكما يا سيدتي المرأة التي وجدت الطفل وسلمته لفاطمة

فقالت صوفيا . ولماذا لم تصبر على فاطمة حتى تأتيك بالخبر اليقين

فقال ـ لقد زالت كل ثقتي بفاطمة لاني اراها طماعة وأخاف أن تخدعني لتبتز فلوسي على غير جدوى

فقالت صوفيا ـ ولماذا لاتخاف أن نخدعك نحن ايضا ونبتز فلوسك

فقال ـ لاني اعتقد أنه يمكنني أن اتفق معكما على شروط تضمن لكل منا عدم خداع الآخر له. وأما فاطمة فعرضت عليها كل الشروط التي تضمن لها حقها بالمكافأة فلم استطع أن اقيدها بشرط. واذا اتفقنا على امر كانت بعد دقيقة تنقض الاتفاق . ان مساومتها صعبة والاتفاق معها مستحيل . ولهذا رأيت أن اسعى الى

المرأة التي سلمتها الطفل فاساومها رأساً واحفظ لفاطمة حقوقها . فهل يمكنني أن اتفق مع ايتكما التي سلمت الطفل لفاطمة

فقالت انجاليكا : ماهي شروطك

فقال — ادفع لمن ترشدني الى أهل الطفل خمسين جنيها اودعها مع شخص مأمون يأتمنه الطرفان

فقالت صوفيا : لانحتاج الى ضمانة . هذه المرأة كيريا انجاليكا هي التي وجدت الطفل واعطته الى فاطمة

فقال اذن هل يمكنني أن اعتمد عليك ياست انجاليكا في أن ترشديني الى أم الولد أو اهله ؟

فقالت — لا . لااقدر

فقال ـ لماذا ؟

فقالت ـ لاني لا أعرف اهله

فقال ـ اذاً هو لقيط بكل معنى الكلمة فهل تقدرين ان تفيديني في أي حالة وجدته واين ؟

فقالت انجاليكا : اقدر ان آخذك الى نفس النقطة التي وجدت فيها الطفل واشرح لك كيف وجدته

فتململ الفتى وقال . وانما هذا ليس كافياً لغرضي يا كيريا

فقالت صوفيا : قد يكون في امكاني ان ارشدك الى اهل الطفل اذا كنت ترشدني انت الى الطفل نفسه والى من استلمه من فاطمة واحتفظ به حتى اليوم

فتبرم الفتى ثم قال : ماذا يفيدك ياسيدتي ارشادك الى الطفل .

فقالت : فيه علامة تثبت انه لاهله

فقال : اذاً . حضرتك تعرفين أهله

فقالت: لا اخدعك. فلا اعرفهم وانما اعرف اناساً يسألون عن فتى له علامة معينة يعرفونه بها. فاذا اجتمعوا بفتاك فقد يتفق ان يكون هو الطفل بعينه . وثم فقد تتوصل الى اهله

فقال ـ هل يمكنني ان اسألك عن العلامة يا سيدتي

فقالت ـ بكل أسف اقول لك لا . وارجو الا يصعب عليك ان اسألك هل في فتاك علامة خاصة ؟

فتململ الفتى ثم قال : نعم فيه علامة . فهل تعرفين انت علامة الفتى التي يسأل عنها ذووه

ـ نعم . ولكني لا اقدر أن اقولها لك لانهم لا يؤذنون

فقال ـ اذاً كيف يمكنهم ان يتعرفوا الفتى الذي يبحثون عنه

فقالت ـ اذا وجدوا فيه العلامة عرفوه

فقال ـ ولكن اذا كانت العلامة مخبوءة فكيف يعرفونها

فقالت : لهذا انصح لك أن تعرض فتاك عليهم لكي يروه فقد يتحققون انه فتاهم ايضاً

فقال : انك يا سيدتي تطلبين مني اكثر

مما تريدين أن تعطيني حتى صرت انا استحق المكافأة منك

فقهقهت صوفيا وقالت : قد تنال منهم مكافأة عظمى اذا كان الفتى الذي تقدمه لهم هو فتاهم

قال : اذاً رضيت بشرطك ياسيدتي فاني اقدم فتاي لهم . متى يكون الموعد ؟ فقالت اخبرك بعد ساعة اذا عدت الينا ولي الامل ان يكون فتاك الذي تبحث عن اهله هو نفس الفتى الذي يبحث عنه اهله

ففكر حليم هنيهة ثم قال : اذا كانت علامة فتاهم وشماً فقد يكون اياه

فقالت صوفيا : هو الموشوم واين الوشم

فغمغم ثم قال : اراك تسرقين مني معلوماتي ولا تجودين عليَّ بمعلوم واحد من عندك . فاخبريني انت الآن ما هي العلامة الموشومة في فتاهم

فقالت . اذاً ندع التحقيق الى أن نجتمع باهله . وهناك يكون فصل الخطاب

ونهض حليم فقالت له صوفيا : يمكنك ان تعود بعد ساعة فاخبرك عن موعد اللقاء ولي الامل أن يكون فيه الهناء

وما أن خرج حليم حتى دخلت عليَّ صوفيا وقالت : كيف رأيت

فقلت لقد احسنت تدبيراً . متى عاد قولي له ان الموعد الليلة الساعة الثامنة مساء في منزلي فتأتين . ثم اخبريه أن يضرب صفحاً عن فاطمة لانها خداعة غشاشة .

واما انجاليكا فاعطيها هذه الورقة بعشرة جنيهات الان ضمانة لسكوتها ريثما ننتهي من التحقيق لان معلوماتها صارت كلها عندنا ولا تقدر أن تزيد عليها شيئاً . ولكن مع ذلك ستكافأ . اخبريها هكذا

ثم ودعت صوفيا وجئت لكي اخبرك كل هذا حتى تأتي الى منزلي الساعة الثامنة ونسمع من حليم حكايته وماذا اكتشفه عن اصله وفصله وسبب الوشم في ذراعه

فتنهدت زينب وصدرها يرتفع وينخفض كانها صاعدة درجاً مرتفعاً من شدة التأثر وقالت : اذاً لم يبق عندك شك ياليلى

— وهل بقي عندك انت شك يازينب وقد اتصلت المعلومات بعضها ببعض ولم يبق من السلسلة ولا حلقة مفقودة الا تفصيل وصول الطفل الى احمد الزعروري وتربيته اياه حتى صار حليم الزعروري المتعلم المهذب المربى الدمث الاخلاق

فتمطت زينب وتشجنت وقالت : انك ياليلى تهيجين اشجاني وتحركين عواطفي نحو حليم . واخاف ان تكون مسألة مكيدة اخرى نصبها احمد الزعروري ونسجها نسجاً محكماً مع الجميع

— يا لله ياليلى . ان أفكارك بعيدة جداً عن الصواب . أما أن مسألة جميل الحجازي مكيدة مدبرة فيؤيدها ان الوشم جديد وفي الذراع اليمنى . واما أن مسألة حليم الزعروري حقيقية وليست مكيدة مدبرة

فيؤيدها أن الوشم قديم وفي الذراع اليسرى ثم ان سن هذا اقرب للصواب من سن ذاك

فقالت زينب : ومسألة الملامح ؟ فان جميلا يشبه ذلك الزوج الرديء جداً

ـ لسوف تجلو الحوادث الحقائق اكثر على كل حال تعالي الى منزلي الليلة لنسمع حكاية حليم

عند ذلك سمعت زينب طرق طارق فخرجت وعادت تقول. جاء جنت بك ثم رجعت لتقابله

الفصل العشرون

ضمير منجسم يتكلم

عادت زينب الى البهو لكي تقابل جنت بك وهي تنوي ان تصب عليه كل ميازيب الاحتقار. فدخلت عليه تجر ذيول الخيلاء والابهة وقالت : أظنك جئتني بالخبر اليقين عن اصل الفتى الذي تزعم صديقتك نعيمة الحجازية انه ابنها

فتبسم جنت وقال : ليس في الدنيا شيء مجاناً ياهانم

— لقد وعدتك اني اكافئك يابك المكافأة التي ترضيك

فتدلل وقال : اما انا فلا اطلب مكافأة ياهانم لان ما حصلت عليه من رضاك لاعظم من اي خدمة اقدمها لك . وانما نعيمة تبحث عن اهل الفتى كما ان اهل فتاك يبحثون عنه . ولهذا لاتقول شيئاً عن اصله وفصله قبل ان تعلم من هم الناس الذين يبحثون عن فتى مفقود منذ الصغر وماهي بيناتهم على شخصيته ، وماهي الظروف التي فقد فيها

عند ذلك تراءى لزينب اللؤم متجسما في جنت بك وشرعت تتصوره كتلة خبث ودناءة وحقارة

فقالت له : اذاً لم تخدمني خدمة بل اراك تطلب مني ان اخدمك واخدم صديقتك . فانا لا اضن عليك بالمعلومات التي تطلبها صديقتك نعيمة عن الناس الذين فقدوا طفلا والآن يبحثون عنه وقد صار يافعاً

— شكراً جزيلا ياهانم . انك بذلك تسهلين المهمة التي كلفتني بها

— اذاً اخبرك اولا الظروف التي فقد فيها الطفل وثم نتطرق الى جميع المعلومات الاخرى

فتمايل جنت في مجلسه وتبسم قائلا :

حسناً نسمع القصة من اولها . وثم ارويها لنعيمة فتقابلها بقصة عثورها على الطفل الذي ربته وترى أن كان الطفلان واحداً

— اي نعم . حينئذ ترى صديقتك نعيمة انها انتشلت الطفل من هاوية الشقاء والتعاسة لانه كان في حجر أم تحملت كل مصائب الدنيا وكوارثها الطبيعية ونقمات الاجتماع فوق رأسها ؛ فصارت تكره كل شيء في الدنيا حتى ابنها الوحيد فلذة كبدها وتريد أن تنبذه الى عالم غير عالمها حتى لايشترك معها في شقائها وحتى تخفف من اثقال همومها وغمومها . فلذلك هامت على وجهها تضرب في طول البلاد وعرضها عسى ان تجد حضناً حنوناً تطرح فيه ذلك الطفل وهو في السنتين من عمره ؛ فلم تجد . واخيراً تركته على مقعد في حديقة عمومية بين زمر من الناس يمرحون هناء وسعادة وهي تقول في نفسها : عسى أن يقيض الله لك ايها الابن المنكود الحظ التعس صدراً حنوناً يضمك ، والا فارحل الى الابدية قبل أن تصحو من سبات الطفولة على ويلات هذا العالم الشرير

وكان جنت بك يسمع الحديث مستغرباً اسلوبه فقال : يالله : هل تركته بتاتاً بين القوم؟

— نعم تركت فلذة كبدها لرحمة القضاء والقدر

— ويلها من ام قاسية الفؤاد . كيف طاوعها قلبها ؟

— إن كوارث الدنيا سحقت قلبها فلم يبق لها قلب يعطف

— عجباً لامر هذه المرأة ماذا دهاها؟ لعلها كانت ارملة وقد مات زوجها ولم يترك لها ولا بنه ارثاً وليس لها اهل يستطيعون مساعدتها

— ليس الامر كما تقول يا بك بل كان لها زوج جميل ولطيف وانيق مثل جنابك

— فاختلج جنت بك باسماً وقال . تقولين هكذا لطفاً منك يا هانم

— بل اقول الحقيقة إن زوجها كان انيقاً جداً وكانت تموت به حباً . وكان ابن اب غني وكلاهما مسرافان

— فاهتز جنت متأثراً وقال : اذاً لماذا كانت تلك المرأة تعسة ؟

— لان زوجها وأباه اهملاها وطفلها فلم يشاءا أن يعولاهما

— عجباً . لماذا ؟ هل كانت . . . .

— كانت في غاية من الحشمة والادب والامانة والطاعة . فلم يكن فيها عيب من العيوب

— اذاً ، هل كان زوجها لايحبها؟

— بل كان يعشقها عشقاً مبرحاً حين تزوجها ، وقد تزوجها بالرغم من ارادة اهلها وتحمل كل مسأولية . وكان أبوه حاثاً له على هذا الزواج

— اذاً لماذا قصر فى واجب المعيشة لها؟

—لم يكن الابن ذا عمل يجني منه البتة ولا كان يستطيع عملا غير الشرب واللعب واللهو ويحب نفسه قبل ابنه وزوجته. وكان أبوه مثله منغمساً في ملذاته وملاهيه وشهواته ويحب نفسه قبل ابنه. وما كان يمنح ابنه من ماله إلا بضعة جنيهات في الشهر لا تكفيه حاجته من شرب وخمر. فكان متى فرغت تلك الجنيهات المعدودة في وسط الشهر يلجأ الى أمه ويحرجها بالوسائل المختلفة الى أن تختلس بعض الجنيهات من أبيه إما خلسة أو عنوة لتعطيها له لكي يبدّدها على بطالته ريثما ينتهي الشهر. وكانت تلك الزوجة المسكينة متروكة الى رحمة الله

فتململ جنت بك وجعل لونه يمتقع ولسانه يتلعثم وقال: لله منه زوجا قاسياً!

فقالت: ولله من ابيه القاسي. فقد كانت تلك الزوجة المسكينة التعيسة تلجأ الى حميها وتجثو عند قدميه وتتضرع اليه ان يشفق على ذلك الطفل اذا لم يشأ أن يشفق عليها ويعين له جراية زهيدة يومية أو شهرية. فكان يطردها كما يطرد الانسان الكلب الاجرب قائلا لها: اذهبي استعطي من أبيك الذي تكبر علينا وأبى ان يزوج بنته لابني. فلو متّ جوعاً لما أطعمتك، نكاية بابيك. والحقيقة انه كان يقول هذا القول كسبب لامتناعه عن العطاء لي اذ كان لا يجود بقرش إلا على شهواته البهيمية. مع انه هو الذي كان يحرض ابنه على اغراء تلك الفتاة أو اغتصابها أو خطفها من بيت أبيها واخذها بالرغم من أبيها.

فصار جنت بك يتململ ويقول بصوت خافت متقطع: لا أعتقد ان في الدنيا رجالاً هكذا.. فلا بد أن...

— إني أروي لك امراً وقع يابك. نعم إن ذلك الاب — ابا الزوج — كان شريك ابنه في إشقاء تلك المرأة، لانه كان يحرض إبنه على اغتصاب الفتاة بالرغم من إرادة أبيها الذي لم يجب الطلب حين رام ذاك إن يخطبها لابنه، لان أباها كان يعلم خساسة الاب وفساد الابن. ومازال هذان يتحايلان حتى اغريا الفتاة وأغوياها وأخذاها خلسة من بيت أهلها. فنقم أبوها عليها وعظم الخطب عليه، حتى صار يتمنى ان يبشره المبشر بان إبنته ماتت لزعمه إن موتها غسل لعارها. فلذلك لم تجد تلك المسكينة وسيلة لاستعطاف أبيها، ولا أستطاعت أن تنال منه أقل مساعدة أو كسرة خبز على الاقل. كذا كانت تلك المرأة منبوذة الاهل من آب وزوج وحم، وابنها حمل على ذراعيها يعرقلهما عن العمل، وهي بنت كرام لم يعدوا بنتهم للعمل بل اعدوها لتكون زوجة صالحة وربة بيت من بيوت السراة. ولم تجد بين معارفها من تلجأ اليه لانهم كلهم إنكمشوا عنها بعد شرودها. هكذا كانت

تلك المرأة واقعة في هاوية البؤس والشقاء وليس من يمد يده ليأخذ بيدها وأبنها على منكبيها . فما رأيك يا بك؟

وكان جنت بك يسمع الكلام ويكفهر وقد إنعقد لسانه، فجعلت تستفزه للكلام. فقال متلجلجاً : إنها لمسكينة

— الا تعذرها اذا صممت على فراق ذلك الابن عسى أن يقيض الله له من يربيه بعيداً عن شقاء امه ؛ وعسى أن يقيض الله لامه مسترزقاً

فتجلد جنت بك وقال: طبعاً : ثم ماذا جرى لها بعد ذلك ؟

— كانت كمن ولد ولادة جديدة فدخلت الى العالم شخصاً آخر غير الذي خرج منه . وما لبثت إن رزقها الله زوجاً هو على الطرف الآخر من ضد ذلك الزوج الاول ؛ وتبدل ذلك الشقاء بسعادة ابدية لا تشوبها تعاسة قط

فقال جنت بك إذ وجد موضوعاً للقول: وهل تطلقت من زوجها الاول حتى يتسنى لها أن تتزوج ثانياً

— لطالما توسلت إلى ذلك الزوج الخسيس النذل ان يطلقها ويدفع لها المتأخر من صداقها . فكان يروغ منها رواغ الثعلب إذ ليس عنده أن يدفع وابوه لا يدفع عنه. واخيراً توسلت إليه ان يطلقها في مقابل ان تتنازل له عن المتأخر. فحذره أبوه من طلاقها وقال له أن طلقتها حرمتك المال . يجب أن تموت كمداً نكاية بها وبابيها الذي شمخ عليَّ .

فقال جنت بيك رافعاً رأسه : إذاً تزوجت ثانية من غير أن تكون طالقة ؟

— نعم

— ويحها ما هذا الجرم الذي إرتكبته الا تخشى أن . . .

فقهقهت زينب وقالت . حلمك يا بك: تستعظم جرمها هذا ولا تعبأ بجرم زوجها وحميها ، هل تريد ان تكون ملاكا بين رجيمين الى الابد؟ ولماذا؟ لماذا لم تلجأ الى الفحش والفجور . وماذا كان يمنعها أن ترتكب كل المعاصي . ولكنها لم تفعل بل لبت رجاء رجل فاضل . فتزوجته بعد ان خلعت شخصيتها القديمة عنها وظهرت في شخصية جديدة

— أو ما علمت بعدئذ ماذا جرى بابنها

— بل علمت انه لا يموت ؛ والله الذي خلقه يدبره . ولماذا لا تسلني ماذا جرى لابيه ؟

فانتقض جنت وقال : هل عاودت لمناقشة ابيه ؟

— معاذ الله ان تعود اليه بشيء بل عرفت ماذا كان من امر سيده .عرفت انه تمادي في ارتكاب الموبقات والانغماس في الملاهي وازداد تمادياً بعد موت ابيه واستيلائه على ثروته . واجرم الجرائم العديدة الدنيئة التي كان يجترمها ابوه

وتعددت عليه الاحكام حتى اضطر مراراً ان يغير اسمه ليخفي شخصيته السابقة الملوثة باوساخ الدنايا والرذائل . وهل تعرف ماذا كان من آخر خسائسه ودناياه؟

فبقي جنت بك صامتاً كأن لسانه انعقد وكان العرق يتصبب عن جبينه. وأنتظرت زينب منه كلاماً فلم يتكلم، فقالت: مابالك لا تتكلم يا بك؟ اظن هذه القصة الفظيعة مزقت عواطفك وسحقت فؤادك فعقدت لسانك عن الكلام . اليس كذلك يا بك؟

فغمغم جنت بك قائلا كأنه يكلم نفسه: لا ريب ان القصة قلقلت عظامي وزلزلت اعضائي

فقالت زينب : ان كنت تخاف على عواطفك من التمزق يا بك فأبتر القصة .

فقال : لك ما تشائين وانما اود أن اعلم ماذا جرى للولد ، هل عرفت امه عنه شيئاً بعد ذلك ؟

— ولماذا لا تسأل : هل سأل ذلك الاب عن ابنه بعد أن انقطعت اخبار زوجته عنه ؟

— بالطبع الرجل يعرف ان الطفل يكون في عهدة امه وهي تحافظ عليه ما استطاعت

— إذاً رأيك ان الرجل ليس عليه أن يهتم بامر ابنه ما دام لابنه ام سخرها الله للتضحية بنفسها لاجل ابنها. وهكذا ذلك النذل اهمل ابنه كما اهمل زوجته . ولعله ظنهما ماتا معاً . وربما سره انهما ماتا لكيلا لا تبقى عليه مسأولية ولكي يخلوله الجو في ملاهيه وشهواته. والظاهر ان تلك الثروة الطائلة استنفدتها تلك الملاهي والشهوات . ولعلها تسربت كلها أو بعضها الى بعض خليلاته. ولما كادت يده تنضب، وربما نضبت يد خليلة ايضاً ، شرع يسترزق من « النصب » والاحتيال على المال الحرام

وفيما كانت تلك الام المسكينة التي ازداد شوقها الى ابنها حين سعدت حالا، تبحث عن ذلك الابن الذي قضت عليها نذالة زوجها بتركه للقضاء والقدر، عرف ذلك الزوج القديم الزنيم ان اناساً يبحثون عن ولد فقد منذ بضع عشرة سنة، ولهم فيه علامة هي وشم في ذراعه. فاخطر له ابنه المفقود، ولعله نسيه بتاتاً حتى لا يتذكر معه امه التي اشقاها وتركها شقية لتفنى في الشقاء ، ماخطر له ذلك الابن لانه لم يكن له عواطف الاب . بل رام أن يستخرج من هذا البحث رزقاً كما استخرج موسى من الصخرة ماء. رام ان ينتفع من مصيبة اولئك الناس في ابنهم المفقود اذ بلغه انهم اغنياء وانهم سيورثون الغلام ثروته ويكافئون من يجده ومن رباه اعظم مكافأة. فخطر له ان يسائل نفسه ويسائل خليلته : لماذا لا يكون الولد المفقود ولدنا ونحن وجدناه ونحن ربيناه ونحن نرشد اولئك الناس اليه ، فنأخذ المكافأة العظمى والولد يرث الثروة، ونحن نشاركه بها، فنجدد طربنا القديم ونعود الى

ترفنا السابق بعد أن تلاشى بتلاشي ثروتنا؟ ـ كذا كان يرتئي ذلك الزوج ان يحتال بمكر وخداع ودناءة. في حين كانت زوجته القديمة تبحث عن ابنه المفقود. وعلى هذا الرأي عقد النية. وبالفعل وشم ذراع الغلام ابن عشيقته الذي لا يعرف له اباً لانه ابن زنا. وانما هو وعشيقته يعرفان جيداً أن الغلام ابنهما. ولكن ماذا يضرهما ان ينتسب لاناس اخيرين يورثونه ويورثونهما ثروة اذا لم يكن الغلام ابناً شرعياً لرجل

هكذا ارتأى ذلك الرجل وهكذا فعل. وهكذا جعل يساوم زوجته القديمة على ابن مزيف.

وهنا زالت الرقاعة من لهجة زينب وتحولت الى حدة وشبه غضب

أما جنت بك فلم تعد أعصابه تحتمل هيكل بدنه فصار ينتفض كالعصفور بلله القطر. وحاول ان ينهض ولكنه لم يستطع. فقالت له زينب: مالك. ماذا اعتراك؟ هل أثرت فيك القصة كثيراً؟

فازداد انتفاضاً وقال بصوت متهدج: كفى كفى يازمزم كفى. أن ما جمعته من الجمر على رأسي لاعظم من نار جهنم. ويلي. ماخطر لي أن تكوني يا زمزم دياني العادل في هذه الدنيا قبل أن نبرح الى الآخرة

— صمتاً ياستي! ما أنا زمزم زوجة اسمعيل الجنابي بل ما أنا الا زينب أرملة بكر باشا العيوقي. فلا يخطرن لك ان تقف الى جنب زمزمك القديمة التي طالما سحقت قلبك عند قدميها حتى تمكنت من اغوائها وأخيراً نبذتها الى شقائها

فوضع جنت بك (أو اسمعيل الجنابي) كفه اليسرى على عينيه كأنه يحجب عنهما نور الحق الساطع كما يحجب الارمد أشعة الشمس واشار بيده اليمنى قائلا: رحمة ورأفة يازمزم! اني لاضعف جداً من ان استطيع احتمال هذه الدينونة. ان قلبي وعواطفي...

فقالت له: عجباً. ما خطر لي أن يكون لك قلب يتأثر وعواطف تتجرح

فازداد انتفاضاً وقال: زمزم زمزم بربك إن ضميري...

— ويحك متى كنت ذا ضمير يحس؟ متى كنت بشراً يشعر؟ متى كنت معدناً يتمغنط؟ لا اعهدك إلا صواناً لا يبريه الاحتكاك بالرمال ولا تغيره عوادي الاجيال

فصاح: بربك يازمزم أن ظهورك الى الوجود بعث ضميري من مدفنه القديم ونشر قلبي العطوف من قبره العميق. رفقاً ورأفة يازمزم. أن الرحمة من طبعك والرفق من سجاياك. ان جبال الآثام والجرائم والدنايا والسخائم التي قلبتها على صدري سحقتني لحماً وعظماً معاً. فردي عن صدري شيئاً من هذه الاثقال. بربك. يكاد صدري ينطبق. تكاد نفسي تزهق: آه.

وهنا تلاشى صوت اسمعيل الجنابي وارتخت عضلاته والتوى الى جنبه على المقعد فعلمت زينب (أو زمزم كما كان اسمها الاول) انه انتهك قوة لشدة التأثر حتى اغمي عليه . وهي شعرت أيضاً بوهي كأنه رد فعل تلك الحدة. فنهضت وخرجت الى الايوان كأنها تطلب هواء نقياً.

وبعد هنيهة عادت الى البهو . فاذا جنت بك أو اسمعيل واقفاً يتداعى كأن لا حول له ولا قوة على المشي . فقالت له : ظننتك فارقت الحياة

فقال وهو يلهث — حبذا ان تفارقني الحياة لان حياتي بعد هذه الدينونة العادلة أصبحت جهنماً . حبذا أن افارق عدل هذا العالم الى ان أمتثل لدى رحمة الله .

فقالت : اجل اني أتمنى لك رحمة الله يا اسمعيل ان كنت حقيقة قد بعثت ضميرك من قبره

— أصبحت لا اجد سعادة إلا بالرحيل من هذا العالم المملوء شقاء يا زمزم. ولم أعد اطمع إلا بامنية واحدة . ياهذه

— ما هي ؟

— هي ان ارى ابني مرة واحدة فقط قبل موتي. فبالله هل وجدته يا زمزم؟

— وجدته

— بربك أين هو؟ اسمحي لي ان أراه مرة وأموت

— لماذا تراه وقد نبذته ونسيته ؟

— نعم أود ان أراه لكي اورثه ما هو أثمن من الذهب والترف وجميع ملذات الدنيا

فقهقهت زمزم قائلة : أنت تورثه؟ وماذا لك غير ما ذكرت ؟

— لي اختبارات عمر أود ان ألقيها على ابني . فبربك اسمحي لي برؤيته ساعة

— اذاً تعال الى هنا غداً

وخرج جنت متسكعاً

الفصل الحادي والعشرون

اصطدام العواطف

نعود الآن إلى حليم الزعروري فانه عاد إلى صوفيا بعد ساعة ما فرغت إلا لما فرغ صبره وقالت له : لقد توفقنا والحمد لله إلى تعيين ميعاد مناسب لمقابلة سيدة من الاشخاص الذين يبحثون عن ابن مفقود وهو الساعة الثامنة من مساء اليوم . وعند هذه السيدة الخبر اليقين عن كل شيء ، وفي إمكانك أن تتفاهم معها جيداً

— شكراً جزيلا ياسيدتي . إني إراني مديناً للطفك جداً . فهل تتفضلين بقبول هذه الورقة بقيمة عشرة جنيهات . وهي هدية مني غير المكافأة الواجبة

فابتسمت صوفيا وقالت : شكراً لك ! لاأستطيع أن أقبل منك شيئاً لاني موصاة ألاّ اخذ منك مكافأة

— عجباً . لماذا ؟

— لاني اخدم الطرف الآخر من طرفي هذه المسألة . وذلك الطرف يكافئني

— ولكني مقدم لك هدية لا مكافأة

— حتى ولا هدية لا أقبل ؛ لان رضى الطرف الآخر عندي خير هدية . فشكراً لك

— فاستغرب حليم في نفسه رفضها وقال كم أكون سعيداً إذا وجدت نفسي اخيراً اني ضالة ذلك الطرف الآخر

* * *

وعاد حليم وهو يحلم بمستقبل هو واقف إمام باب المقفل ولا يراه بعد . أجل إنه واقف إمام باب قد ينفتح عن مكان ملتقاه بام حقيقية تختزن له حباً طبيعياً اذخرته الطبيعية في حشاشة كل ام لمن ينبثق من لحمها ودمها . أمل أن يتمتع بعواطف أم غير عواطف مربية . الله أعلم ماذا تخيل من عواطف الام

احقيق أن عواطف الام التي هجرت تكون أقوى من عواطف الأم التي ربت ؟

قضى حليم ذلك المساء وهو كالسفينة تترنح في بحر عجاج من الافكار والتخيلات والعواطف . وما صدق أن الساعة الثامنة قاربت حتى كان يقرع باب صوفيا . ففتحت ، فقال لها : اخاف ان اكون قد ابكرت .

— بل تأخرت

— إذاً نأخذ أتوموبيلا . هل المكان بعيد ؟

— مسافة عشر دقائق بالاوتوموبيل

في عشر دقائق كانا امام باب منزل جميل امامه حديقة صغيرة . وفي لحظة فتح الخادم الباب ؛ وفي اخرى كانا في بهو انيق جداً . وفي ثالثة كانت الخادمة تومىء الى صوفيا ان تخرج لمقابلة ربة المنزل حيث هذه نفحتها نفحة واوعزت اليها ان تعتزل البهو

وفي دقيقة اخرى بغت حليماً دخول سيدة جليلة تبش له وتقول : « مرحباً حليم أفندي » هي ليلى العامرية صديقة زينب . وكان حليم قد رآها ملياً حين كان جريحاً في سرير ربما جلست عليه حكمت مرة . فخفق فؤاده لان الشيء بالشيء يذكر . ولكن لكل شيء وقتاً . فان مسألة امل حليم كانت عنده شغله الشاغل حينئذ . فما عتمت ليلى ان سألته : أظن ان نصيحتي وقعت عندك موقعاً حسناً . فبحثت عن سبب وشم الحرفين في ذراعك

— نعم ياسيدتي . ان كلمتك لعبت في

نفسي لعب النار في الهشيم فما خرجت من ذلك الهيكل المقدس ...

فما فطنت ليلى لقصده وقالت على الفور: اي هيكل ؟

— عفواً ومعذرة يا سيدتي . ذلك اسلوب للتعبير خاص بي يفرط مني بعض احيان في غير محله فعذراً . عنيت منزل حرم العيوقي باشا. ارجو منك ان تكتمي هذه الهفوة . بربك لا تقوليها لزينب هانم فقد عاهدتها عهداً مقدساً الا احرك ساكناً في مسألة معلومة بيننا ولا اريد ان تعتقد اني لست ممن يحفظون العهود

— ثق اني لا اقول. ولنعد الى حديثنا

— نعم . منذ ذلك الحين شعرت اني كنت غبياً لسكوتي عن استطلاع سبب ذلك الوشم في ذراعي ولا سيما إذ كنت اعلم ان زوجة ابي ليست امي وان كانت تحبني اكثر من ام، وأن أبي لم يكن ليرشدني الى اهل من يدعي انها كانت امي؛ بحجة ان بينه وبينهم عداء فلا يريد أن تكون لي صلة بهم.

فلذلك عدت الى ابي واقمت القيامة عليه مطالباً اياه بان يخبرني الحقائق الراهنة عن الامور التالية :

اولا ما سبب ذلك الوشم في ذراعي

ثانياً . ما معنى الحرفين ز . ع

ثالثاً . من هي أمي الحقيقية واين هي

رابعاً أن كانت قد ماتت حقيقة فمن هم اهلها واين هم

خامساً ماذا كان بينه وبينها من العلايق أو كيف كانت علائقهما

وهددته تهديداً صارماً انه اذا لم يصدقني المعلومات التي تؤدي الى النتائج الصحيحة فاني افعل من الافعال المنكرة المؤلمة له والمعذبة مالا يخطر على بال وبقيت اطالبه بهذه الحقائق بضعة ايام بشدة حتى صرت كالمجنون. فاضطر اخيراً أن يبوح لي بسر هائل وها أنا اتحقق ان كان هذا السر حقيقة أو مختلقا

فقالت ليلى مشرقة المحيا مستبشرة: اذاً في المسألة سر

— نعم ياسيدتي. اباح لي أبي بسر ظهر منه اني لست ابن احمد الزعروري بل انا مجهول الاب والام معاً . وحاصل سره انه لم يرزق من زوجته ولداً لانها عقيم؛ وهي عز عليها ان تكون بلا ولد كما يعز على كل مرأة تعتقد ان الاولاد خير الروابط بين الزوجين. ولما يئست من أن ترزق ولداً صارت تهمس في آذان بعض معارفها انها تريد ولداً لقيطاً لكي تربيه . وفي ذات يوم جاءتها مرأة تدعى فاطمة بطفل في نحو السنتين من عمره وقالت لها : هذا طفل تركته امه إذ لا قبل لها على تربيته فخذيه وتبنيه .فاخذته فرحة وجعلت تعنى بتربيته وشاركها بالعناية زوجها ايضاً .وما لبثا ان احبا الولد حب الابوين لابنهما . والحق ياسيدتي اني واجد من عواطفهما ما لا يجده الابناء الشرعيون .

ولهذا لم اكن راغباً قبل تنبيهك لي بان أهتم بالبحث عن أهل امي لاني وجدت في زوجة أحمد الزعروري الاب العطوف ما يغنيني عن ام .

— اذاً لا يهمك ان تجد امك الحقيقية

— بل أتوق أن أجدها لكي أتمتع بحب والدتي أولا ولكي اقف على حقيقة اهلي ثانياً . . . وبعد أن أخذتني امي هذه من فاطمة ودفعت لها مكافأة اوثمناً لي انتقل أبي الى مركزب . م . وثم صار يتردد بينه وبين مصر، وفاطمة نفسها انتقلت من حيث كانت ولم تعد تلتقي الشارية والبائعة منذ ذلك الحين بل كانت تفضلان عدم الاجتماع كأن كلاً منهما كانت تخشى نتيجة غير محمودة للقاء. أما زوجة احمد فكانت تخاف ان فاطمة تسترد الولد منها . واما فاطمة فربما كانت تبعد عن جريمة ارتكبتها . ولذلك وجدت صعوبة كلية في الاهتداء الى فاطمة . فقد تذكرت أمي أو مربيتي مرأة اخرى تعرف فاطمة ، وبعد البحث الطويل اهتديت اليها فارشدتني الى فاطمة . وباحثت فاطمة في الامر فانكرت، كأنها خافت مكيدة من وراء سؤالي. ولكن بعد أخذ ورد ووعود اقرت إنها اعطت ولداً لامي اخذته من خادمة اجنبية. ولم تشأ ان تخبرني عن هذه الخادمة قبل ان تضمن لنفسها مكافأة . ثم جعلت تتلاعب بمساومتي حتى صرت اخاف ان تخدعني .

واخيراً شعرت انها تريد ان تقابل الخادمة الرومية التي أخذتني منها، فراقبتها حتى اهتديت الى تلك الخادمة وخاطبتها بالامر راساً. ولكن ظهر لي من كلام الرومية انها وجدتني في محل وحدي وليس حولي لا اب ولا ام، فاخذتني. وفيما هي تسأل عن أهلي تلقتها فاطمة وقالت إنها تعرف امي وأنها تاخذني اليها

واتفق ان هذه الخادمة الرومية كانت حينئذ عند هذه المرأة التي جاءت بي الى هنا وفهمت من كلامهما معي ان اناساً آخرين يبحثون عن فتى فقدوه صغيراً ، وانه قد يكون هو نفس الفتى الذى اوهمتهما اني ابحث عنه ـ اقول ذلك لاني الى الان لم اخبر فاطمة ولا الرومية اني انا الغلام الذي باعته فاطمة للزعرورية

فقالت ليلى : وعلى أي قصد جاءت بك صوفيا الى هنا ؟

— بعد ان جرت مناقشة بيني وبين صوفيا واقترحت عليها ان تخبرني عن علامات الغلام الذي يبحث عنه أهله قالت صوفيا ان اولئك الناس لا يقولون شيئاً عن معلوماتهم وانما اذا اطلعوا عن معلوماتي عن الفتى الذي ابحث عن أهله تسنى لهم ان يحكموا ان كان هو فتاهم أو سواه . ولذلك اخذت صوفيا موعداً لكي اقابلهم واشرح لهم فيها الظروف والاحوال التي وجد فيها الطفل الذي ابحث عن اهله، ومن ثم يحكمون.

وبناء على ذلك جاءت بي الى هنا. فلما شاهدتك دهشت، وخطر لي في الحال انك ذات علاقة بالناس الذين يبحثون عن فتاهم، وانك لما شاهدت الوشم في ذراعي خطرت لك خواطر حملتك على ان تحثيني على البحث عن أسباب هذا الوشم. فبحثت وكانت النتيجة اني عدت الى ما بين يديك. فعسى ان تكون ظنونك قد صدقت فان ضالتي عندك ياسيدتي

فابتسمت ليلى ملء ثغرها الاقحواني وقالت: نعم لقد صدقت ظنوني كل الصدق لان وشمك هو العلامة الصادقة فيك التي قررها اولئك الباحثون عن فتاهم. وحكايتك عن كيفية فقدانك ووصولك الى احمد الزعروري تنطبق تمام الانطباق على الاحوال التي اكتنفت فقدهم فتاهم والتي تحققوها. اني مطلعة كل الاطلاع على تفاصيل حكايتهم وقد اطلعت الآن على تفاصيل حكايتك فلم يبق عندي شك بانك انت هو ضالتهم وهم ضالتك.

وكان حليم يسمع هذا الكلام وفؤاده يخفق خفوقاً متواصلا فقال: ولكن هل تظنين انهم هم يقتنعون مثلك؟

— انهم لمقتنعون قبل ان يسمعوا حكايتك. الوشم في ذراعك كاف لاقناعهم. وانما أنا اقترحت ان تتحقق أنت امرك من جهتك لكيلا يبقى عندك شك فيهم

فاقشعر حليم وقال: اذاً ياسيدتي قد احظى بابوي الحقيقيين

— تحظى بامك الحقيقة على الاقل

— متى؟

— حين تشاء

فانتفض حليم لشدة تأثره وقال: اشاء في أقرب وقت. غداً. بل الليلة

فتهللت ليلى طلعة وقالت: ليكن الليلة

فكاد حليم يترنح اضطراباً وخفوق فؤاد واقشعراراً وقال متلعثماً: مولاتي انك تردينني من يقظة رجولتي الى حلم طفولتي. أحقيق اني أرى الليلة أمي الحقيقية أم أنك تلعبين عليَّ دوراً

فتبسمت ليلى وقالت: متى اجتمعت بامك ترى من عواطفها ما لا يبقي مجالا للشك فيها. وعندها من البينات ما يقنعك. فهل تريد أن تراها.

فازداد حليم انتفاضاً حتى كاد المقعد يميد به وقال: أريد ياسيدتي ولكنني ... آه ... لا أدري ...

— ماذا تريد أن تدري.

— لا أدري كيف أقابل أماً اجهلها حتى الآن. هل هي عطوفة الفؤاد ياسيدتي؟

— جداً

— هل هي راقية النفس تقدر العواطف قدرها؟

— هي المثل الاعلى الذي ترومه أماً لك

— ويلاه .... أنك تعدينني ياسيدتي بسعادة ما حلمت بها. أكاد أشك بيقظتي

أشك بصحة عقلي

— بل هي الحقائق المكنونة وقد انكشفت لنا الآن ياحليم افندي .

— فتردّد حليم في الكلام ثم قال : ترى هل اجسر ان أقبلها وأضمها الى صدري ؟

— اذا فعلت ذلك تكون قد حققت أملاً لطالما ترجته أمك

ففكر حليم هنيهة ثم قال : إذاً لماذا تركتني طفلا واهملتني نحو عشرين سنة أو كيف فقدتني ؟

— لذلك حكاية طويلة لا بد ان تسوؤك أو تهيج اعصابك اذا سمعتها.

— بل أود ان اسمعها ياسيدتي قبل ان أرى أمي . وإلا فلن أراها

— لا بأس ان اروبها لك فاسمعها اذاً

وجعلت ليلى تروي لحليم حكاية زينب منذ اغواها زوجها الى ان اضطرت ان تهجر ابنها . وقد تانقت في الروية حتى هاجت غضب حليم على ابيه وجعل يعربد على ذلك الاب الذي يعد اردأ الازواج والآباء واخسهم واندلهم، وصار يتمنى ان يراه حتى ينتقم منه لامه ولنفسه . وقد عذر امه لتركها اياه . ولما انتهت ليلى من رواية الحكاية قالت : متى شئت ترى الام، وقد يمكنك بعدئذ ان ترى الاب

فقال : رحمة ! اريد ان ارى امي لكي اكون تعزية لها . بربك دعيني ارى امي . اين هي . هلمي بنا اليها

فقالت : هلمَّ اتبعني

ونهضت ومشت فتبعها حليم مضطرب الفؤاد والاعصاب وخرجا من ذلك البهو ودخلا في باب حجرة مجاورة له

فقالت ليلى .اليك امك

ويا لها من زلزلة زلزلت هيكل حليم ورجت اعصابه ونفضت فؤاده اذ رأى في الغرفة زينب العيوقي ام حكمت وقد استلقت على المقعد باسطة ذراعيها واهية . وترنح في مكانه وقال: ويلاه : امزاح هذا ام جد يا سيدتي ؟ اين امي ؟ ما معنى هذا ياهانم؟

فقالت زينب بصوت متهدج وهي تنتفض ايضاً : اليَّ يا ابني إلي يافلذة كبدي إليَّ ياحشاشتي . ان روحي تكاد تفني صياماً عنك . تعال الى صدري

أما حليم الذي كان يخاف ذلك الجلال ويهاب غضب زينب، وماحلم بابتسامة رضى منها، لم يجسر ان يتقدم اليها. بل بقي واقفاً مكانه يترنح كالسكران . وزينب تقول : اليَّ ياحياتي. لقد وهت قوتي .لم اعد استطيع ان اقف . فبربك اليَّ

وقد شعرت ليلى بالموقف الحرج فاخذت بيد حليم وقادته الى زينب وخرجت. فارتمى حليم الى جنبها واهيا أيضاً . ومالبث الاثنان ان استعادا قوتهما لعناق لا يكاد ينفك، عناق الام والابن الحقيقيين. حينئذ شعر حليم بضلوع تصادم ضلوعه تصعيداً وتصويباً، واحس بانفاس حارة تلهب خديه

وتنفخ في فمه روح الحياة. وادرك عواطف الامومة الحقيقية

كان ذلك العناق العظيم يسدد دين الحب الوالدي مدة عشرين سنين ويستوفي حق الحب البنوي .

انقضت برهة طويلة على ذلك العناق الذي تناجت فيه العواطف تناجياً ملائكيا واللسانان صامتان الى ان قال حليم : سيدتي .

فقالت زينب : ويلاه الم يزل عندك شك ؟

— لا

— اذاً لماذا لا تقول اماه ؟

— آه لم يزل لك في قلبي منزلة الوقار يا اماه ياسيدتي يامعبودتي الاولى

— ولك منذ الآن ان تجعل حكمت معبودتك الاولى وكلاكما معبوداي

— ان السعادة تتدفق على قلبي من بين شفتيك يا اماه

— ويكتب كتابكما منذ الغد فتبقي في الظاهر صهراً لي وفي الحقيقة ابني وتعيشان معي . ولاباس ان تبقى لازعروري دعوى الابوة بحق التربيـة . واظن ان سروره بهذه النتيجة التي وصلنا اليها يجعل اخلاقه رضية

— اني اجعله وزوجته كلبيك الامينين ياسيدتي . ولايكون احمد شريراً الا متى كان غاضباً . ولـكنه في حالة رضاه يكون كريم الاخلاق جداً

ثم تطرق حليم في الحديث الى ابيـه الحقيقي وقال : لم يبق ما ينغص عيشي يااماه الا وجود ذلك الاب الزنيم الرجيم

— لقد ادركت شدة نقمتك عليه اذ كنت اسمع الحـديث الذي دار بينك وبين ليلى . وصرت اخشى من مغبة لقائكما يا ابني

— بل بربك دعني اجتمع به مرة لكي اروي غليلي منه

— تعدني انك لاتاتي امراً منكراً

ومع ان زينب أو زمزم كانت تروم ان تلطف غضب حليم على ابيه كانت تشعر انها مضطرة ان تفضح لحليم كل آثام ابيه حتى تبرر نفسها في عينيـه في كل مافعلت . ولذلك روت له حكايته الاخيرة اذ رام ان يزوّر ابناً لها لـكي يبتز مالها . فازداد غضب حليم وحتم ان يرى اباه . فوعدته برؤيته في اليوم التالي

نظن ان القارىء يستطيع من نفسه ان يدرك ماكان من الفرح العظيم حين دخل حليم تلك الليلة الى منزل زينب دخول الخطيب الى بيت خطيبته اذ اعلنت زينب لحـكمت رضاها بزواجها من حليم . ولـكن تلك الاسرار العجيبة الغريبة بقيت مكتومة عن حكمت حينئذ . ولـكن لابد ان تجلى لها بعد حين

الفصل الثاني والعشرون

انفجار العواطف

في اليوم التالي جاء جنت بك أو بالاحرى اسمعيل بك الجنابي الى زينب يطالبها بوعدها ان تجمعه بابنه في جلسة واحدة فقط

فقالت له : ان ابنك عرف ما كان منك في ماضي حياتك مما حملني على تركه . ولم يكن بد من اطلاعه على تلك الحقائق

— نعم نعم . ان ذلك حق يا زمزم ، حقك ان تبرري عملك لدى ابنك

— لذلك أخاف ان لا تحتمل منه نقمته

— اني فاتح صدري لكل شدة نقمته يازمزم . أريد ان أرى ابني كما وعدت

— اذاً انتظره هنا في البهو

ثم نادت زينب الخادمة وقالت : استدعي حليم افندي الى هنا

في دقيقة وجد كل من حليم وجنت بك أمام خصم يعرفه ويريد ان يسحقه . دهش جنت بك اذ رأى ان الذي صرعه أمام باب زينب حتى كاد يذهب بحياته هو ابنه . ولطالما كان يتمنى ان يهلك حتى لا يكون عثرة في سبيل « بصبصته » على زينب

ودهش أيضاً حليم اذ رأى ان الذي كان يتهجم على بيت معبودته المقدس هو أبوه الحقيقي . فازداد حقده عليه وبقي الاثنان يحملقان احدهما في الاخر بعض الدقيقة الى ان قال حليم : ويحك من نذل زنيم خسيس لئيم . ليتني كنت نغلا أو ابن زنى ولا كنت ابنك . لم يبق منغص لعيشي إلا وجودك . والافضل ان تموت .

وفي لحظة انتضى حليم من جيبه مسدساً صغيراً وأطلقه على البك . فارتج المنزل لدويه . واسرعت زينب كلمح البرق وقبضت على يد حليم وانتزعت منها المسدس قائلة ويحك . هل تريد ان تجعل المنزل مسرح جناية . أو ان تجمع الخدم والجيران هنا لكي يروا فضيحتنا

وإسرعت الى الباب تقول للخدم الذين هرعوا ليروا ما الخبر : لا شيء لا شيء . لا تخافوا . لم يحدث شيء . هو مسدس امتحنه ليس إلا .

فعاد الخدم وارتدت زينب لترى ماذا كان من نتائج الحادثة ، فرأت حليماً لا يزال واقفاً مكفهراً وجنت بك مستلقياً على المقعد يلهث فرقاً . فتقدمت اليه وقالت : لا تخف يا اسمعيل لا تخف . لم تصب بسوء

ان خرطوش المسدس بلا رصاص . انظر .

وخلعت المسدس وأرته الخرطوش .

فقال حليم حينذاك : يالله كيف ذلك ؟

فقالت زينب: لقد حسبت هذا الحساب وفتشت جيب معطفك بعد ما خلعته فعثرت على هذا المسدس وتأكدت انك تريد ان ترتكب جناية في ابيك فاخسرك من دونه. ولذلك نزعت رصاص الخرطوش حتى اقيك من جناية قصاصها الموت . وأبقيت لك المسدس حتى تشفي غليلك

فقال جنت بك: ليتك لم تفعلي يازمزم اذ كان ممكناً أن ينتقم ابني مني بحق ويسلم لاني لو مت وفتشتم جيوبي لوجدتم فيها هذه الورقة التي كتبتها بخطي أعترف بها اني انتحرت وانه ليس على أحد مسأولية. فبالله دعيه يشفي غليله مني ويفرغ رصاصته في صدري اذا كانت هذه أمنيته . واني لافضل ان أموت بيده وأن أنال قصاصي منه. ها الورقة بخط يدي تبرئه أمام المحكمة

فقالت زينب : ومن يثبت لنا أن هذه الورقة بخطك أو انها ليست مزورة بخط غيرك يامن قضيت حياتك تزور وتزيف وتنصب وتجرم

فقال : لك يازمزم كل الحق ان تشكي حتى في انتحاري. وانما لكيلا يبقى عندك شك في أن الورقة غير مزورة الخط هاتي ورقة بيضاء وقلماً فاكتب أمامك غيرها بخط يدي . ودعي ابني يقتص مني

فقالت : لا لا . لا أدع يده الطاهرة تتلوث بدمك النجس . ان كنت تشاء الانتحار فامض الى منزل عشيقتك وانتحر فيه ، هلم الى منزلك ؛ لقد انتهى اللقاء ، اني اضن بعواطف حليم ان تتمزق اكثر مما تمزقت

— اني ماض ياهاذبن ، اني ماض مضياً أبدياً لاني اكتفيت من اباطيل هذا العالم ، وانما أود قبل ان أمضي ان اترك لك يا بني كلمتين هما اثمن من كل ثروات العالم هما ما حصلته في هذا العالم بعد اختبار طويل فيه

فقال حليم . حبذا ان تكون قد حصلت تينك الكلمتين لنفسك يا هذا

فقال جنت بك : لا بد من القائهما عليك فاسمعهما

لا تعتمد في رزقك على أحد حتى ولا أبيك أو أمك ؛ لان من يعولك يستعبدك حتى ولو كان يعبدك حباً

لا يمكن ان تستمرىء الطعام ولا ان تستنعم الفراش ولا ان تزهى باللباس إلا اذا كان ثمرة عرق جبينك

لا تلتمس من المرأة مالاً ولو كانت ابنة قارون واخت معن ابن زائدة وإلا خسرت حبها واحترامها

لا تصدق حب المرأة المسرفة ؛ فهي تحب جيبك لا إياك

— اعبد المرأة التي تخلص لك ، فهي

الاله الحقيقي لقلبك

— لا تسرف في ملاذك لئلا تفلس عواطفك منها .

— اذا اجرمت جرماً فخير لك ان تنال عقابك من ان تسلم من يد القضاء وتتمادى في الجرائم ، فان عالم الآثام لاشقى من سكنى السجون

— لا تستسلم لصديق مهما أخلص لك لان استسلامك تغرير له بخيانتك ولو من حيث لا يدري

— ماذا أقول لك بعد ، ان قوتي وهنت ولم تعد اعصابي تحتملني وفي نفسي نصائح كثيرة لك

فقال حليم : لقد كنت احوج مني الى هذه النصائح . فلو عملت بها لكنت تراني الآن معانقك

— لم اعد استحق عناقك يا بني وانما منّ على بمصافحة واحدة مشفوعة بصفحك قبل ان اسافر الى الابدية

فما تمالك حليم ان مد يده اليه وصافحه قائلا . ان الله رحوم يا هذا يغفر لك وله وحده حق القضاء

اما زينب فوهت قواها وقعدت وقال لها جنت أو اسماعيل : اما انت فلا استحق منك حتى ولا نظرة عطف .

وانسل اسمعيل كانسلال الروح من الجسد وتلاشى طيفه في دقيقة

في اليوم التالي نشرت الجرائد ان محمد بك جنت وجد قتيلا في منزل عشيقته نعيمة الحجازية والنيابة تحقق . وفي ذلك الوقت كان حليم وعروسته مسافرين في سياحة شهر العسل

﴿ تمت ﴾

روايات حداد

احدث الحوادث واغربها واعجبها . معظمها شرقية وبعضها غربية
تبث المبادئ السامية وتمثل الأخلاق النبيلة وتحرك عوامل النهضة الجديدة

اذا اعجبتك هذه الرواية فاقرأ الروايات التي في هذه القائمة
تطلب هذه الكتب التالية من ادارة مجلة السيدات والرجال . في شبرا . مصر

	ص
علم الاجتماع (مجلدان)	٦٠
الحب والزواج	٢٠
الاشتراكية	١٠
تاريخ الدستور الانكليزي	١٢
تاريخ فرح انطون ومراثيه مع رواية صلاح الدين ؛ تمثيلية له	١٢

روايات الانحاد العربي العام

	ص
فرعونة العرب عند الترك	١٠
جمعية اخوان العهد	١٠
وداعاً ايها الشرق	٨

روايات أخرى

	ص
العالم الجديد	١٢
رواية نبية لبنان	٨
فاتنة الامبراطور	٨
اين الكنز يا شارلوك هولمز	٦
صلاح الدين وفتح بيت المقدس تمثيلية ؛ لفرح انطون	٦
زغلولات مصر	٣
الهائم المعتقلة او الخطر الهائل	١ ½
مجموعة السنة الرابعة من مجلة الجامعة	١٠٠
مجموعة كل سنة من مجلة السيدات والرجال	١٠٠

تضاف الى الطلب اجرة البريد على معدل ١٠ بالمائة من الثمن . وكل طلب غير مصحوب بالقيمة يهمل ؟

مجلة السيدات والرجال

قيمة الاشتراك فى السنة جنيه مصري في مصر والسودان وسائر البلاد العربية و٢٥ شلناً في غيرها : يخصم للطلبة ٢٥ قرشاً

الحداد ،نقولا
حركات السيدات في الانتخابات اي اي ه
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037753

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY